نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم

BOBST LIBRARY
3 1142 02841 4640

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

العلاقة الجنسية في القرآن الكريم

al-Asafi Muhammad Mahdi
/al-Alaqah al-jinsiyah fi al-Qur'an/

محمد مهدي الاصفي

العلاقة الجنسية في القرآن الكريم

صلاح الروي

دراسة لقضايا المرأة المعاصرة على ضوء القرآن الكريم

منشورات مكتبة التربية
في النجف الاشرف

١٩٦٨ م ـ ١٣٨٨ هـ

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٩٩٧

HQ
32
.A8
1968
c.1

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتبر مشكلة الجنس من أخطر المشاكل البشرية ومن اعقدها واكثرها انتشارا وابعدها تأثيرا في تغير المجتمع ، والنظام الاجتماعي العاد لهو الذي يحسب لها كل حساب ويضعها المشكلة الاساسية في مجال حلوله وعلاجاته وبغية ان تتوفر البشرية على حياة كريمة مستقرة عليها ان تضع قضية الجنس في مركزها من التفكير فيها والعمل لها ..

وفروعها المتشعبة والمتشابكة كافية في أن ترينا واقع المشكلة في خطورتها واضرارها .. في عدم التناسب بين عدد الذكور والاناث الى الاختلاط غير المشروع بين الجنسين ، الى ارتفاع المهور ، الى مزاحمة المرأة الرجل في اعماله ، وفراغ البيت من ربته ، وخلو عش الاطفال من امهم الحنون الى قلة النسل او كثرته ، الى الاولاد غير الشرعيين ، الى الشباب المائع والشابة السائبة ... والخ

كل هذه توقفنا نحن ــ المسلمين ــ امام حقيقة قائمة تفرض علينا ان نقدر في النظر اليها كل التقديرات ، ومختلف الظنون والاحتمالات ...

ولان الاسلام دين الحياة ، فيه النظام الاجتماعي المستقيم ، لا بد ان نبرز كلمته في علاج المشكلة وفي تقديم قوانينه الوقائية والعلاجية لتتوفر الامة الاسلامية على الحياة الحرة المستقرة التي ارادها الاسلام لها ..

ولاجله توفر المؤلف العلامة الاستاذ الشيخ محمد مهدي الآصفي الذي عرف قلما اسلاميا مجاهدا وتفكيرا بناءاً يحمل هم قضية الامة الاسلامية

وانطلاقا سلوكيا يعمل لان تكون في نصابها القيادي من العالم .

توفر ــ حفظه الله ــ على اعطاء وجهة النظر الاسلامية في هذه المشكلة الاجتماعية المهمة وفي حلولها والوقاية منها . . من خلال دراسة واعيةوافية، استعرض فيها آي القرآن الكريم يستنطقها في بحث علمي معمق .

وخدمة للفكرة الاسلامية وتأدية الرسالة الاسلامية تقدم للقاريءالكريم هذا النتاج الاسلامي القيم ..

داعين الله تعالى ان نلتقي وقارئنا العزيز عند تناج اسلامي آخر وعن قريب انه ولي التوفيق وبه المستعان .

مكتبة التربية

***

تمهید

الإسلام إمتداد للطبيعة

والحديث عن الاسلام حديث عن الطبيعة ، بما فيها من سعة ورحابة ، وشمول وعمق .

واذا صح ان الطبيعة تدين بدين ، وتؤمن بمبدأ او تجري في سيرها وتحولها وتكاملها على مذهب من المذاهب .... فلا يمكن ان يكون ذلك شيء غير الاسلام .

ولو حاولنا ان نستنطق الطبيعة ، وتتملى ما فيها من نظام ، وجمال ، وسعة ، ويسر ، وتكامل ، ومرونة ... لوجدنا انها لا تنحرف من هـذا المنهج الإلهي في خط من الخطوط .

وقد يستغرب القاريء هذا الكلام .

فهل يمكن ان تدين الطبيعة بدين ؟.

أو هل يمكن ان نستنطق الطبيعة بشيء ؟

وفيما يأتي سوف نحاول ان نجيب على هـذه التساؤلات ، ونوضح للقاريء ، في حدود مايتسع له صدر هذا الحديث علاقة هـذا الدين بالكون وعلاقة هذا الكون بالدين .

***

تحكم الكون سلسلة طويلة من النظم والقوانين ، تتسم بسمة الاتساق والثبات ووحدة السير والمرونة . وترتبط هذه النظم بعضها ببعض ، وتكون وحدة كونية متكاملة ، يسير بعضها بعضا ، ويدفع جزء منها الجزء الآخر ، ويمهد جانب منها الجري والسير للجانب الآخر .

ويتم تطور الكون ، وتكامله ، وتفاعل اجزائه ضمن هذه الوحدة الكونية المتناسقة .

والانسان ظاهرة كونية ، يعيش في هذا الكون ، ويجري معه ، ويتأثر به ، ويؤثر فيه ، ويربطه به اكثر من علاقة ... على وجه الارض ، وفي الجو ، وفي غمار المياه ، وفي بطون الجبال ، ويتم نشوؤه وحياته في هذه الطبيعة ، ذاتها ، وبين اجزاء هذه الطبيعة .

وهذه العلاقة الكونية الوثيقة التي تربط الانسان بالطبيعة ، وتربط الطبيعة بالانسان ، تتطلب من الانسان لكي يعيش سعيدا ، طليقا ، حرا ، مرفها ... ان يجاري الطبيعة في طلاقتها ومرونتها وتناسقها وجريها .

فاذا حاول ان يعاكس الطبيعة في خط من خطوطها .. فلا يعرقل سير الطبيعة ، ولا يغير مجرى الحياة ، وانما يجهد نفسه في غير جدوى ، ويكدر صفو حياته ، في غير نفع ، ويعرقل سيره في غير فائدة . وكان كمن يعاكس سير الماء ، ويمانع دفعه وقوته . فلو تيسر له أن يحدث خللا وقتيا في تناسق الامواج ، وان يضرب الماء بعضها ببعض ، بجهد وعناء ، فلا يتاح له ان يغير مسير الماء ، أو يحرف جري النهر ، ولا يجديه ذلك غير العناء ، والجهد الذي لا يعود على صاحبه بطائل . وكذلك الانسان لا يعاكس

سير الطبيعة ، ولا يصطدم بها ، حتى يجهد نفسه ؛ ويشق عليها ؛ ويجعلها في ضيق وحرج ، كأنه يصعد من السماء ، في جهد ، وضيق ، وتبرم ؛ كما يقول القرآن الكريم « ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة اعمى » (١) .

وتتقاذفه الامواج من هنا وهناك ، ويضيع عليه الدرب ، ويلتبس عليه الطريق في رحاب الحياة .

والحياة ككل شيء آخر ، تتصارع على صعيدها الموجات ، ويضرب بعضها بعضا ، بقوة وعنف ، كما تتصادم الموجات في سير الماء ، ولكنها ، أخيرا تتناسق وتتدافع في مسير واحد ، هو مسيرة الحياة ، ومسيرة الكون الكبرى .

فاذا عرف الانسان اتجاه الحياة هذا ، وقذف بنفسه فيه ، واطمأن اليها ، فسوف يسير آمنا ، مطمئنا سعيدا ، بيسر ؛ ولطف ؛ وسماح ؛ من دون عناء او جهد ، يزيده دفع الكون قوة على قوة ويتكامل مع الطبيعة جنبا الى جنب ، ويشده الكون الى نفسه ، ويشد نفسه الى الكون ، ويسير آمنا ، مطمئنا ، موقرا .

(رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) (٢) .

وكذلك يكون مصير الانسان ، عندما يلقي بنفسه في احضان شريعة السماء ، ويطمأن الى شريعة الكون ، ويقولب حياته في بوتقة الطبيعة .

(اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) (٣) .

---

(١) طه : ١٢٤ . — (٣) البقرة : ١٥٧ .

(٢) المائدة : ١١٩ .

وبعكس ذلك يكون مصير الانسان ، حينما يعاكس سير الطبيعة ،ويعاند السماء ، ويصر على هذه المعاكسة والعناد ، فتضيع عليه سمات الطريق ، وتجهده المعاكسة ؛ ويضيق عليه رحب الكون ، وسعة الفضاء فيهلك في تجربته ؛ هذه الحمقاء ، او يخرج منها متعبا مكدودا ، ضائعا ، يظلله الشقاء والبؤس ، ويطبعه طابع الضياع .

(ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون)[1] .

وكذلك كان مصير الانسان ، عبر التاريخ ، في عصور الحجر والحديد وفي عصر الذرة والسرعة ، عندما انحرف عن مسيرة الكون الكبرى ،وانشق عليها ، وعاند شريعة السماء برعونة ، وركب رأسه بتحامق ، وتوجه يمنة ويسرة ، في خضم الحياة .

فذاق من وبال ذلك الامرين ، وعانى الجهد المرير ، وعاش الضياع والتيه ، والتقى بنفسه في اتون الحروب ، وضيق الفقر ؛ وسعير الجنس واضطراب القيم ؛ وضياع الاخلاق .

« أفرأيت من اتخذ آلهة هواه ، واضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ،وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون » [2].

***

فلا بد ان تتلائم الطبيعة والشريعة ليسعد الانسان ، ولابد ان يشخص الانسان مسيرة الكون الكبرى ليطمئن اليها ، والانسان ، وحده ؛ بما له

---

(١) البقرة : ٢٢٩ .

(٢) الجاثية : ٢٣ .

من ادراك ضيق ، وشعور محدود ؛ معرض للضياع والتيه ؛ في خضم الحياة الواسع ؛ وبين هذه الموجات المتصادمة ؛ عرض الحياة .

والتاريخ وحده كفيل لاثبات ذلك ، ولا أجدني بحاجة الى أن اكثر من الشواهد والادلة على ذلك .

فلم يضطرب الانسان على ظهر هذ الكوكب، ولم تختلط عليه المذاهب ولم تتقاذفه الاهواء ؛ ولم يضق عليه الكون برحابه ... الا حينما استقل في الطريق عن الدليل ، وركب رأسه ، وجارى ميوله واهوائه . وكيف يتيسر لكائن صغير يحدده ادراك ضيق ، وشعور محدود ، ومعرفة يسيرة . . . ان يتعرف على مسيرة الحياة ؛ ويطمئن اليها ؛ ويعصم نفسه عما يتسلل اليها من الاهواء ، وعما يضطرب امامه من السبل .

والشريعة التي يطمئن الانسان اليها في حياته هي التي تنبع من الكون ذاته ، وتلائم الطبيعة في جريها ، ومرونتها ، وتكاملها ؛ وتناسقها ؛ وتتحدد مع الطبيعة ..... فتكون وحدة انسانية ـ كونية ، تربط الانسان بالكون وتربط الكون بالانسان ، ويجمعهما معا في طريق واحد . ولا يمكن ان تتم صياغة هذه الشريعة ؛ بشكلها الكوني الفذ الابوحي من مبدع هذا الكون وخالقه ، الذي صنعه ، فأحسن صنعه ؛ وقدره فأحسن تقديره (الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى) [1] .

(قل : اللهم فاطر السموات والارض، عالم الغيب والشهادة . انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) .

---

(١) الاعلى : ٢ ـ ٣ .

(٢) الزمر : ٤٦ .

والشريعة التي يصوغها الله تعالى لا يمكن ان تنحرف من الكون ، او تختلف معه ، في خط من الخطوط ، او يصطدم معه في جانب من جوانبه وانما هو تعبير كوني عن حياة الانسان ، وموقع الانسان من الكون وعلاقاته الوثيقة بالطبيعة ، تستوحي الكون ، وتتجاوب معه وتلتقي به . وتلك من اهم سمات التشريع الاسلامي .

ولو حاولنا ان نبرز في دراسة ملامح هذه الشريعة فلا تجد سمة اظهر منها عليها ، وارسخ فيها جذورا منها .

وعن هذا الطابع التكويني في الشريعة الاسلامية ، يتحدث القرآن الكريم ، بجلاء ووضوح : (فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم » [1] .

***

فالشريعة الاسلامية منهج للفطرة ، في صفائها ، وخلوصها ، وسلامتها ومنهج للكينونة الانسانية في علاقاتها بالله ، وبالكون ، وبنفسه . « فطرة الله التي فطر الناس عليها » .

وهذا المنهج الفذ ، يطبعه طابع من الثبات والدوام ، وشأن كل نظام كوني قائم في الطبيعة ، لا يعرضه التغيير والتحوير ، ولايتأثر بالاهواء والميول ، كما لايمكن ان يغير الكون مجراه ، او ينحرف عن مسيره «لاتبديل لخلق الله » .

وهذا الدين ، وحده ، بماله من طابع تكويني ثابت ، وبما فيه من مرونة الطبيعة ، ويسرها ، وجريها ، وتكاملها ، هو الذي يصلح ليقوم الانسان

---

(١) الروم : ٣٠ .

في حياته ، ويسعده ؛ ويرضيه ؛ ويريحه .

(ذلك الدين القيم) .

فلا يمكن ان يشذ هذا الدين عن الخط التكويني العام الذي رسمه الله تعالى للانسان .

ولايمكن ان يفقد طابعه التكويني الفذ ، مهما كانت ملابسات الظروف الاجتماعية ، ولا يمكن أن ينطلق في معالجة قضايا الانسان ومشكلاته ومسائل الحياة الاجتماعية ، ومتطلباتها ، عن غير هذه القاعدة التكوينية الكبرى التي ينطلق منها دائما في التشريع .

وسوف ندرس في هذا الحديث علاقة المرأة بالرجل والرجل بالمرأة في المجتمع الاسلامي دراسة مستوعبة ، نجاري فيها القرآن الكريم ، لنلمس بأنفسنا عن قريب هذا الطابع التكويني في التشريع الاسلامي ، ولنجد كيف ينطلق القرآن الكريم في معالجة مسألة الجنس وعلاقة الرجل بالمرأة من أعماق الطبيعة ، الى مستوى الحياة الاجتماعية ، في وضوح وجلاء ؛ ويسر ومرونة ، ومن دون تحرج ، والتواء ؛ وغموض ؛ وابهام .

ومهما تحرى الانسان عن علاج لمشكلة الجنس ؛ وعن نظام لعلاقة الرجل بالمرأة ؛ فلا يمكن ان ينجح في تحديد هذه العلاقة ؛ وتنظيمهامالم ينطلق من المنطلق الذي يحدده القرآن الكريم ؛ وتعرضه في هذه الدراسة بشيء من الدراسة والامعان .

ومهما تطور الانسان ؛ وتطلع الى آفاق جديدة من الفكر فلا يمكن ان يضع لمشكلة الجنس حلا ؛ ولا لعلاقات الرجل بالمرأة نظاما ؛ من دون ان يستسلم ، في انقياد ، للمنهج الالهي في التشريع ؛ ويؤمن به ايمانا

لا يخالجه شك ، ويطمأن اليه اطمئنانا ؛ لا يشوبه ريب .

وسوف يجاري القاريء معي في دراسة هذا العلاج الذي وضعه الاسلام لمشكلة الجنس ، والنظام الذي أقره لتنظيم علاقات الجنسين في الحياة الاجتماعية . . . . على ضوء من القرآن الكريم ، وانطلاقا من جذور المسألة الكونية .

النجف الاشرف — محمد مهدي الاصفي

٤ ذي الحجة ١٣٨٤ هجـ

الزوجية العامة في الكون

ينحدر الاسلام في معالجة العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة عن القاعدة التكوينية ، التي تقوم عليها هذه القضية .

والعلاقة الجنسية او (الزوجية) على الصعيد الاجتماعي بين الذكر والانثى تنطلق من أصل الزوجية الكونية .

والقرآن الكريم يستعرض القضية في اطارها التكويني العام ، ليعالج ذلك على ضوء من هذا الفهم الكوني ، وعلى طريقته التكوينية الخاصة .

* * *

ولذلك يستعرض القرآن الكريم ؛ قبل كل شيء ، مبدأ الزوجية العامة في الكون بصيغة شاملة ؛ تنبسط على اطراف الكون .

« ومن كل شيء خلقنا زوجين » (١) .

والزوجيـــة التي يعنيها القرآن الكريم شيء اوسع من الزوجية واللقاح الموجود في عالم الحيوان والنبات . وتشمل مختلف اوجه التفاعل الطبيعي الذي يحصل بين اجزاء الطبيعة في أطارها التكويني العام وتتسع لاكثر من عالم الحيوان والنبات .

فالـــذرة مزاج (كهر ــ طيسي) من الكهـــارب السالبـــة في المحيط والبروتونات الموجبة والنيوترونات في المركز ، يتفاعل بعضها مع البعض في نظام زوجي رائع .

والتركيبات الكيمياوية قائمة على نظام (زوجي) خاص بين العناصر يضم بعضها الى بعض، ويجعل منها مزاجا ماديا جديدا حسب قوانين كيمياوية ثـــابتة .

والتفاعل الفيزياوي بين المادة والطاقة شكل آخر من نظام الزوجيـــة

---

(١) الذاريات : ٤٩ .

العام : يلائم بين المادة والطاقة يستشمره الانسان في حقول الفيزياء والميكانيك .

ويتسع نطاق (الزوجية العامة) لاكثر من حدود الذرة والكيمياء والفيزياء ليشمل الاجرام الكونية والمجرات والمجاميع الكوكبية في الفضاء فتلائم بين الجاذبية العامة والاجرام الكونية ، لينظم سيرها وحركتها في الفضاء ، وتحفظها من الاختلال والاضطراب .

فالزوجية العامة ، كما يستعرضها القرآن الكريم ، ظاهرة كونية تنبسط على أطراف الكون وتشمل مختلف اوجه الطبيعة ، تبتدأ من المحتوى الداخلي للذرة اللامتناهية في الصغر ، لتنبسط على اطراف الفضاء اللا متناهي في البعد ، وذلك قوله تعالى :

« ومن كل شيء خلقنا زوجين » ومن دراسة هذه الظاهرة الكونية تستنتج جهات ثلاث ، نحب ان نقف عند كل واحد منها وقفة قصيرة .

***

١ ـ الجانب التكويني

يعود الاستقرار والثبات الذي تتصف به الطبيعة في جريها وتطورها الى ثبات نظام الزوجية العامة في الكون .

فلولا أن اجزاء هذا الكون تتماسك فيما بينها ، بتأثير من نظام الزوجية العامة ، لاختلت الطبيعة ، واضطربت ، وانقلبت ، عما عليه من استقرار وثبات الى فوضى واضطراب .

ولولا ان الزوجية العامة تلائم بين الالكترونات والبروتونات في المحتوى الداخلي للذرة ، وتحفظهما ، ضمن نظام متقن ثابت ، لانقلب الكون على سعته وامتداد جوانبه الى ركام من الشحنات الكهربائية .

ولولا ان العناصر المادية تجتمع وتتفاعل بالطاقة ، وفيما بينها ، بنظام خاص ، وبتأثير الزوجية العامة لاختل كل شيء في هذا الكون ، على وجه الارض ، ولم يبق حجر على حجر .

فلا تبقى حياة ، ولا يتم عمل ، ولا يتبخر ماء ، ولا يهطل مطر ، ولا تجري عين ، ولا ينبت نبات على وجه الارض .

ولا يتم تفاعل بين الماء والحرارة ، ولا يكون اثر للطبقات الباردة من الجو على السحاب ، ولا يتأثر نبات بالتربة ، ولا يتم تركيب بين

الاوكسجين والهدروجين .

ولولا ان الانسان يواصل بالزواج بقائه على وجه الارض في اعقابه الذين يخلفوه من بعده ، ليتوارثوا قيمه ، وحضارته ، وليكونوا استمرارالوجوده على ظهر هذاالكوكب . . . لانقطع هذا الكائن من على وجه الارض من قديم ، وصدق الله تعالى عندما يقول :

« جعل لكم من أنفسكم أزواجا : ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه » (١)

وكذلك قدر الله تعالى ان تكون (الزوجية) مبعث الاستقرار والثبات في الكون ، ومنطلق التكوين والخلق .

---

(١) الشورى : ١١ .

٢ ـ الجانب الوظيفي

وطبيعة العملية الزوجية تقتضي وجود طرفين : ـ

طرف يقوم بالجذب ، وآخر يقوم بالانجذاب .

طرف يقوم بدور الفعل والتأثير ، وطرف آخر يقوم بدور الانفعال : ولا يمكن ان تتحقق الزوجية من غير وجود هذين الطرفين ، ومن دون هذا الاختلاف في الوظيفة .

واذا اتخذ الزوجان من حيث الوظيفة فالتفاعل ؛ وهو النتيجة الطبيعية لاختلاف الزوجين ؛ ينقلب الى التدافع والتضارب ، وهو نتيجة التقاء فردين من جنس واحد .

فاذا التقى طرف جاذب بطرف جاذب أخذ كل واحد من الطرفين يدفع الطرف الآخر ، بدل ان يتفاعل معه ويلتئم به .

واذا تلاقى الطرف الفاعل بالطرف الفاعل والطرف القوي بالطرف القوي فلا ينتج من العملية غير التدافع والاصطدام بين الطرفين .

ومن قبل كان علماء الفيزياء يقولون : (ان القطبين المتشابهين يتدافعان دائما والقطبين المختلفين يتجاذبان) . فأختلاف الزوجية في الوظيفة نابع من تكوين كل واحد منهما . وليس هذا شيء نضيفه نحن اليهما من (عندياتنا).

وسوف ندرس هذا الاختلاف الوظيفي في ظاهرتي (التجاذب) و(التفاعل) بين الزوجين ، لنلمس جذور هذا الاختلاف من اصوله التكوينية .

التجاذب الزوجي

يعتبر (التجاذب) من اهم نتائج الزوجية ومميزاتها • ولطبيعة الطرفين (الزوجين) في التكوين ••• يختلف دور كل منهما في التجاذب : فيقوم طرف منهما بمهمة (الجذب) و (البعث) بينما يقوم الطرف الاخر بدور (الانجذاب) و (الانبعاث) •

يقف الطرف الاول في مكانه ، بدلال وغنج ؛ لينطلق وراءه الآخر بحرص ويجري خلفه ، بلهفة ، مجنونة ، ويدور حوله باشتياق ؛ وينجذب اليه بهياج ؛ كما تدور الفراشة حول الزهرة ؛ والهة بجمالها وشذاها ؛ حريصة عليها ؛ وكما تجري الالكترونات حول البروتونات في النواة باشتياق وهيام واندفاع مجنون ؛ اذا كان هناك جنون في نظام التكوين ؛ وكما تتحول الكواكب السيارة ؛ في مجموعتنا الشمسية حول الشمس (الام) عبر التاريخ لا يقر لها قرار ، وكما تندفع الاجرام الهائلة في الفضاء ؛ وفي جو الارض بسرعة هائلة ؛ مدهشة نحو مركز الجاذبية ؛ وكما يجري ذكر الحيوان وراء الانثى ؛ لايقر له قرار ؛ قبل ان يصل اليها • وليس الانسان بدعا من نظام التكوين ؛ ولا يختلف في ذلك عن الحيوان والنبات وعن الذرة والمجموعة الشمسية ؛ والكون كله « ولا تجد في سنة الله تبديلا » •

ولكي تتم عملية (التجاذب) بين الزوجين فقد اودع الطرف الاول جاذبية فائقة القوة والجذب ، ومغنطسة قوية حلوة ، تمغطس الجو ؛ وتملأ

الطرف الاخر شوقا ؛ وولهـا ؛ وجذبا .

فليس من العبث في التكوين ان تتلهف الفراشة على الزهرة ؛ وتحرص عليها ؛ وان تحيط الالكترونات البروتونات بشوقها المتزايد ؛ وان تتحول حولها بمثل هذه اللهفة والشوق .

كما اودع الطرف الآخر بالمقابلة شوقا لا ينفذ ؛ ورغبة لا تنتهي ؛ وحرصا لا آخر له ؛ ليتم بينهما التجاذب ويمثل كل منهما دوره الخاص بنجاح .

التفاعل الزوجي

وكل زوجين في الكون (يتفاعلان) ؛ ولا يمكن ان تتم عملية التفاعل في شيء من غير ان يقوم طرف منهما بدور الفعل ؛ ويقوم الطرف الآخر بدور الانفعال . يؤثر احدهما في الآخر ؛ ويقبل الطرف الآخر التأثير . ولكي يوفي كل من الطرفين دوره الخاص في (الفعل) و (الانفعال) لابـد ان يكون الطرف القائم بدور الفعل والتأثير (الطرف الموجب) اقوى من الطرف الاخر واصلب منه ؛ وان يكون الطرف المنفعل (السالب) ألين منه ؛ وانعم في حساب القوة واللين .

فلا يمكن ان ينفذ المحراث في الارض ليحرثهـا ؛ من غير ان يكون المحراث اصلب من الارض واقوى منه ؛ كما لايمكن ان يتصاعد بخار المـاء من وجه الارض ؛ لو كانت برودة الماء غالبة على حرارة الشمس ؛ او لـو كانت البرودة تستعصي على الحرارة ؛ ولايمكن ان ينزل غيث من السماء

لو كان السحاب يستعصي على الرياح ؛ وعلى برودة الطبقات العليا من الجو.

وقد يختلف مستوى الطرف الواحد بالنسبة للطرف الآخر من حيث القوة واللين فيختلف أثره في حساب الزوجية تبعا لاختلاف مستواه وموقعه من عمومية التفاعل ، فيتفاعل الماء مع النار تارة فيتبخر الماء : ويتفاعل الماء مع النار أخرى فتنطفىء النار .

ولم تختلف النار في واقعها ، وانما اختلف موقعها من التفاعل فقد وقعت النار في العملية الاولى موقع الفاعل ووقع الماء موقع المنفعل من الطرف الآخر ؛ وفي العملية الثانية انعكس الامر فقام الماء بدور الفعل ومثلت النار دور الانفعال . ولاختلاف طبيعة الفاعل والمنفعل من حيث القوة واللين تجد ذكور الحيوان والانسان يبدو دائما اقوى واصلب من اناثه؛ واقدر على العمل والسعي : بينما يطبع اناث الحيوان والانسان طابع من اللين والنعومة.

وليس في ذلك شيىء من العبث والعفوية ، فقد اودع الله الطرف الفاعل من القوة والصلابة ما يؤهله للقيام بدوره الخاص في نظام التكوين واودع الطرف الآخر من اللين والنعومة مايعجزه عن التمانع على تأثير الطرف المقابل.

***

٣ ـ الجانب القيمي

وما تقـدم من حديث كان بحثا عن دور كل من الطرفين الوظيفي من نظام الزوجية ؛ وقد رأينا ان وظيفة كل من الطرفين تختلف في العلاقة الجنسية القائمة بينهما وتبعا لذلك تختلف سماتهما التكوينية وشكلهما ، الا ان هذا الاختلاف الوظيفي لا يعني وجود تفاضل واختلاف قيمي بين الطرفين في عالم الجماد والنبات او بين الجنسين في عالم الحيوان والانسان .

فكل من الطرفين لا بد منه في عملية التفاعل الزوجي في الكون ولايمكن ان تتم هـذه العملية من غير ان يتوفر الطرفان على كافـة المؤهـلات الطبيعية لذلك .

فلا يبخس الارض قيمتها ان تتصف بصفة الرخوة واللين ، كما لا يرفع من قيمة الحديد على الارض انه يتصف بالقوة والصلابة ، ولا يرفع من قيمة الشمس على الماء انها تتصف بصفة القوة والتأثير ؛ كما لايحط من قيمة الماء انه يتأثر بالشمس فيتبخر .

وكذلك في عالم الحيوان والانسان لا يعني الاختلاف الوظيفي واختلاف القابليات والمؤهلات في الجنسين وجود اختلاف قيمي وتفاضل بين الجنسين في عالم الحيوان والانسان .

وهذه هي ثالثة الجهات التي اردنا ان نقف عند كل واحد منها ، وقفة

قصيرة ؛ لننطلق منها بعد ذلك ، على ضوء من القرآن الكريم ؛ الى دراسة النظرية القرآنية في العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة .

***

ومما تقدم من حديث ؛ وبعد الالمام بالجهات الثلاثة التي انتهينا اليها انطلاقا من فهم الزوجية ؛ في اطارها الكوني العام ؛ نستطيع ان ننطلق الى دراسة النظرية القرآنية في معالجة مشكلات الحياة النسوية ؛ وتسوية مشاكل العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة في عالم الانسان .

وسيكون منطلقنا للحديث هو عرض النظرية القرآنية في المرأة ، والعلاج القرآني لمشكلة العلاقة الجنسية في حدود الجوانب الثلاثة المتقدمة ، ليتيسر لنا ان نجاري النظرية بصورة منهجية ، في حدود ما انتهينا اليه في هذا الحديث من القاعدة التكوينية لمسألة الزوجية .

وبمقتضى هذه المنهجة التي رسمناها لهذا الحديث سوف نستعرض النظرية القرآنية في هذه المسألة في الجوانب الثلاثة الآتية :

١ ــ الجانب التكويني من العلاقة الجنسية .

٢ ــ الجانب الوظيفي من العلاقة الجنسية.

٣ ــ الجانب القيمي من العلاقة الجنسية .

الجانب التكويني

من العلاقة الجنسية

الزوجية حاجة اصيلة في نفس الانسان وضرورة من ضرورات الحيـاة لا يستقر بدونهـا الانسان ، ولا يطمئن على حال ..... جبلت في فطرة الانسان ؛ وارتبط بها في اكثر من وجه من وجوه الحياة .

وحينما نقول حاجة اصيلة في النفس ، وضرورة من ضرورات الحياة وفطرة راسخة في الكينونة الانسانية نعني ما نقول ، فليست الزوجية حاجة طارئة على النفس ؛ او عرفا اجتماعيا ؛ يرتبط بظروف تاريخية خاصة ؛ وتخص اطارا اجتماعيا خاصا .

ورغم مايقوله علماء الاجتماع من ان الزوجية سلوك اجتماعي خاص لاشباع حاجة في النفس ؛ يمكن تعويضه ؛ بشكل آخر من السلوك ... نجد أن « ظاهرة الحياة الزوجية » واكبت التاريخ البشري منذ وعي الانسان نفسه ومنذ فتح عينه على الحيـاة .

ورغم ما حصـل في حياة الانسان من تطورات كبيرة لم يتغير موقف الانسان من قضية « الحياة الزوجية » . وكم كان يخطر على بال الانسان في تقلبه الدائم في احضان الحضارات ان يهجر هذه الظاهرة الاجتماعية وينبذها بعيدا عن حياته ؛ او يبدلها بغيرها ؛ لولا ان هـذه الظاهرة كانت ارسخ في نفس الانسان من أن تزول بهذه السرعة .

ولو كان هذا يدل على شيء فانما يدل على اصالة هذه الحاجة في النفس ورسوخها في الطبيعة البشرية .

فلا يكاد ان تثبت ظاهرة اجتماعية ؛ كالحياة الزوجية ؛ بمالها من ملابسات في حيـاة الانسان ؛ على امتداد تاريخها الطويل ؛ رغم التقلبات الحضاريـة الكثيرة ؛ التي لازمت حياة الانسان ؛ مالم تكن لها في النفس البشرية جذور بعيدة ؛ ومالم تكن تجد في النفس استجابة دائمة لها ورغبة ملحة اليها.

ولا تقتصر ضرورة الحياة الزوجية على هـذه الرغبة النفسية الكامنة والاستجابة النفسية الدائمة ، وانما هي تغذي ، بعد حاجة أخرى في النفس لاتقل اصالة ورسوخا عن الحاجة الى الحياة الزوجية : وهي حاجة الانسان الى ان يضمن أستمرارية بقائه من بعده ، في اعقابه ، ويواصل وجوده فيمن يخلفه من عقب بعده ، يحكيه ، ويمثله .

« جعل لكم من أنفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه »[1] .

« نساؤكم حرث لكم »[2] .

« وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءاً »[3] .

ولإصالة هذه الحاجة في النفس وضرورتها للحياة : فقد حف المبدء ، تعالى ، هذه العلاقة بضمانات تكوينية وتشريعية كافية تيسر لكل انسان أن يستجيب لها بسهولة ؛ مما قد نستعرض جزءاً منه في المجالين معا خلال هذا البحث ، في موضعه الخاص من المنهج الذي رسمناه لهذا الحديث .

---

(١) الشورى : ١١ (٢) البقرة : ٢٢٣ .

(٣) النساء : ١

الاستقرار والركون

والقرآن الكريم لايستعرض قضية الزوجية في نطاق الاشباع والنهم الجنسي في النفس البشري فحسب ، وانمايتعدى هذه الحاجةالى الحاجة الى الاستقرار والركون .

والحاجة الى الاستقرار والركون في الحياة الاجتماعية والشعور النفسي بالاطمئنان شيء اوسع بكثير من الحاجة الجنسية .

فليس كل حاجة الانسان الى الحياة الزوجية ان يقضي الوطر من الجنس المقابل ..... والا كان من ايسر الامور انيقضي كل من الرجل والمرأة هذه الحاجة في نفسه عن غير طريق الزواج وتكوين الاسرة ، ومن دون أن يربط نفسه بعشرات المشاكل التي تنبثق عن الحياة العائلية ، وعشرات القيود ، التي تثقل كأهل الرجل والمرأة معا ، في هذه الحياة .

ولا احتاج الى الاطالة في الحديث ، لا ضع يد القاري على حدود هذه الحاجة وابعادها في النفس البشرية ، فلا يكاد يدخل الانسان دور المراهقة من حياته حتى يجد في نفسه شعورا قويا بالحاجة الى الجنس الآخر في ظلال حياة زوجية يرتبط بها ، وتكون له محورا لنشاطه وسعيه .

ووحشة كبرى ، وفراغ واسع يأخذ على الاعزب حياته ، لا يملؤه شيء من أسباب اللهو والتسلية التي ابتدعها الانسان لملأ هذا الجزء الفارغ من نفسه ، من حانات الخمور وموائد القمار ، وضجيج الموسيقى ، وصخب

الغناء .

فيمشي في الشوارع ، ويطرق النوادي ، ويرتاد الحفلات الصاخبة ، ويتقلب مع الآخرين في وجوه الخير والشر في هذا الخضم البشري .... وينتابه شعور بالخجل أن يظهر في المجتمع وحده ، عاريا من « شريكة حياة » كما يخجل الانسان أن يخرج الى الناس في اجتماعاتهم عاريا عن الثياب .

صورة رائعة عن الحياة الزوجية

وارغب ان اعرض على القاريء الكريم هنا هذه الصورة البيانية الرائعة للحياة الزوجية عن القرآن الكريم .

« هنّ لباس لكم وانتم لباس لهن » (١) .

أرأيت جمال هذا التعبير وروعة هذا التصوير ؟

فكما ان اللباس يستر الانسان عن الحر والبرد ، ويصونه عن الاذى ، كذلك الحياة الزوجية تحفظ الانسان من الانزلاق ، وتعصمه في جو من العطف والرحمة التي تظلل الاجواء العائلية عن شدائد الحياة ومكروهاتها ، وتحفظ جسد المرأة عن الانظار الجائعة الشرهة ، انها حصن للرجل وستر للمرأة .

ارأيت الشاب والشابة غير المتزوجين ، انهما يشبهان العراة ، يجرون في الشوارع ويلتقون بالناس ، ولا يسترهم هذا الستر الجميل الذي اضافته

(١) البقرة : ١٨٧ .

عليهم الفطرة .

فلا شيء يحفظ الرجل عن الانزلاق ، وعن شدائد الحياة ومكروهاتها ، ولا شيء تطمئن اليها المرأة في الحياة ، ويسترها عن النظرات الشرهة غير الحياة الزوجية .

أن كل عين تلحظها ، وهي عارية عن ستر الزوجية ، تشعرها انها تحاول ان تلتهمها بنظراتها الجائعة .

وفي الحياة العائلية وحدها ، وفي جو الزوجية فحسب .... يجد الانسان استقراره وهدوئه ، فيطمئن بها ، ويركن اليها ، ويستريح الى ما فيها من هدوء وانسجام .

تشعر المرأة انها ليست وحدها تعيش في خضم الحياة ، تتقاذفها الموجات بقوة ، ومن غير رحمة ، وانما هي تعود الى بيت ، وتتعلق برجل ، يقف الى جانبها ، ويمدها ويعينها ، في أمرها ، وان هناك اطفالا صغارا وكبارا يتعلقون بها ، ويخصوها ، هي وزوجها ، دون الآخرين .

ويشعر الرجل كلما خاض غمار الحياة ، من وراء لقمة العيش انه لايضيع في زحمة الحياة وضجيجها ، ولا يتيه في غمار هذا الخضم ... فأن هناك محورا لنشاطه وسعيه ، وهو البيت ، وان هناك ملجأ يلجأ اليه اذا جن عليه الليل ، وان هناك امرأة تتعلق به وتنتظره في البيت ، تستقبله حين يعود الى البيت وقد اجهده التعب ، واضناه العمل ، طيلة النهار .... وعلى شفتيها ابتسامة ، وفي قلبها حب ، وان هناك اطفالا صغارا ينتظرونه ، ولا تأخذ عيونهم النوم قبل ان يلتقوا به ، يملأون البيت ضجيجا وعجيجا كلما حل عليهم ابوهم في البيت .

ان الرجل المتزوج يشعر ، وهو يعود الى البيت ، كل هذا الشعور فيملؤ قلبه الاطمئنان ، والرضى ، وتعلو شفتيه ابتسامة حلوة لايسعها الفضاء ولا تسعها الحياة .

زهرة النيلوفر :

ارأيت وردة النيلوفر تلتف حول السنديانة ، وتعتمد عليها ، وارأيت كيف تسندها السنديانة ، وتعطيها من نفسها ، بلطف وحنان ، كما يحتضن الام طفلها الصغير المدلل .

فاذا هبت زوبعة ، وتهشمت اغصان الشجرة التي كانت تسند الوردة من قبل ، فسوف ينقلب الموقف ، وتلف الوردة اغصان السنديانة بعطف وحنان كبيرين ، وتحفظها عن السقوط وتلقي السنديانة نفسها في احضان الزهرة الي كانت تحنو عليها من قبل ؟ كذلك الحياة الزوجية جو مشبع بالعطف والحب ، يملؤه الرضا ، ويظلله الحنان .

تلقي المرأة بنفسهـا في احضان الرجل ، بدلال ، ليسندها في الحياة وليعيلها ، ويوفر لها الحياة السعيدة ، وليكون لها سترا جميلا ، ويحتضنها الرجل ، ويرعاها بحبه وعطفه الكبيرين ، ويحتمل ثقلها ، غير شاعر به ، اذا كان في الحياة الزوجية ثقل .

فاذا امتحن الدهر رجلا ببعض ما يمتحن به الرجال وأبتلاه بشيء من البلاء ، وهزته زوبعة من زوابع الدهر ، مما يلاقيها الرجال في مضطرب الحياة ..... عاد الرجل كسيرا الى البيت ليلتجأ الى احضان زوجته ، وليطمئن اليها ، ولتستقبله هي بقلبها العامر بالحب والرضا ، والعطف ، ولتحنوا عليه ، وتسبغ عليه فيضا من حنانها وعطفها .

فينسى في هذا الجو المشبع بالرضا والود وجه الحياة المكفهر ، وصخب الحياة ، وضجيجها ، ومكروه الدهر ، وشدائده ، كما كانت السنديانة تلقي بنفسها بين ذراعي الزهرة كلما قست عليها زوبعة قاسية في الجو .

كذلك الحياة الزوجيـــة في نظر القرآن الكريم ، هدوء ، وأستقرار ، واطمئنان ، وركون ، تظللها المودة ، وتشيع عليها الرحمة .

« ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا ، لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » (١) .

هكـــذا .... في هذا الجو المشبع بالسكون والاستقرار ، والمودة ، والرحمة .... يستعرض القرآن الكريم العلاقة الزوجية بين الجنسين .

---

(١) الروم : ٢١ .

جاهليتان

وما تقدم من حديث يكفي ليبرز الوجه التكويني لمسألة الاسرة والزوجية.

فقد وجدنا أن الحياة الزوجية والاستقرار ، والاطمئنان ، الذي يجده الانسان في ظلال هذه الحياة الآمنة ، هي الغاية من توفير القابليات الجنسية في الجنسين الذكور والاناث .

ووجدنا ان الوضع الطبيعي للعلاقة الجنسية ، انطلاقا من القاعـــدة التكوينية التي أنحدرنا عنها ، هو الحياة الزوجية او الاسرة .

وعرفنا نظرية القرآن الكريم في ذلك .

ونحن الآن أزاء جاهليتين .

جاهلية قديمة كانت تستبشع الحياة الزوجية ، وجاهلية حديثة ، تدعوا الى التحرر من قيود الزوجية والاسرة .

وسوف نبرز بأيجاز وجه كل من هاتين الجاهليتين ..... لنجد كيف تدفع الجاهلية بالانسان ، عبر التاريخ ، في عصر الحجر وفي عصر الذرة ، سواء ، الى الانحراف عن فطرته وطبيعـــه وكينونته الخاصة ، وكيف تدفعه الى الشذوذ عن سنة الكون الذي يحيطه ، والذي نشأ فيه ، وكيف تدفعه الى أن يركب رأسه ، ويعاند كل شيء في الكون ويعاكس مجرى الحياة ، بأصرار والحاح .

الجاهلية القديمة

كانت الفلسفات اليونانية والرومانيـة والهندية واليهودية والمسيحيه تستبشع المرأة ، وتحبب الى أتباعها اجتناب الحياة الزوجية ما امكنهم ذلك .

فلم تكن المرأة في نظر هذه الفلسفات بالكائن الذي يستحق ان يقترن بها الرجل ، ليكوّن معها حياة زوجية .

ففي الفلسفة اليونانيـة كانت المرأة تعتبر ينبوع جميع آلام الانسان ومصائبه ، وكانت تباع وتشتري في الاسواق كسقط المتاع ، من غير ان تملك من أمرها شيئا .

وكان علماء الهند القدماء يعتقدون ان الحياة العائلية تمنع من تقـدم الانسان .

وكان الهندوس يؤمنون بأنه ليس الصبر المقدر ، والريح ، والموت ، والجحيم ، والسم ، والافاعي ، والنار ، اسوأ من المرأة .

والمسيحية كانت تبرز وجه المرأة بصورة بشعة ، مخيفة .

يقول : « سوستام » :

« أنها شر لابد منه ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الاسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة ، ومصيبة مطلية مموهة » .

ويقول ترتوليان «انها مدخل الشيطان الى نفس الانسان ناقضة النواميس الله ، مشوهة لصورة الرجل » (١) .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون : ٢٠ .

ولم يكن يختلف الامر في الجاهلية العربية عن الجاهليات الاخرى بكثير.

والفارق كبير بين النظرية القرآنية والنظريات الجاهلية .... بين ان تكون المرأة والحياة الزوجية شرٌ لابد منها ، وجحيم لايطاق ، وافعى تلدغ .... وبين ان تكون المرأة شريكة الرجل ، وقرينته ، وشقا منه ، وتكون الحياة العائلية مبعثا للاطمئنان والاستقرار والركون في الحياة وضرورة لابد منها .

الجاهلية الحديثة

وكانت الجاهلية الحديثة ابشع من الجاهلية القديمة في معالجة مسألة الجنس والزوجية ، فقد حاولت الجاهلية الحديثة ان تحرر الانسان المعاصر من قيود الحياة الزوجية وتزعزع كيان الاسرة ، وتقضي على حاجة الفرد الجنسية عن غير طريق الاسرة [1] .

---

(١) تقل نسبة الزواج في أميركا بصورة واضحة ــ وبعكس ذلك تزداد نسبة الطلاق بصورة واسعة ، وتشمل نسبة ٢٥٪ من مجموعة الزيجات .

ويعود السبب في هبوط مستوى الزواج في اميركا الى الحرية المطلقة التي يمارسها الشاب والشابة الامريكية في حياتهما الجنسية بصورة فظيعة .

وقد أدت مثل هذه الحرية الى تهديد الكيان العائلي في أميركا .

وقد كتبت مجلة (تايم) الامريكية قبل حين ان (العذرية) قد فقدت خلال الخمسة عشر سنة الاخيرة اهميتها ، وعادت مسألة غير ذات اهمية بالنسبة الى الفتيات .

وقد اساء الانسان المعاصر فهم المرأة كما أساء فهم مكانة المرأة من المجتمع . فقد عادت بالمرأة الى الجاهلية الاولى ، حين كانت المرأة سلعة تعرض للبيع والشراء كما يعرض سقط المتاع .

عادت الحضارة الحديثة لتعيد المرأة الى الجاهلية الاولى ، فأستغلت المرأة للعرض التجاري المبتذل في أسواق الخلاعة ، واستغلت مفاتن المرأة ، وجسدها ، وحديثها ، وابتسامتها للتجارة في الصحف ، والسينما ، وحتى على علب البسكويت والحلوى .

وقد دلت الاحصائيات ان ١/٦ من الفتيات الامريكيات يتزوجن وهن حاملات من علاقات جنسية سابقة .

وقد ارتفعت نسبة الفتيات اللائي وضعن اولادا عن علاقات جنسية غير مشروعة ، وذلك من الفتيات اللاتي يقل أعمارهم عن العشرين سنة ٠٠٠٠ من ٨ر٤ في الالف في سنة ١٩٤٠ الى (١٦) في الالف في سنة ١٩٦١ .

وارتفعت النسبة بين الفتيات اللائي يتجاوزن العشرين سنة الى خمسة وعشرين من (١١) في الالف الى (٤١) في الالف .

مجلة خواندنيها العدد ٧٤ السنة ٤٥ .

وفي احصائية أخرى يذكر أن :

(عدد الزيجات في اميركا في سنة ١٩٤٦ بلغ ٠٠٠ر٢٩١ر٢ زيجة أي ما يساوي نسبة ١٦٤ في الالف وفي سنة ١٩٥٦ بلغ عدد الزيجات (٠٠٠ر٥٨٥ر١) أي ما يساوي نسبة ٩٥ في الالف) .

وحسب هذه الاحصائية فقد هبطت نسبة الزواج في عرض عشر ٥ سنوات الى النصف .

« المشاكل الاجتماعية : تاليف محمد الشبستري ص ١٨٦ »

وعرضت جسد المرأة على شاشة السينما ، وفي ابهاء المسارح ، كما يعرض شيء من سقط المتاع على معارض المحلات التجارية ، وكما تعرض الحيوانات الغريبة في حدائق الحيوان ، واستغلت مفاتن جسد المرأة للدعاية التجارية على اغلفة المجلات ، كما تعرض صور سيارات الشوفرليت ومراوح فيليبس على اغلفة المجلات .

شعور المرأة بالابتذال

والمرأة ، بعد ، انسانة ، شاعرة ، قوية الاحساس مرهفة المشاعر ، واثقة بنفسها ، حريصة على قيمتها الانسانية في المجتمع ، لاتفوتها هذه اللفتات التي تشعر بها نحن الرجال من بعيد .

فهي في الوقت الذي تعيش على قمة الشهرة ، وعلى سماء هو ليوود ، وبين اضواء الآف الاستوديوهات ، وفي ضجيج التصفيق الحاد الذي تتلقاه على خشبة المسرح ..... تشعر بالابتذال والضعة ، وبأن الجمهور المعجب بها يعريها عن أية قيمة انسانية ..... وفي الحين الذي تنشر لها المئات من مجلات (الفن) الصور المثيرة العارية ، وتعرض مئات الاستوديوهات صورها في المعارض العامة ، وتتناول عشرات الآلاف منها ايدي الشباب من « هواة الفن » ... تشعر في دخلية نفسها ، بوضوح ، انها تعرض جسدها على الرجال ، كما تعرض السلعة في السوق ، وانها تساوم الرجال بجسدها ، لتتقاضى منهم أجرا على ما تبذل لهم من متعة الجسد ، وانها تفقد القيمة البشرية التي يملكها الآخرون ، ممن لايملكون جزءا من مكانتها وصيتها وثرائها .

نصيحة من مارلين مونرو

وكمثل عما تعانيه المرأة من الشقاء النفسي في هوليوود ، وباريس ، وغيرهما من مراكز الفن السينمائي نعرض جانبا من حياة ووفاة مارلين مونرو ، النجمة السينمائية الشهيرة ، التي انتحرت قبل اربع سنوات ، وهي على قمة المجد والشهرة والجمال .

أكتشف المحقق الذي يدرس قضية انتحار مارلين مونرو رسالة محفوظة في صندوق الامانات في نيويورك .

والرسالة نصيحة بخط « مونرو » الى فتاة تريد ان تدخل السينما تقول لها مارلين :

« احذري المجد ..... احذري كل من يخدعك بالاضواء ... اني اتعس امرأة على هذه الارض ... لم استطع ان أكون اما ..... اني امرأة افضل البيت .. الحياة العائلية الشريفة على كل شيء . ان سعادة المرأة الحقيقة في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل ان هذه الحياة العائلية لهي رمز لسعادة المرأة بل الانسانية .

وفي النهاية تقول :

لقد ظلمني كل الناس ..... وان العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة .... مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة .... اني انصح الفتيات بعدم العمل في السينما وفي التمثيل » [1] .

---

(١) مجلة حضارة الاسلام ج ٣ ص ٣٣ .

لماذا انتحرت مارلين مونرو

ووجه السؤال نفسه الى بطل افلام رعاة البقر المشهور « هيك او بريان » فأجاب :

« انهن كالمسحورات ، أمنية الواحدة منهن ان تضيف الى شعرها الا شقر صبغة جديدة ، وأن تستعمل آخر مبتكرات مساحيق ماكس فكتور ، ناسية ان الجمال لايدوم ، وان الجمهور لايرحم وسريع النسيان .

« وهوليود تعرف كيف تفتك بهؤلاء الممثلات اللواتي لايعرفن السعادة أبدا وترى الواحدة منهن قبل ان تكبر تفضل الموت على الحياة » .

وسأل عن رأيه في انتحار مارلين مونرو الممثلة المشهورة فقال :

« كنت في لندن عندما سمعت بموتها ، ولقد صدمت لهذا الخبر .... ان هوليود هي السبب المباشر بمقتلها ، وان هوليود تتحكم بعمالقة السينما فتدفعهم ساعة تشاء ... وتقضي عليهم ساعة تشاء . لقد قست هوليود كثيرا على مارلين وعاملتها معاملة احتقار ، بعد ان أستغلتها وهذه

الطريقة من المعاملة لها اخصائيون في هوليود ، انهم يعرفون ، وفي الوقت المناسب كيف يقضون على الفنان الذي يكون قد امضى زهرة شبابه تحت أضواء الاستوديوهات والنظام القاسي المعمول به .... ولا اريد أن اتكلم به اكثر من ذلك ، لأن ظروفي لاتسمح لي » .

وقال :

« لقد كنت على علم بأنها ستموت قبل ان تموت ، كنت انتظر لها مثل هذه النهاية التعيسة » وأضاف « ان فاتنات هوليود اكثر نساء العالم تعاسة ... انهن دمي بيد تجار هوليود ، وما على الفنانة لكي تصل الى الشهرة إلا ان تبيع نفسها وارادتها وكرامتها ، ثم لاتلبث ان تأتيها الضربة القاصمة ، بعد ان ينتهي دورها وتستنفذ مواهبها » (١) .

---

(١) المصدر السابق .

تجارة الجنس

وقـد استدرجت حضارة القرن العشرين المرأة الى أسواق النخاسة والتجارة ، وسلبتها كل قيمة بشرية .

وقد عرف نخاسوا القرن العشرين كيف يستذلون المرأة ، وكيف يثيرون نهمـة الجنس في نفوس الشباب ، ويجدون الطريق الى جيوبهم بسهولة ويسر .

ولم يقنع (تجار الرقيق الابيض) بهذا القدر من استرقاق المرأة وانما حاولوا ان يجعلوا من المرأة اداة طيعة لخدمة الاهداف السياسية والشبكات الجاسوسية العالمية .

وتمخضت العبقرية السياسية في القرن العشرين عن تطويع المرأة ، كجسد غض مثير ، للاغراض السياسية والجاسوسية وتحويلها الى اداة طيعة لخدمة الجاسوسية العالمية .

وهذا كل ما تكنه الذهنية التقدمية من تقدير واحترام لجنس الانثى .

ولا تزال الصحف والناس يرددون اصداء فضيحة وزير الحربية البريطانية مع (كريستن كيلر) البغية المعروفة .

حيث تمكنت الاتحاد السوفيتي من استدراج وزير الحربية البريطانية

الى الكشف عن الاسرار الحربية الانجليزية عن طريق (كيلر) بكل بساطة .

وهذه هي القيمة الواقعية التي تضفيها حضارة التحلل على شخصية المرأة (الانسانة) .

فلا يتاح لهذه الحضارة تطويع المرأة للاغراض الجاسوسية والسياسية .

لو كانت تحافظ على كرامتها كأنسانة وعلى شخصيتها كام وزوجه .

وكان رمز هذا التقدير الجاهلي لشخصية المرأة ان تلقت (كيلر) عرضا من بعض دور النشر بشراءً مذكراتها عن الفضيحة السياسية التي خاضتها بمبلغ ٨٥ الف دولار اي بما يقارب من (٣٤) الف دينار .

وتلقت عروضا اسخى من ذلك من المخرجين السينمائيين بتمثيل الدور الجنسي ــ السياسي الذي قامت به ببراعة .

وهذا هو كل تقدير الحضارة الجاهلية لشخصية المرأة .

الأدب في خدمة الغريزة

كل ذلك ، وكثير مما لم نذكره ، ولا نعلم به ، وربما لاتسعه تصوراتنا الساذجة ، من حساب الجاهلية الحديثة ، أدى الى شيوع التحلل الخلقي والفساد والابتذال بين الشباب والشابات ، وجاء الادب الحديث ليمد هذه الموجة الجارفة ، ويزيدها دفعا ، وقوة ، وامعانا في الهدم والتخريب ووجدت الجاهلية الحديثة في الادب السافر سلاحا مؤثرا ، قوي التأثير ، نافذا قوي النفوذ ، وجاء كتاب كبار ، خلقتهم الجاهلية الحديثة ونفخت فيهم من روحها ، وملأتهم ، كما تملأ الا عيب الاطفال ، فتعود تتحرك بنفسها ، جاء كتاب كبار ليبرروا هذا الابتذال ، وانهيار الكيان العائلي في المجتمع ، وشيوع الفحشاء وانتشار الرذيلة في كلام فارغ يسير ، يجاري العاطفة ، وينافر العقل .

ومن هؤلاء جورج ساند احدى اقطاب المدرسة الروماتنيكية في الادب، التي كانت موضعا لاعجاب الشباب البالغ في فرنسا • تقول في روايتها المشهورة ليليا : ــ

(كلما استزيد النظر في هذه الدنيا ، واتقدم في تجاربها ، استشعر بمدى الخطأ البعيد في أفكار شبيبتنا • فما اخطأ الفكرة القائلة يا صديقي • بأن الحب يجب ان يكون مقصورا على حبيب واحد • ثم يكون ذلك الحب المحدود متوليا على القلب ، نافذا منه الى الصميم ، ويجب ان يكون ابديا سرمديا) •

(ولم ابدل رأيي ولم اصالح المجتمع ، وان النكاح في رأيي لاقطع الطرق الاجتماعية واكثر همجية ، وان كتب للجيل الانساني ان يتقدم حقا في طريق العقل والعدل فليأتين حين من الدهر يلغى النكاح ويستبدل به طريقة أخرى لاتقل عنه قداسة وطهرا ، ثم تكون ادنى الى التهذب والانسانية ، حينئذ سيتألف الجيل الانساني من رجال ونساء متسامحين لن يتجرأ احد منهم على حرية الآخر •

نظرية مالتوس :

وبعد ذلك جاء العلم ليخدم الجاهلية الحديثة •

أو جاءت الجاهلية الحديثة لتستخدم سلاحا جديدا ، اقوى من الادب وادنى منه الى العقل ، وكان له ذلك وطاوعها العلم ، فجاء ما لتوس العالم

الاقتصادي الانكليزي ليقول :

« ان نسبة تزايد السكان في العالم لاتلائم نسبة تزايد الغذاء في الطبيعة، ولذلك فلو مضت البشرية في التناسل والتوالد على هذا الغرار ، فسوف يقضي عليهم الجوع في وقت قريب » .

ولكي نأمن من هذا الخوف يجب ان نحتاط كثيرا في الزواج ، وان لايقدم الانسان على الزواج الا في سن متأخر ، وحاجات الشباب الجنسية تقضى عن طريق البغاء ، ثم تمنع نتيجتها ، أي الحمل بالوسائل الطبية الحديثة » .

ويقول الدكتور دربيسدل : ــ

« الحاجة ماسة الى أتخاذ التدابير التي تجعل الحب من غير قيد ومما يسر ان سهولة الطلاق في هذا الزمان لاتزال تمحق طريقة النكاح رويدا رويدا ، ولم يعد النكاح الآن الا معاهدة بين شخصين على المعاشرة وهذه هي الطريقة الوحيدة للارتباط الجنسي » .

وما تقدم من حديث يكفي لنلمس أبعاد المشكلة الجنسية في الوقت الحاضر ، ولنلمح شبح الخطر المخيف الذي يهدد مستقبل الانسان في الغد القريب ، فيما لو أصر الانسان على ان يركب رأسه بعناد ، ويواصل خطواته هذه بلجاج .

ولا يصعب على القاريء ان يجد طلائع هذا الخطر في الغرب ، في أوروبا ، وفي امريكا ، حيث يشيع الفحشاء والبغاء بين الفتيان والفتيات وتكثر وسائل الاغراء والاثارة .

ونحن لانريد هنا ان نناقش شيئا من هذه الاعمال التي تقوم بها الجاهلية

الحديثة ، كما لانريد ان نناقش النظريات الفلسفية والادبية التي تستخدمها الجاهلية الحديثة لتبرير هذا الواقع .

..... لا نريد شيئا من هذا وذاك ، وأنما قصدنا من الاسهاب في هذا الحديث ان نضع ايدي القراء والمعنيين بالاصلاح على أبعاد المشكلة الجنسية والانحراف الجاهلي في معالجة هذه المشكلة .

الخطر يهدد الجيل القادم :

والخطر على خطوات منا ، وسيصيب الجيل القادم بلا ريب . فقد وفر الطب للبغاء العالمي وسيلة المنع عن الحمل . وكان الحمل من قبل عقبة في طريق البغاء . فأزيحت هذه العقبة ، وكان على يد الطب ، وقد قدر عدد ضحايا عقاقير الحمل في فرنسا سنويا ستمأة الفا . وعدد ضحايا اسقاط الحمل اربع مائة الفا .

والطفل السعيد الذي يفلت من هذه العقاقير ومن عمليات الاجهاض يلقى بجفاء في بعض دور الحضانة العامة ، وفي هذه الدور ينشأ اللقطاء بعيدين عن عطف الامومة ورعايتها وفي أجواء جافة ، لاتوحي بالعطف ، ولا تشعر بالحب ، ولا تشف عن مودة ، ومهما تبالغ دور الحضانة في رعاية اللقطاء وحضانتهم ، فلا تبلغ جزءاً من رعاية الام وعنايتها بطفلها وحنانها عليه [1] .

(١) ذكرت مجلة (ويسبر) الامريكية : ــ
انه يوجد في امريكا ١٠،٠٠٠،٠٠٠ طفلا لقيطا .

والاطفال والاشخاص غير الاسوياء في الغالب لم تتوفر لهم في سني الطفولة محيط عائلي هادىء وحنان الامومة وعاطفة الابوة ، مما ترك أثرا سيئا عميقا في نفوسهم .

فالطفل الذي لايتذوق طعما لحنان الامومة وعطف الابوة ينشأ نشأة غير سوية ، وينطوي على عقد نفسية مستعصية .

ولا يسد هذا الفراغ في نفس الطفل ما يجده من (عواطف الناس العرباء) ، فلا يكاد ان تسد أية عاطفة الفراغ الذي يملأه عطف الاب وحنان الام في نفس الطفل .

ويؤدي بهم هذا الفراغ النفسي كثيرا الى نضوب عاطفي في نفوسهم ، مما يدفعهم كثيرا الى ممارسة الاعمال الاجرامية بقسوة ووحشية .

وقد يؤدي بهم هذا الفراغ العاطفي والفقر النفسي الى شعور مقيت بالحقارة مما يدفعهم في الغالب الى محاولة مستمرة للظهور والفات الانظار اليهم بأي ثمن .

ويعتبر علماء النفس والتربية ذلك عاملا هاما من عوامل الانحراف الجنسي

وفي احدى مدن بريطانيا رفع تقرير الى جمعية الشؤون الاخلاقية للبلد عن وضع اللقطاء فكان مما فيه ان عدد اللقطاء يبلغ في هذا البلد معدل ٥٠٪ من المواليد (مجلة آسياي جوان) الايرانية : العدد / ٤٥٩ وقال الدكتور جورج ولا نشتاين في مؤتمر النساء الفحشاء العالمي ستحمل في سنة ١٩٦٢ أكثر من ٠٠٠ / ١١٠ بنت في امريكا يقل اعمارهن عن العشرين عن غير طريق الزواج ، واضاف سيلد في السنة الآتية في الولايات المتحدة ٠٠٠ / ٢٠٠ طفل بصورة غير مشروعة . جريدة كيهان ٥١٧٣ .

والسلوكي في حيـاة الرجال والنساء ، وبصورة خاصة في حيـاة الشباب والشابات غير الاسوياء .

ففي الحرب العالمية الثانية أبعد كثير من البيوتات الانجليزية اولادهم من انجلترا الى كندا لئلا يصيبهم شيء من كوارث الحرب المحتدم في بريطانيا.

وبعد انتهاء الحرب حينما أستعادت البيوتات البريطانية اولادها من كندا لوحظ ان كثيرا من اولئك الاطفـال قد اصيبوا بمرض العصاب ، نتيجة لابتعادهم عن اجواء البيت وانتهى (آنا فرويد) بعد دراسة طويلة لهؤلاء الاطفال بالمقارنة مع الاطفال الذين بقوا لدى ابائهم وامهاتهم في انجلترا تحت رحمـة الحرب الكونيـة الى أن اخطار الحروب والقنابل في نفس الطفل وشخصيته لاتوازي خطر الابتعاد عن البيت والحرمان من حنان الامومـة وعطف الابوة .

والمرأة اصبحت سلعة خطرة :

وفقدت المرأة من جراء هـذه الحياة الجاهلية قيمتها الانسانية كأمرأة تشارك الرجل في الحياة وتقترن به في محيط الاسرة واصبحت سلعة تعرض للبيع والايجار في اسواق تجارة الرقيق الابيض .

وكانت سلعة خطرة ، ليست كبقية السلع ، التي تعرض في السوق بين حين وحين .... او شكت ان تشل روح الحركة في الشباب ، وتبعث الخدر في اعصابهم .

والامومة امنية حلوة من أماني المرأة ، لايحل محلها شيء . ومهما تبلغ المرأة من الشهرة والمكانة الاجتماعية ، فلا تخلو الى نفسها ، حتى تحن الى الامومة ، وتحن الى محيط العائلة ، والى اطفـال صغار هم وكبار تحفهم

بعطفها وحنانها والجاهلية الحديثة مهما اوتيت من قابلية في الاثارة والاغراء والتزويق فلا تكاد ان تسد هذا الفراغ العاطفي في نفس المرأة .

فتشعر المرأة خلال هذا الفراغ بالضياع والحقد على الاطار الاجتماعي الذي جعل منها دمية حلوة وسلعة للتجارة في أسواق التسلية والترفيه، ولم يجعل منها انسانة وأماً .

والرجل اصبح شقيا لاقرار له :

والرجل كذلك اصبح تائها لاقرار له في الحياة ... يتيه في زحمة الحياة ، ولا يجد لنفسه مستقرا يستقر اليه ، ولا ركنا يركن اليه . فاذا انتهى النهار من عمله ، عاد يجري في الشارع الى احدى المطاعم في الطريق ، ليتناول وجبة من الطعام ، اوتوماتيكيا ، في ركن من اركان المطعم ، وبين اناس لايعرفهم ، في وحشة روحية ، وفراغ نفسي كبير ... كما تتناول السيارة وجبتها من الوقود عند محطات البنزين .... ثم يجري الى دار من دور السينما ، ليشاهد فيلما مثيرا في الغرام او الاجرام ... ثم يجري على رجليه الى دار من دور البغاء ، ليصيب حظا من متعة الجنس في محيط قذر يوحي بالقذارة والتعاسة ، لقاء نقود يلقيها الى المرأة كما يلقيها الى سائق السيارة .. ويعود أدراجه الى غرفته في الفندق ، تحمله قدماه بجهد .... ويأوى الى فراشه في ركن من الغرفة يملأه الظلام والسكون والوحشة الرهيبة والفراغ المرعب، ليعود غدا الى عمله من جديد . . . في حياة رتيبة ، يطبعها التكرار والملل ... كما يجري الترام على خط خاص الى نقطة خاصة ، ليعود المسافة نفسها بعد ذلك ، كذلك كانت الجاهلية الحديثة كما كانت من قديم مبعثا للشقاء ، ومصدرا للاضطراب والقلق في حياة الانسان .

وكذلك يكون مصير الانسان حينما يركب رأسه بعناد ولجاج ، وينحرف عن سبيل الفطرة ، ويعاكس السماء .

« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »[1] .

(١) الطلاق : ١ .

الجانب الوظيفي

من العلاقة الجنسية

قبل ان نستدرج في هذا الجانب من الحديث ، ارغب ان يستعين القاريء بذاكرته ليستعيد ما سبق ان رسمناه من منهج لهذا الحديث .

فقد حاولنا ان ننطلق لمعالجة مشكلات الحياة الزوجية من القاعدة التكوينية للمسألة على ضوء من القرآن الكريم . ورأينا ان قضية الزوجية في حياة الانسان لاتنفصل عنها في حياة الحيوان ، كما لاتنفصل عنها في الكون الرحب .

وكل واحد من طرفي التفاعل الزوجي يقوم بدور خاص ، يختلف عن الدور الذي يقوم به الطرف الآخر . وقد هيأ الله تعالى ، لكل من الطرفين في علاقة الزوجية الكونية ما يهيئه للقيام بدوره الخاص في ذلك .

فتختلف اذن وظيفة كل من الزوجين في العلاقة الزوجية في الطبيعة وتبعا لاختلاف وظيفتهما .... تختلف كينونتهما الطبيعية الخاصة .

وهذه المسألة هي الجانب الوظيفي من العلاقة الزوجية التي نحاول ان نتفرغ لها في هذا الجزء من الحديث .

* * *

وبأمكان الباحث ان يقول : ان قضية الزوجية الاولى في الكون هي التفاعل الذي يحصل بين الزوجين لتقرير مصير هذا الكون .... وما عرضناه صدر هذا الحديث من شواهد للتفاعل بين الازواج الكونية من الكترونات وبروتونات ، وذرة وذره ، وماء وحرارة .... يكفي للتدليل على ذلك .

والتفاعل بطبيعته يقتضي قيام أحد الطرفين بمهمة الفعل والتأثير وقيام الطرف الآخر بدور الانفعال والتأثر ... فتقع اعباء العمل والسعي والجهد على طرف : بينما يقف الطرف الآخر موقف المنتظر الذي يعرض نفسه لحصيلة

جهد الطرف الآخر ولا يشاركه في الجهد والعزم والعمل ، اذا صحت هذه التعبيرات على صعيد القضايا الكونية .

واذا صح ان الطرف المنفعل يبدي شيئا من الجهد .... ففي مقاومة التأثير ومعاندة الفعل الذي يقوم به الطرف الفاعل .

والمعاندة شيء تختلف عن العمل والعزم والتأثير ..... انها معاكسة عزم الاطراف الاخرى ومقاومتها . فاذا أشعلنا نارا تحت اناء من الماء ، كان موقف النار هو موقف الفاعل المؤثر في هذه العملية الزوجية بينما يكون موقف الماء موقف المنتظر المترقب لتأثير النار عليه وتحويله الى بخار وحسب . واذا صح ان الماء يقوم بشيء من هذه العملية فليس هو المشاركة العملية مع النار ، وانما هو معاكسة عمل النار ومعاندة الحرارة .

ونغرز الابرة في الثوب ، فيكون الضغط والغرز والثقب من جانب الابرة ، ولا يقوم الثوب بغير الانتظار والترقب لنتيجة العمل ، ومعاندة عمل الابرة ما امكنه ذلك ، والتمنع عليها .... ثم استقبال التأثير من الطرف الفاعل أخيرا ، عندما تعوزها الحيلة في المعاكسة وتضعف عن المعاندة والتمنع .

وهذه خاصة أصيلة في تكوين الزوجين ، لا نضيفها نحن اليهما من « عنديانتا » وانما نستوحيها من أعمق اعماق التكوين الزوجي ، ومنه نستطيع ان ننطلق في تمييز كل من تكوين الطرف الفاعل عن الطرف المنفعل في العلاقة الزوجية .

١ ـ فالتكوين الخاص بالطرف الفاعل يتصف بالقوة والشدة والصلابة ، التي تؤهله للتأثير في الطرف الآخر والجري نحوه والعناية به ... بينما لا يلزم الطرف الآخر هذه الشدة والصلابة والقوة ، بطبيعة دوره الانفعالي في الطبيعة .

فلا يتم تبخير الماء اذا كان النار اضعف من الماء ... كما لايتم غرز الابرة ، اذا كانت الابرة ألين من الثوب .

٢ ـ والتكوين الخاص بالطرف المنفعل يتصف بترقب التأثير من الطرف الآخر ومعاندته تيسر له ذلك ، واستقبال التأثير أخيرا عندما تعوزه الحيلة .

وعبثا لايجهد الطرف الفاعل نفسه في السعي وراء الطرف الآخر ، والجري خلفه ، للتأثير فيه والعناية به .

فلابد ان يكون هناك سر في تكوين كل من الطرف الفاعل والمنفعل ... يبعث الطرف الفاعل على أن يجري نحو الطرف الثاني ، ويندفع اليه ، ويلتف حوله ، ويحيطه بشوق ، ولهفه ، ويضمه في حنان الى نفسه ..... في الوقت الذي يقف الطرف المنفعل موقف اللامبالاة او موقفا يشبه ذلك . ولا يكون عبثا كل هذه اللهفة والشوق والحنين ، ولا يكون عفوا كل هذه اللامبالاة والدلال .

فقد اودع الله ـ تعالى ـ في الطرف المنفعل خاصة الجذب ، كما اودع في الطرف الفاعل خاصة الميل ، فما لم يتوفر في القطع الحديدية ميل نحو المغناطيس ، ولا يتوفر في المغناطيس جذب لقطع الحديد ، لايمكن أن تجري قطع الحديد نحو المغناطيس ، بكل هذه اللهفة والشوق والرغبة .

* * *

ومما تقدم نستخلص : أن العلاقة الزوجية تقتضي الطرف الفاعل :

١ ـ أن يكون قويا ، وصلبا ، شديدا ، معنيا بالتأثير في الطرف المنفعل .

٢ ـ ويكون في تكوينه ميل قوي نحو الطرف الآخر .

ويقتضي الطرف المنفعل :

١ ــ أن يتوفر فيه عنصر الجذب .

٢ ــ ويعاند تأثير الطرف المقابل ، ثم يستسلم له .

كل ذلك كان تعبيرا عن طبيعة تكوين كل من الزوجين في الكون .

ولغة التعبير عن الظواهر الكونية تختلف عن لغة التعبير عن الظواهر الحيوانية .

ولكي ننحدر في البحث عن العلاقة الزوجية الى عالم الحيوان ، يجب ان نترجم هذه اللغة الى لغة أخرى تصلح لشرح نوعية العلاقة في عالم الحيوان .

ولا تختلف نوعية العلاقة الزوجيـــة في عالم الحيوان عنه في الكون ، والمقاييس التي استعملناها لمعرفة الطرف الفاعل والمنفعل على الصعيد الكوني ، يجري هنا ، في عالم الحيوان ، لمعرفة الجنس الذكر عن الانثى .

واذا تم لنا ان نترجم العلاقة الزوجية في الكون الى لغة التعبير عن عالم الحيوان والانسان تتم لنا مهمتنا التي تعنينا في هذا الجزء من الحديث .

* * *

يجري الذكور من الحيوان ، دائما خلف الاناث منها ، ويتسابقون عليها فيما بينهم ، ويتعهدونها بالعناية وتقف الاناث من الذكور موقف المترقب لنتيجة الصراع الذي يحصل بين الذكور عليها ، ليصاحبها من كان أقوى منهم على الوصول اليها ودفع الآخرين عنها ، فيتلقفها وتستسلم هي له بعد شيء من التمنع « والاحتجاز » .

وليس الاحتجاز والاحتجاب هنا أمر عارض ، وانما هو موقف الجنس المؤنث من الجنس المذكر .

فالاحتجاز الجنسي ، والتمنع ، وترقب الذكور ، وبعد ذلك الاستسلام

للحيوان الاقوى هو موقف الانثى في عالم الحيوان من الذكر ، والجري والاندفاع العنيف ،والحرص ،والولع الجنسي هو موقف الذكور من الحيوان نحو الاناث منها .

فالكلبة تقف لتترقب تدافع الكلاب عليها . والقطة تقف من بعيد تترقب تصارع القطط عليها ، وما يثيرون من صخب وضجيج حولها .

ولم يحدث ان قطة جرت من وراء قط ، وان كلبة جرت من وراء كلب ، فيما وجدنا من قطط وكلاب وغيرهما من أصناف الحيوان .

وليس ذلك شيء عارض في طبيعة الحيوان ، كما ليس ذلك مما نضيفه نحن الى تكوين كل منهما .... وانما ينبعث ذلك من أعماق تكوين الذكر والانثى من الحيوان .

فالانثى تحب ان تنضوي تحت سلطة الذكور . والذكور تحب ان تحف الاناث من جنسها بعنايتها وسلطتها .

أرأيت الدجاج كيف تجتمع لتلتقط الحب من الارض ، وتثير غبار الارض من حولها ... والديك يقف من قريب ، برقبته الطويلة وجناحيه المنتفشتين ومنقاره القوي ، يحوم حول الدجاج بكبرياء واعتزاز ، ليحميها عن كل عارض يكدر عليهن صفوحاتهن ... ولا يتناول هو شيئا ... وكأن حماية الدجاج تكفيه عن التقاط الحب عن الارض . فاذا فوجيء بدخول غريب من ديك او حيوان آخر يهجم عليه بمنقاره وجثته القوية ، ويثير عليه التراب والضجيج حتى يرده ... والدجاج ملتهية عن كل هذا وذاك بالتقاط الحب بأمان .

وهذه حقيقة مقتبسة من أعماق الكينونة الحيوانية ، وليس مما يضاف الى تكوين الذكر والانثى من الحيوان . وقد اوتي كل من جنس الذكر والانثى عدة ذلك في تكوينه ... فأوتي جنس الذكر من الحيوان ـ في الغالب ـ من القوة ، والشدة ، والصلابة ، والميل العنيف نحو الجنس الآخر مالم يؤت الانثى ، كما اوتي جنس الانثى من الرقة والجمال في الجسم ، والاحتجاز الجنسي والتمانع والعطف والحنان الامومي ، مالم يؤت الذكر .

* * *

وما تقدم من حديث عن العلاقة الزوجية في الكون وفي عالم الحيوان ، يجري في عالم الانسان من غير فرق .

وليس الانسان سوى امتداد طبيعي للكون ، وجزء من عالم الحيوان الكبير .

فالرجل دائما يجري نحو المرأة ويتسابق عليها ... والمرأة تتخذ منه موقف الترقب والاحتجاز الجنسي . واذا اردنا ان نترجم كلمة « الاحتجاز الجنسي » الى كلمة اخرى تصلح للتعبير عن الحالة في انثى الانسان ، فكلمة « الحياء » قد تكون اوفى من غيرها في أداء هذا المعنى .

ولا يعني ذلك ان المرأة لاتميل الى الرجل . فقد تكون هي اشد ميلا الى الرجل منه اليها . ولكن قد اودع في تكوينها ميل للاحتجاب عن الرجل والاحتجاز الجنسي . وفي ذلك حكمة آلهية بالغة .

فان كانت المرأة تستقبل الرجل ، كما يقبل عليها هو باندفاع ، وكما تدفعهما معا حاجة الجنس بعنف .. لاختلت حياة الانسان في المرحلة الأولى من التأريخ .

ويحف الرجل المرأة بعنايته ، ويحيطها بحمايته وعطفه ، ولا يجد أي حرج في ذلك ، فهو قد يجهد نفسه طويلا ليوفر لهـا الغذاء والكساء ، او ليحميها ويعتني بها ، ولا يشعر في دخيلة نفسه أنه يخسر نتيجة جهده في غير طائل ، وانما يشعر شعورا قويا انه يثبت بذلك رجولته واستحقاقه لهذا العنوان .

وتحب المرأة ان يحفها الرجل بعنايته ويحميها ، ويتلقفها من بين الآخرين ، ويظللها بعطفه وحمايته . وتجد نفسها سعيدة بذلك ، ولا تجد في ذلك حرجا عليها .

وعبثا لايجري الرجل نحو المرأة ، ولا يتسابق عليها .. فقد اودع الله في تكوين الرجل النفسي . ميلا قويا للمرأة ، كما ركب في تكوين المرأة النفسي والعضوي جمالا وحنانا وفيضا من العطف والدلال والغنج ... يجذب الرجل الى المرأة .

***

فالرجل بطبيعة دوره الايجابي في الحياة : من جرى نحو الانثى ، واعتناء بها ، وحمايـة لها ، واجتهاد في سبيلها ... يجب ان يتوفر لديه المؤهلات النفسية والعقلية والعضلية التي تؤهله للقيام بدوره الخاص في الحياة .

والمرأة بطبيعة دورها السلبي في الحياة الزوجية من ترقب الرجل ، والاحتجاز عنه ، ثم الاستسلام له ، والركون الى حمايته ... ينبغي ان

تتوفر لديها المؤهلات النفسية التي تؤهلها للقيام بدورها هذا في الحياة .

وقد ركب الله ـ تعالى ـ في تكوين كل من الرجل والمرأة المؤهلات التي يحتاج اليها كل من الذكر والانثى على خطين متقابلين :

١ ـ فالرجولة تتطلب القوة والصلابة العضلية من الناحية الجسمية ، ليتاح لصاحبها القيام بدوره في الحياة العملية ، من جهد وتعب ، وصراع ، ومغالبة ... بينما الانثى ، بطبيعة دورها في الحياة لاتحتاج الى المغالبة والمصارعة في زحمة الحياة . فقد اوتيت من الجمال والجذب الجنسي مايكفيها مؤونة المغالبة والصراع لاجل الحياة ، وعلى الرجال أن يتدافعون اليها ويتزاحموا عليها ، وهي تترقب من قريب نتيجة الصراع ، ليتلقفها اقوى المصارعين في الميدان .

واذا كان الرجل يعتمد على قوته في زحمة الصراع ، فان المرأة تجد لها من جمالها ، وما اوتيت من الجذب الجنسي ضمانا لسلامتها في زحمة الحياة .

ويختلف تكوين الرجل العضلي والفسلجي عن تكوين المرأة .

وقد اعد الله الرجل ليخوض غمار الحياة ، فزوده بما يعينه في هذا المجال من قوة العضلات والصلابة والشدة ، وما يتصل بذلك . واعد المرأة لتكون سكنا للرجل ، ولتحمل ، ولترضع ، ولتحنو على اطفالها وتحدب عليهم .

٢ ـ ويسعد المرأة ان يعطف عليها الرجل ، ويرعاها ، ويحميها ، وتعيش في كنفه وتحت حمايته ويسعد الرجل ان يحمى المرأة ، ويحنو عليها ، ويبقيها تحت حمايته وسيطرته .. فيخاطر بنفسه ليسعدها ، ويجهد نفسه ليريحها .

وليس ادل على ذلك من ان الرجل كان منذ أسبق عهود التأريخ يفضل ان يواجه العدو في ميادين الحرب بنفسه ، دون ان يستعين بالنساء

في شأن من شؤونها . وليس لانه كان يستهين بمكانتها ... فقد كان يستهين بمكانة العبيد ويستخدمهم نفس الوقت في الحروب والغارات ، ويمتنع من توجيه النساء الى ساحات الحروب .

٣ ــ وطبيعة دور الرجل في الحياة تتطلب منه العزم والارادة والتصميم ولا تحتاج المرأة الى ذلك كلة واكثر ما تحتاج هي الى ارادتها حينما تريد ان تعاكس ارادة الرجل ، وتعانده ، او تحجزه عنه ، ولا تستسلم له ، وهذا ان صح ان يكون معاكسة للرجل فلا يكون تصميما وعزما .

وفي النقطة المقابلة من الرجل ، تتطلب الانوثة القدرة على اغراء الجنس الآخر وجذبه . فاذا كان الرجل يعتمد على قوة ارادته وعزمه في القيام بدوره الخاص في الحياة من طلب الانثى والعناية بها وحمايتها ... فان المرأة تعتمد على قدرتها في الاغراء والجذب والسحر لجذب الجنس الآخر اليها والتحمي به .

واذا عدمت المرأة الحيلة في تنفيذ ارادتها على الرجل ، ولم يسعفها عزمها وارادتها وتصميمها عمدت الى البكاء . وما ادراك ما سحر البكاء لدى المرأة ؟ ! .... صحيح انه سلاح العاجز ، ولكنه يقهر اقوى الرجال ، ويتغلب على ارادة اقوياء الارادة من الرجال .

٤ ــ والحياة العملية التي يقوم بأعبائها الرجل ، تتطلب منه مزيدا من العقل والتدبير والتفكير والقدرة على التنفيذ ... بينما تتطلب حياة الانوثة التي تعيشها المرأة مزيدا من اللين والنعومة والاغراء والسحر ، ورقة في العاطفة ، وفيضا من الحب والحنان .

واحوج ما يكون الرجل الى العقل والتدبير حينما يخوض غمار الحياة

عاملا وباحثا ومكتشفا ومنظما ومديرا .

واحوج ما تكون المرأة الى العاطفة والحب ، حينما تنحني على طفلها لترضعها ، بعطف وحنان ، ورفق ، وحينما يزعجها بصياحه وبكائه عن نومها ، فتعمد اليه لتحفه بفيض من حنانها وعطفها ، ولتهدئه بما تملك من وسائل الاغراء ، وبما تمدها به الامومة من رحمة وحنان .

ولا انكر وجود نساء في التاريخ برزن في حقول العلم والسياسة والفلسفة . ولكنى انكر أن تكون هذه الامثلة النادرة من نبات حواء مقياسا للحكم على المرأة اولها .

وعلى الرغم من المحاولات التي قامت بها المرأة للأسهام في دنيا السياسة والحكم فلا زال الرجل سيد الموقف ، ولا اظن الا ان هذا الموقف سيظل ثابتا بالنسبة للرجل والمرأة معا .

* * *

في كل ما تقدم تقع المرأة في القطب المخالف للرجل ويقع الرجل في القطب المخالف للمرأة :

في صلابة الرجل وخشونته ، ولين المرأة وجمالها .

في حماية الرجل للمرأة ، وتحمى المرأة بالرجل .

وفي ارادة الرجل وعزمه ، واغراء المرأة وسحرها .

وفي عقل الرجل وتدبيره ، وعاطفة المرأة وحنانها .

... فالحياة الزوجية ذات قطبين متقابلين ... يشغل الرجل القطب الموجب منهما وتشغل المرأة القطب السالب منهما .

والقطبان المتخالفان يتجاذبان دائما ، بينما القطبان المتحدان يتنافران .

فاذا اجتمعت امرأة برجل ، توافقا ، واطمأن كل منهما الى الآخر ، في مودة ورحمة ؛ كما يقول القرآن الكريم ، فتطمأن صلابة الرجل وخشونته الى لين المرأة وجمالها ، ويطمئن عقله الى عاطفتها ، كما تطمئن ارادته الى سحرها واغرائها . وتطمئن المرأة الى حماية الرجل ، ويفيض الرجل عليها فيضا من حمايته ؛ فيتلائمان في يسر ؛ وبسهولة .

واذا أجتمع رجل برجل ، فان طبيعة موقفهما الموحد تباعد بينهما .... فيجب كل واحد منهما ان يجعل الآخر تحت سلطته وحمايته ، وينفذ ارادته وعزمه عليه .. فتصطدم الارادتان ، فيتداخل الاخلاق والقانون بينهما ليصلح ما اختل من أمرهما .

ولذلك تجد ان العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ، وتكوين كل من الرجل والمرأة .... تضمن استقرار الحياة الزوجية بين الزوجين من دون حاجة لتدخل الاخلاق ألا في حالات استثنائية ، لو كانت الحياة الزوجية تسير على خط الفطرة ، على العكس من العلاقة بين رجل ورجل او امرأة وامرأة .

* * *

والآن ، وبعد ان الممنا إلمامة سريعة بتكوين كل من الرجل والمرأة النفسي والبيولوجي ... نستطيع ان نحدد موقف كل منهما من الحياة ومن العلاقة الجنسية .

وعلى ضوء ما تقدم من حديث ــ انطلاقا من الاصل التكويني في مسألة الزوجية نستطيع أن ندرس اهم قضايا المرأة والحياة الزوجية ، ونستعرض النظرية القرآنية في ذلك كله ، واحدة واحدة ؛ ونزن المعايير التي استحدثها الانسان المعاصر لتنظيم هذه العلاقة بين الرجل والمرأة .

١

قوامة الأسرة

الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض

من أهم ما يواجهنا في هذا الجزء من البحث مسألة « القوامة » .

وقد جعل القرآن الكريم الرجل قيما على المرأة وعلى الاسرة عامة ، يتولى شؤونها ويرعاها :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » [1] .

وقد أثير حول هذه المسألة كثير من الجدل والتشكيك .

والمسألة كما اعتقد ابسط مما يتصور ، وليست بهذه المثابة من التعقيد الذي يعرضه الباحثون ويتلقاها الناس عامة .

فالاسرة ، كأي وحدة اجتماعية اخرى ، مؤسسة اجتماعية ، لابد لها ممن يقوم بشؤونها ويتولى مهام الرئاسة فيها . فما لم تتوفر في محيط الاسرة الادارة الحازمة ، لاتنتظم شؤون الاسرة .والقوامة لاتتم بدون عنصر الحزم والقوة .

وتكوين المرأة النفسي والفسلجي لايهيء المرأة لمثل هذه المهمة داخل اطار الاسرة .

والقوامة لاتعنى ادارة البيت .... فالادارة شركة بين الرجل والمرأة في محيط الاسرة ، وربما بين الزوجين والابناء ... يتحمل كل فرد منهم جزءاً من اعبائها ، وامر البيت شورى بينهم .. وتتدخل الرغبات المعقولة لكل اولئك في تسيير شؤون البيت ، ولكن شيئا من ذلك لايغنى عن (كلمة الفصل) في الادارة عند نشوب الخلاف داخل البيت .... والكلمة هذه للرجل وحده .

وتكوين الرجل وطبيعة حياته هي التي تؤهله لهذه المكانة .

فلابد ان يتوفر لهذه الكلمة في البيت ، عند نشوب الخلاف ، شيء كثير

---

(١) سورة النساء : ٣٣ .

من التدبير والعقل ، يضمن سلامة الاسرة .. وشيء كثير من القوة ، يضمن تنفيذ الكلمة .

ولا تملك المرأة ما يملك الرجل في مثل هذه المواقف من حزم وتدبير .

والقوامة ، بعد ذلك ، حق طبيعي للرجل .

فالرجل ، هو الذي يتكفل شؤون البيت المادية ، ويقوم بأعبائها خارج البيت ، ويوفر للأسرة الحياة المادية .

والمرأة تتلقى نتيجة جهد الرجل داخل البيت ، من دون أن يمسها شيء مما يصيب الرجل من تعب واذى في مضطرب الحياة .

ولذلك كله ، فالرجل يعتبر صاحب الحق الشرعي في ادارة الجانب المادي من الحياة البيتية ، وحسم الخلافات التي تنشب في محيط الاسرة بين حين وآخر فيما يخص شؤون البيت . ونقطة الثقل فيما ينشب من خلاف في محيط الاسرة هي الشؤون المالية . والرجل بطبيعة وضعه أدرى بامكانيات الاسرة المالية وطاقاتها الشرائية . ولذلك ، فمن الطبيعي ان تعود (كلمة الفصل) الى الرجل وحده في البيت .

وقد كتبت لي فتاة مثقفة تسألني عن رأيي حول مسألة القوامة ، وعما اذا كان الاسلام يخص الرجل وحده بمهمة القوامة ، معتقدة بأن ذلك لون من الوان الدكتاتورية في ادارة البيت وراجية أن لو يعيد العلماء النظر في مسألة القوامة من الناحية الاسلامية ، ويعيدوا الى الجو العائلي طابع الديمقراطية ، ولا يستقل للرجل بالحكم والقوامة فيها ، دون الجنس الآخر .

فكتبت اليها :

ان الاسلام لايمنع أن يكون امر البيت شورى بين الزوجين ، ولا يدعو

الرجل ان يحكم رأيه الخاص في البيت ، بل يبعث الرجل الى ان يعترف للمرأة بحظها في ادارة البيت ، وان يحترم شعورها ومطالبها .

وفي هذا الجزء من نظام الاسرة ، يكاد يكون الاسلام ديموقراطيا في ادارة البيت ، ان صح هذا التعبير ، ولكن ماذا تقولين في الكلمة الحاسمة ، حينما ينشب الخلاف بين الزوجين ؟ وماذا ترين في القرار الاخير الذي يحسم الخلاف ؟ هل يعود للمرأة او للرجل ، او لكليهما معا ؟ ! ...

في هذه النقطة ينشق الاسلام على ديموقراطية الاسرة .

ولا يخرج الأمر من فروض ثلثة :

فأما ان تعود القوامة الى المرأة وحدها .

أو الى الرجل والمرأة معا .

او الى الرجل وحده .

ولا اعتقد ان هناك من يؤمن بسلامة الفرض الاول .

فلا تصلح المرأة ، بطبيعة تكوينها الفسلجي والفكري ، أن تستقل بشؤون القوامة داخل البيت وما تستلزم من قوة وحزم وتدبير .

وفي الفرض الثاني . ينقلب البيت الى جحيم لايطاق من الخلافات المحمومة ، التي لاتنتهي الى حد ، بين الرجل والمرأة .

والفرض الثالث هو الفرض المعقول الذي يصح ان يبني عليه أسلس الحياة العائلية والذي يعتمده القرآن أساسا للحياة الزوجية .

٢

اشتغال المرأة

متى اثيرت هذه المسألة : ؟ ؟

اثيرت هذه المسألة ، اول ما اثيرت ، في اوربا ، حينما ترك الرجل الاوربي، بداية عصر النهضة الصناعية البيت ، وهجر الحقل الى مراكز الصناعة المزدحمة بالعمال ، والقى بنفسه من محيط الريف الهادىء الى هذا المحيط الجديد الصاخب والمزدحم ، وترك من ورائه بيته وزوجه ، وانصهر الرجل الاوربي في هذه الحياة الجديدة الصاخبة ، ونسي علاقاته في القرية بالارض وبالبيت وبالزوجة ، وبكل شيء ، واخذ يتقلب في وجوه الحياة الجديدة من المعمل الى المطعم ليتناول حاجته من الطعام ومن المطعم الى المبغى ليصيب نصيبه من متعة الجنس ومن المبغى الى الفندق ليأخذ بحظه من الراحة ، كما كانت اجهزة الماكنة التي يديرها تنتقل تلقائيا وتتحول ، وتحول المادة الخام الى سلعة تعرض في الاسواق ، ويتلقاه الناس .

لم يكن هذا الطور الجديد من الحياة في اوروبا انتقالا من دور الى دور، وتحولا من اطار حضاري الى اطار حضاري آخر فحسب ، وانما كان انقلابا اجتماعيا عاما شمل مختلف وجوه الحياة ، واكتسح الرجال من الارياف والقرى ومن تلك الحياة الهادئة التي كانوا يمارسونها في الريف الى زحمة هـذه الحياة الجديدة .

ولا يقتصر أثر التقلبات الحضارية عادة على جزء من اجزاء الحياة الاجتماعية من دون ان يصحبها تغير كلي في وجوه الحياة المختلفة ، واضطراب في القيم والتعاريف الاجتماعية ، وتبلبل في الذهنية ، وفوضى في التفكير والسلوك .

وقد حصل في اوروبا فعلا ما يشبه هذا الفوضى والاضطراب في الحياة الاجتماعية عامة .

فقد وجدت المرأة الاوربية نفسها وحيدة في محيط الريف ليس هناك من يعولها ، ويهتم بشأنها ، ولم يبق في الريف بعد من الرجال من يقوم بشأنها . فقد اكتسحت (الماكينة) بدويها المزعج خيرة شباب الريف ، ولم يبق هناك غير الشيوخ والكبار من الرجال الذين منعهم الهرم والعجز عن الالتحاق بركب الشباب ، فوجدت المرأة نفسها مضطرة ، وهي تعاني الوحدة والفقر أن تهجر القرية هي بدورها ، وتحشر نفسها في هذا المحيط الجديد الذي كان يسحر الشباب ، ويتحدث عنه الناس في القرية ، بما يشبه اجواء (الف ليلة وليلة) .... وان تقتحم على الرجال أبواب العامل وتزاحمهم على العمل ، وتشق لنفسها طريقا الى الخبز في زحمة هذه الكتل البشرية التي اكتسحت المدن من كل جانب .

وانحرفت المرأة بقوة مع التيار ، واكتسحتها الموجة .

وراقها ، أول الأمر ، أن تجد نفسها حرة ، طليقة ، لايقيدها بيت ، ولا يحدها زوج ، ولكن سرعان ما أدركت أنها لم تخلق لهذا اللون من الحياة ، وأن تكوينها النفسي والعضلي لايلائم هذا المحيط الجديد الذي حشرت فيه نفسها حشرا .

ولكن الموجة كانت أقوى منها ... فلم تعد تستطيع ان تعود الى البيت مرة أخرى .

وبمن تعود الى البيت ؟ ....

وكيف تدير نفسها في البيت ؟ ...

فقد هجرها الرجل الى هذا المحيط الجديد بجفاء ، وتركها وحدها في البيت ، غير عائي بما يكون وراء ذلك .

تلك كانت صورة عن قصة المرأة في الغرب .

وقبل ان نناقش المسألة احب ان اؤكد لفتياتنا من انصار اشتغال المرأة خارج البيت ان المرأة لم تدخل معترك الحياة في الغرب ، ولم تهجر البيت ، وما كانت تنعم به فيها من الراحة والاطمئنان ، بأختيار منها ، وانما التجأت الى ذلك ، وجرت نفسها الى هذا المحيط الجديد ، ولا تكاد تطاوعها قدماها .

ولم تمر المرأة عندنا على مثل هذا الدور ، ولم تعاني شيئا من المأساة الاجتماعية التي عانت منها المرأة في الغرب ، ولم يهجر الرجل البيت ، ولم يتخل عن زوجته واولاده ، ولم تجد المرأة نفسها وحيدة في البيت ، قد تخلى عنها زوجها .

فلا تجد المرأة عندنا المبررات التي وجدتها المرأة في الغرب لأن تخرج مع الرجل الى الشارع ، وتهمل واجبات الامومة والزوجية في البيت .

***

صورة عن حياة المرأة في الغرب

وفتياتنا المثقفات ، رغم تقديري لذهنيتهن ، تعوزهن التجربة كثيرا ، والانسان ينضج عن طريق مزاولة الحياة اكثر مما ينضج عن طريق الدراسة والتثقيف .

وفي غالب الظن لو قدر لفتياتنا ان يزاولن الحياة العمالية حيناً من الزمان كما زاولتها المرأة في الغرب ، وان يلقين بأنفسهن في الاوساط العمالية الصاخبة، وينزعن عن اجسامهن هذا الثوب الرقيق الذي يلبسنه في البيت ليستبدلن به ثوبا خشنا مما يلبسه العمال ساعات العمل ، يعلوها غطاء من الدهونات ، وقشر من الغبـــار ، حتى لا تـكاد تميز لونه الذي كان عليـه اول الامر ....

.... لو قدر لفتياتنا ان يزاولن ، حينا من الزمان ، هذا اللون من الحياة لعدن الى البيت ، ولآثرن حياة الزوجية والامومة على حياة العمل والتوظيف، ولغيّرن كثيرا من رأيهنّ ، وانقلبن من هذا اللون من التطرف في التفكير الى لون آخر من المحافظة في التفكير والسلوك .

... وفتياتنا لايعلمن من حياة المرأة في الغرب غير هذه الصورة التي تأخذ بمجامع قلوبهن ، وتبعث في نفوسهن النشوة والشوق ، ولا ينفذن بعد ذلك الى ما وراء هـذه الصورة من صور شقاء المرأة وعذابها في ظل هذا الاطار الحضاري الجديد .

فالمرأة المسلمة تتطلع الى حياة المرأة في الغرب من بعيد ، من خلال الصحف الغربية ، وعلى الشاشة فترى اختها ، المرأة في الغرب ، قد قرعت أبواب البرلمان

وشقت لنفسها الطريق الى الوزارة ، وازاحت عن طريقها العقبات التي تركتها الاجيال المحافظة ، والتي لايزال المحافظون يحرصون على المحافظة عليها اشد الحرص ، وفرضت نفسها على المجتمع ، فزاولت الحكم ، ومارست وجوها من النشاط السياسي والاجتماعي ، وفرضت نفسها على الجنس الآخر الذي أذاقها ألوانا من الذل الهوان ، على امتداد التاريخ .

فلا تمتد يدها الى زرّ الجرس حتى يفتح الخادم « الرجل » عليها الباب ليمتثل ارادتها بأدب ، ولينحني امامها بخضوع .

ولا تلتقط باصابعها الناعمة سماعة التليفون ، حتى يكون عشرات الرجال الاشداء طوع ارادتها ، وحتى تكون الوزارة خاضعة لتوجيهاتها .

ولا تنزل آخر الدوام عن درج الوزارة المفروش بالسجاد الوثير ، حتى تجد السائق في انتظارها يفتح لها باب السيارة ليعود بها الى (الفيللا) ناعمة البال راضية النفس ، هانئة ، سعيدة ، مترفة ! ! .

تجد المرأة هذه الصورة الاخاذة من حياة المرأه في الغرب فتأخذها النشوة ، وتهتز لها ، وتتمنى لو أن يتاح لها ان تعيش هذه الحياة ، وأن تسحق رؤوس المحافظين الذين يدعونها الى البقاء بين جدران البيت ، وفي هذا المحيط الهادىء الذي لايوحى بشيء ، فتنادي لهم بالويل والثبور ، أن وقفوا أمامها ، وعرقلوا سيرها الى هذه القمة من الحياة .

فلا يمكن ان تتراجع عقربة الزمان الى الوراء .

ولا يتمكن أحد ان يقف امام عجلة التطور والتاريخ .

وكلمن حدثته نفسه ان يقف امام العجلة ، وان يعرقل سيرها فقد قضى على نفسه ، فالعجلة سوف تدوسه ، وتسحقه ، وتقضي على كل اثر منه ،

بقسوة متناهية ، وعنف ، لايعرف اللين والرحمة .

صورة رائعة عن الحياة النسوية لاشك في ذلك .

ومن يشك في روعة هذه الصورة ؟

ومن يجرء على التشكيك في قيمة هذه الصورة ؟

ولكني استميح فتياتنا ان ننفذ الى ما وراء هذه الصورة لنجدكم من النساء في الغرب يتمتعن بهذه المكانة ؟

وكم من النساء يتيسر لهن هذه الحياة الناعمة المترفة ؟

وكم من النساء تلمع اسماؤهن في سماء هو ليوود ، وتحيطهن اضواء الاستوديوهات ؟

واذا استثنينا هذا العدد القليل من نبات حواء المحظوظات ؛ ممن نزلن ميادين العمل ، وهجرن البيت ، فأن المرأة في الغرب تذوق الامرين من أمرها طوال ساعات العمل .

تخرج من البيت لتعود اليها متعبة ، مكدودة ، قد اضناها العمل ، واتعبتها المراجعات ، وانهكها طول ساعات العمل .... تجلس خلف الطابعة ، ساعات طوال ، لتضرب على الطابعة بأصابعها الناعمة ، او تقضى شهورا وسنين في فيافي الصحراء ، وبين الجبال والتلال ، لتساهم في مد خط حديدي او نصب أعمدة تليفون .

لقد فاتت المرأة عندنا من حياة المرأة في الغرب ؛ وهي في نشوة هذه الصورة الاخاذة ، أن ترى هذه الصورة المشبعة بالجهد والتعب والشقاء من حياة صاحبتها في الغرب .

ولو اتيح للمرأة عندنا ان تنظر الى واقع هذه الحياة التي انحدرت اليها

المرأة في الغرب والى ما جنتها من هذه الحياة ؛ من تعب متواصل ، ومن جهد مرير ، ومن شقاء دائم ، ومن نضوب وجفاف [١] ... لعادت الى حياتها التي وفرها لها الاسلام في البيت ، بين اطفالها ، قريرة العين ، مستريحة البال ، مطمئنة النفس .

ولو قدر للمرأة ان تتأمل قليلا ، وتدرس عن كثب ملابسات المسألة ، لأطمأنت الى ان الحياة المطمئنة التي تعيشها في البيت بين زوجها وابنائها ، معلمة لاطفالها ، مربية لهم ، مديرة للبيت ، مرفهة عن زوجها ، عاملة في البيت ... أوفق الى تكوينها الخاص بكثير من العمل في اوار الدخان ، وفي فيافي الصحراء ، وبين زحمة رجال اشداء غلاظ من العمال ، طوال ساعات النهار ، وطيلة شهور وسنين .

وعبثا لم يخلق الرجل قويا شديدا ، ولم تودع المرأة فيضا من العاطفة ... فقد شاء الله ان يعمل الرجل خارج البيت ، ويخوض غمار الحياة بقوة

(١) « أعدت اتحادية التعاون العامة فى المانيا الفدرالية تقريرا عن حياة الامهات اللواتي يشتغلن خارج نطاق البيت جاء فيه :

(ان المرأة فى القرن العشرين اخذت تدفع ثمن اشتراكها فى الحياة العملية ومساواتها للرجال فى العمل غاليا ، ومن سعادتها وراحتها) .

(ففي المانيا تعمل اكثر من مليون ام خارج البيت وكانت نتيجة الاستفتاء العام الذي وجه اليهن ان ٧٢ ٪ منهن مصابات بالعصاب وحالات الضعف العام واختلال الدورة الدموية والامراض القلبية و ٦٩ ٪ منهن عندما يرجعن الى البيت ليلا لايستطعن ان يقمن بأي عمل من شدة الارهاق والتعب الذي يصيبهن ساعات العمل ـ فيذهبن الى فراشهن للنوم و ٤٣ ٪ من الامهات اللواتي وجه اليهن السؤال كن قد راجعن الاطباء للعلاج فى ذلك العام » اطلاعات ١١٤٤٢١ .

وصلابة ، وان تسكن المرأة البيت ، وتتعهد اطفالها بالرعاية والعناية ... فأودع كل من الجنسين ما يلائمه من التكوين الجنسي .

وقد كان نصيب المرأة في اوروبا واميركا الشقاء حينما عطلت انوثتها ، وحاولت ان تصطنع لنفسها رجولة زائفة . فشقت في تلك ، وفشلت في هذه — واصبحت لا هي بالمرأة التي تستطيع ان تنعم بالحياة النسوية ، ولا هي بالرجل الذي يستطيع ان ينزل الى الميدان .

وكانت « جنسا ثالثا » ان صح هذا التعبير ...

يقول (جيروم فروبرو) الباحث الكبير فى أحوال الانسان :

« يوجد في أوروبا كثير من النساء اللواتي يتعاطين اشغال الرجال ، ويلتجئن بذلك الى ترك الزواج بالمرة . واولاء يصح تسميتهن بـ (الجنس الثالث) أي انهن لسن برجال ولا نساء » .

ويقول (جون سيمون) .

« يجب ان تبقى المرأة امرأة . فانها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها وان تهبها لسواها . فلنصلح حال النساء ولكن لانغيرها ، ولنحذر من قلبهن رجالا ، لأنهن بذلك يفقدن خيرا كثيرا ، ونفقد نحن كل شيء . فان الطبيعة قد اتقنت كل ما صنعته ... فلندرسها ولنسع في تحسينها ، ولنخش كل ما يبعد عن قوانينها وامثلتها » .

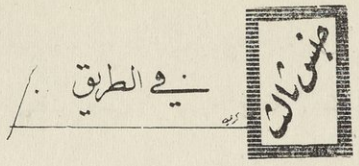

وقد شعرت المرأة بهذا الخطر منذ زمن ، وادركت ان انوثتها في خطر ، وان شيئا ما يهدد كيانها ... واخذت تعاني من جراء ذلك قلقا مرا ... رغم ما يحيط حياتها من مظاهر الترف والبذخ .

كتبت الدكتورة بنت الشاطيء في جريدة (الاهرام) تحت عنوان « جنس ثالث في طريقة الى الظهور » .

« شاءت الظروف ان اذهب في عطلة الاحد لزيارة صديقة لي طبيبة بأحدى ضواحي ڤينا . وكنت أحسب ان يوم الاحد هو انسب وقت لمثل تلك الزيارة . فما كان اشد عجبي حين فتحت لي صديقتي باب بيتها مسجلة ، وفي يدها بطاطس تقشره ، ثم قادتني في لطف الى مطبخها لنأخذ مجلسنا هناك » .

« ولم يغب عنها ما شعرت به من دهشة ... فابتدرتني قائلة » :

« ماكنت تتوقعين هذا المنظر — طبيبة في المطبخ يوم الاحد » ؟

« قلت ضاحكة : أما العمل يوم الاحد فربما فهمته . واما اشتغالك بالمطبخ مع ما أعرفه من ارهاق مهنتك فهذا مالم انتظره » .

« فردت : لو عكست لكنت اقرب الى الصواب • فالعمل في عطلة الاحد هو المستغرب عندنا ، لولا انه فرصتي الوحيدة لكي اقف هنا حيث ترين • وأما اشتغالي في المطبخ ، فلعلي لم اتجاوز به نطاق مهنتي اذ هو نوع من العلاج لحالة قلق اعانيها وتعانيها معي سيدات اخرى من المشتغلات بالاعمال العامـــة » •

« ولما سألتها عن سر هذا القلق مع استقرار الوضع الاجتماعي للمرأة الغربية •• أجابت بأن ذلك القلق لا صلة له بمتاعب الانتقال المفروضة على جيل الطليعة من نساء الشرق ، وانما هو صدى شعور ببدء تطور جديد يتوقع حدوثه علمـــاء الاجتمـــاع والفسيولوجيا والبيولوجيا في المرأة العاملة ، وذلك لما لوحظ من تغير بطيء في كيانها لم يثر الانتباه اول الامر لولا ما سجلته الاحصاءات من اطراد النقص في المواليد بين العاملات » •

« وكان من المظنون ان هذا النقص اختياري محض ؛ وذلك لحرص المرأة العاملة على التخفف من اعباء الحمل والوضع والاوضاع تحت ضغط الحاجة والاستقرار في العمل • ولكن ظهر من استقراء الاحصاءات ان نقص المواليد للزوجات العاملات لم يكن كثيرا عن اختيار ، بل عن عقم استعصى علاجه • وبفحص نماذج شتى منوعة من حالات العقم اتضح في الغالب انه لايرجع الى عيب عضوي ظاهر ، مما دعا العلماء

الى افتراض تغير طاريء على كيان الانثى العاملة نتيجة لانصرافها المادي والذهني والعصبي ــ عن قصد او عن غير قصد ــ عن مشاغل الامومة ودنيا حواء ، وتشبثها بمساواة الرجل ومشاركته في ميدان عمله .

« وما يزال المهتمون بهـذا الموضوع يرصدون التغيرات الطارئة على كيان الانثى ، ويستقرؤون في اهتمام بالـغ دلالات الارقـام والاحصائيـات لحالات العقم والعجز عن الارضاع ، لنضوب اللبن وضمور الاعضاء المخصصة لوظيفة الامومة » .

* * *

تحلل الأسرة

وأصاب هذا البلاء كيان الاسرة قبل اي مؤسسة اجتماعية اخرى .

فقد انصرفت المرأة الى العمل خارج البيت عن العناية بشؤون البيت ، وحشرت نفسها في أجواء العمل بصورة كلية ، حتى عادت لاتستطيع ان تفرغ من وقتها جزءا للبيت . فالمرأة العاملة ليست بدعا من سائر النساء والرجال ولم تؤت مالم يؤت الرجال من قابليات ومؤهلات للعمل .

فهي تذهب كالرجال جنبا الى جنب اول النهار لتعود آخره مكددة ، متعبة ، اضناها العمل ، واجهدها التقلب في وجوه الحياة فكيف يتسنى لها مع ذلك ان تتفرغ للبيت ، وان توزع نفسها على العمل داخل البيت وخارجه ؟

ومتى كان يتأتى للرجل ان يوزع جهوده بين البيت البيت والعمل لنطالب النساء بذلك ؟ .

والاسرة مؤسسة اجتماعيـة تتطلب من التفرغ والجهد ما تتطلبه اي مؤسسة اجتماعية أخرى . وحينما تقول ان ادارة الاسرة تتطلب من المرأة ان تتفرغ لها تعني ما تقول .

فليست الاسرة حاجة فوقية وعرضية في حياة الانسان حتى يستطيع الانسان ان يستغنى عنها ، او يهملها ، او يستبدلها بالملهى والمطعم والمبغى والفندق ، كما يستبدل الانسان سكناه ، او كما يستبدل ثوبه بثوب آخر .

ورغم كلما يقوله علماء الاجتماع فالحياة العائلية ضرورة انسانية في الصميم

من مسائل الحياة ، ارتبط بها الانسان منذ اول يوم ، واستمر معها الى اليوم الحاضر ، رغم التغيرات الضخمة التي حدثت في حياة الانسان .

والتائهون من الشباب الذين القتهم موجة الحياة على الحافة، حافة الحياة، على ابواب الفنادق والملاهي والمباغي يعانون الامرين في حياتهم ، من الضيق والتيه والقلق .

ولا ترتبط المرأة وحدها بالحياة العائلية فحسب ، فأن سعادة الرجل واستقراره ، ونشوء الاطفال واستقامة سلوكهم يرتبط ارتباطا وثيقا بالجو العائلي اكثر من اي شيء آخر .

وليس العمل في البيت شيئا يسيرا ، يتأتى للرجل والمرأة ان يتعاونا عليه (ساعات الفراغ) كما يحب ان يقول انصار تشغيل المرأة .

ولا اظن ألا ان فتياتنا يوافقنني ، رغم أنهن لم يمارسن الحياة الزوجية بعد ، على ان العمل في البيت لايقل جهدا عن العمل خارج البيت ، في الدائرة، او المعمل ، او الحقل .

ولا تملأ ساعات الفراغ في حياة الرجل والمرأة (لو كان الرجل يتنازل للعمل في البيت) غير جزء يسير من مهام البيت ... وتبقى البيت في سائر جوانبه ، تحت رحمة الفوضى الادارية والخلقية والتربوية ، وعرضة للاضطراب في كل وجه من وجوهه .

وقد ادى اشتراك المرأة في الحياة العملية ، خارج البيت ، الى نتائج اجتماعية سيئة .

وبدأ كثير من الازواج والاولاد يشكون من أنصراف ازواجهم وامهاتهم عن العناية بشؤون البيت والتربية الى العمل خارج البيت .

وتجاوزت هذه الشكوى حدود البيت والشارع وفرضت نفسها على الرأي العام العالمي في المنظمات والجمعيات الدولية التي تستعرض مشاكل عالم حواء .

وفيما يلي تقريرات عن هذه المشكلة عن منظمتين عالميتين كبيرتين .

« بدأت منظمة اليونسكو في بحث حالة المرأة العاملة في دول العالم ومستقبلها » وكلفت بذلك عددا من المتخصصين في البحوث الاجتماعية من الجنسين اخذت تقاريرهم ترد تباعا تحمل هذه التقارير حقائق هامة فبعض يقول : أن نسبة كبيرة من الرجال لاتزال تعترض على قيام الزوجة بعمل خارج البيت » ويرجع السبب في ذلك الى أن العمل يستهلك أكبر جزء من وقتها هذا الوقت الذي يحتاج اليه الزوج والاولاد » [1] .

« كان من أهم المشاكل النسوية التي عرضت على مؤتمر (النساء الصحفيات) الرابع في نور نبرغ هي ان عشرة ملايين من النساء في المانيا يتركن كل صباح بيوتهن . والسؤال هو عن مصير عشرات الملايين من الاطفال الذين يتركهم امهاتهم الى الليل . وفي الوقت الحاضر يربط اكثر الاطفال الالمان بين ٦ ــ ١٤ سنة مفاتيح بيوتهم على صدورهم ليرجعوا ظهرا من المدرسة الى البيت لتناول وجبة الطعام وليبقوا بعد ذلك بأنتظار امهاتهم بأنفراد الى الساعة السادسة

---

(١) حواء : ٣٢٧ .

حيث ترجع امهاتهم عن العمل الى البيت » .

* * *

وعانت المرأة في الغرب كثيرا من هذه الحياة ، ومما يصيبها فيها من عناء وشقاء وجهدلاعهد لها به ، واثر ذلك على صحتها ، وسلامة اعصابها ، وافقدها كثيرا من نشاطها وحيوتها وتفتحها للحياة .

وكثر بين النساء العامـلات الشكوى من العصاب والانهيار العصبي والانهاك ، ولم يسلم منهن عن هذه الامراض غير نسبة ضئيلة جدا بالنسبة الى عدد المرضى من النساء العاملات [١] .

---

(١) نشرت مجلة الحواء حديثا مع النساء العاملات المتزوجات ندرجهـا فيما يأتي :

(وبدأت الحديث .... العاملة قالت « ان أكثر ما يضايقني هو كثرة ساعات العمل تصور انني اعود الى البيت وقد جاوزت الساعة السابعة مساءاً ، اي بعد عودة اولادي وبعد عود زوجي نفسه . وحين يسرع ابني الى الباب يفتحه ويستقبلني مرحبا مهللا ينقبض صدري فالمرأة هي (عادة) التي تستقبل وترحب لا الزوج ولا الاولاد ..... » وقالت السكرتيرة : « أغادر الشركة وقد تحطمت اعصابي بفعل هذا الجرس الذي لايكف عن الصخب ، وبفعل الضجيج الذي يلفنا . واحيانا أصل البيت قبل زوجي فاستلقى على الفراش بملابس الخروج ، وحين يدق الجرس اود احيانا لو انني تركته يرن فلا افتح الباب . واحيانا تستبد بي رغبة عارضة ان أبادر فأخرج زوجي واولادي واقفل الباب من دونهم لاعود فأستلقى في الفراش ! .... كم اتوق الى شيء من الدعة والهدوء» . .... « وقالت المشرفة الاجتماعية عن زميلة لها : مسكينة لقد تحطمت اعصابها وفقدت صوابها فحاولت الانتحار ، ويقيني انها لو تخلت عن عملها وتفرغت لزوجها وبنيها ما تحطمت اعصابها وما ذهب عقلها . وهذه حالة شاذة او على

هذا بالاضافة الى ايام الحمل والوضع التي تمر عليها المرأة بمعدل ستة مرات او سبعة مرات في عمرها .

واذا علمنا أن حالات الحمل والوضع والأستجمام بعد الوضع تستغرق من المرأة اكثر من ثلاثة وأن المعدل السابق لحالات الحمل والوضع تعرض المرأة في فترة من حياتها ، لاتقل في الغالب عشرة سنوات علمنا مدى الصعوبة التي تلاقيها المرأة العاملة في الدائرة او المعمل الذي تشتغل فيه .

وفي ايام الحيض تعرض المرأة حالات مرضية تمنعها عن العمل .

يقول اميل نووك :

« ان ما يعهد في الحوائض من الاعراض هي الصداع والنصب والخلج وضعف الاعصاب وتخلف المزاج واضطراب المثانة وسوء الهضم والامساك احيانا والتهوع في بعض الحالات » .

ويقول ريبريف :

« ربما يكون خروج الفضالات من جسم المرأة في زمان حملها اقل مما يكون في حالة الفاقة فلا تستطيع قواها في

الاقل هذا ما ارجوه ، لكننا جميعا مهددات بالانهيار العصبي . ان لطاقة المرأة حدودا والنساء العاملات يتجاوزن هذه الحدود ويحملن فوق طاقتهن . وهذا تصرف غير حكيم » .

هذا الزمان أن تتحمل الجهد البدني والعقلي ما تتحمله في عامة الاحوال » .

« وان عوارض الحامل ان عرضت لرجل او امرأة غير حامل لحكم عليه او عليها بالمرض بدون شك » .

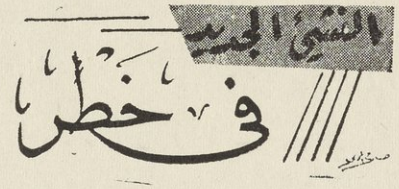

والتجأت المرأة المعاصرة في الغرب الى دور الحضانة لتتفادى جانبا من هذه المشكلة ...

فقد ادركت بعد حين : ان الطفل لايكاد ينمو بعيدا عن احضان ابويه وعن عطف الامومة ، بشكل خاص ... نموا سويا معتدلا .

يقول الدكتور الكسيس كارل :

« ولقد ارتكب المجتمع العصري غلطة جسيمة باستبداله تدريب الاسرة بالمدرسة استبدالا تاما . ولهذا تترك الأمهات اطفالهن لدور الحضانة حتى يستطعن الأنصراف الى اعمالهن او مطامعهن الاجتماعية ، او مباذلهن ، او هوايتهن الادبية او الفنية ، او اللعب ، او ارتياد دور السينما ... وهكذا يضيعن اوقاتهن في الكسل . انهن مسؤولات عن اختفاء وحدة الاسرة واجتماعاتها ، التي يتصل فيها الطفل بالكبار فيتعلم عنهم أمورا كثيرة ...

« ان الكلاب الصغيرة التي تنشأ مع اخرى من نفس عمرها

في حظيرة واحدة ، لاتنمو نموا مكتملا ، كالكلاب الحرة التي تستطيع أن تمضي في أثر والديها » .

والحال كذلك بالنسبة للأطفال الذين يعيشون وسط جمهرة من الاطفال الآخرين واولئك الذين يسيرون بصحبة راشدين اذكيـــاء .

لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجي والعقلي والعاطفي طبقا للقوالب الموجودة في محيطة ، اذ انه لايتعلم الا قليلا من الاطفال في مثل سنة . وحينما يكون مجرد وحدة في المدرسة ، فانه يظل غير مكتمل .

ولكي يبلغ الفرد قوته الكاملة ، فانه يحتاج الى عزلة نسبه واهتمام جماعة اجتماعية محددة تتكون من الاسرة» .

« وجذور كثير من الفوضى والارتباك والامراض النفسية في حياة الشباب يعود الى ايام الحداثة والطفولة والمسؤول عن ايام الطفولة والحداثة هي الام » .

« الطفل الذي لم يجد عناية كافية من أمه ايام الحداثة ينشأ شاذا قاسيا غير مستقيم السلوك » [1] .

ويقول العالم الانجليزي : ـ ساموبل سمايلس :

« ان النظام الذي يقضى بتشغيل المرأة في المعامل ، مهما تنشأ عنه من الثروة للبلاد ، فان نتيجته هادمة لبناء الحياة

---

(١) الاطلاعات الاسبوعية : ١٢٠٦ .

المنزلية ؛ لانه يهاجم هيكل المنزل ، ويقوض اركان الاسرة ويمزق الروابط الاجتماعية » .

الجانب الاقتصادي

والجانب الاقتصادي حجة اخرى من حجج انصار تشغيل المرأة خارج البيت . فالمرأة تعتبر النصف الاكبر من مجموع الانسانية ، ولا مبرر لتعطيل هذا الشق الكبير من البشرية عن العمل والانتاج الاقتصادي .

ولكن الخسارة التي أراد الانسان أن يتفاداه في حقل الانتاج عن طريق تشغيل المرأة ، ظهرت بصورة افظع في بطالة الرجال .

فقد اثر تشغيل المرأة عندنا في الشرق تأثيرا بالغاً في تعطيل الايادي العاملة من الرجال عن العمل .

وازداد التذمر في صفوف الشباب وكثرت البطالة بصورة واسعة بين الرجال العاملين .

ولا تختص هذه الظاهرة بالشرق ... ففي الغرب ، وفي اميركا بشكل خاص ، اخذت نسبة البطالة تزداد بين الرجال ، وبشكل خاص بين الشباب منهم ... بينما أخذت المرأة تحتل محل الرجال .

جاء في الاهرام :

« بدأ الرجال في امريكا يخشون اكتساح المرأة لجميع ميادين العمل بشكل يهددهم بالبطالة فقد دلت الاحصاءات

الاخيرة على ان هناك ٢٤ مليون امرأة عاملة نظامية ، علاوة على السيدات اللائي يعملن بصفة غير منتظمة او غير رسمية. وبذلك تصبح نسبتهن ثلث عدد العاملين . ولوحظ أن نسبة العاملات ترتفع بشكل مخيف جدا في كل عام ، حتى تنبأ الاخصائيون باكتساح المرأة للرجال خلال سنوات قليلة جدا » (١) .

وأخيرا ... شعرت المرأة بالخطر :

وأخيرا اخذت المرأة تشعر في العرب بالخطر المحدق بها ، والذي يهدد كيان الاسرة ، ويهدد تكوينها الخاص ومستقبل الانسانية بشكل عام . فأخذت تعود الى البيت الى الحياة الزوجية ومسؤولية الامومة من جديد واخذت تنفض عن نفسها الوظائف والاعمال ، لتتفرغ في البيت لشؤون اولادها ولشؤون البيت ولتعيد للحياة الزوجية صفاءها وجمالها الخاص .

فقد جاء في نبأ :

« انزعجت السلطات التعليمية في اسكوتلاندا لسبب موجة الزواج التي تعصف بالمدرسات . فقد تبين انه خلال عام ١٩٦٠ عينت ١٩٦٣ مدرسة في اسكوتلاندا ، وفي نهاية العام الدراسي تركت ١٠٠٠ منهن الوظيفة للزواج . وقالت

---

(١) الاهرام / ٩ / ١٠ / ١٩٦٠ .

السلطات : ان الزواج يهدد النظام المدرسي » .

وكانت نتيجة الاستفتاء العام الذي قام به معهد (غالوب) في امريكا بين النساء العاملات :

« ان المرأة متعبة الآن ويفضل ٦٥ ٪ من نساء امريكا العودة الى منازلهن . كانت المرأة تتوهم انها بلغت أمنيتها . أما اليوم ، وقد ادمت عثرات الطريق قدمها ، واستنزفت الجهود قواها ، فانهـا تود الرجوع الى عشها ، والتفرغ لأحتضان فراخها » .

واسترجعت الحكومات خطواتها :

وحاولت الحكومات الغربية أن تسترجع خطواتها ، واد تعيد المرأة الى البيت ... حيث تأوى الى عشها الذهبي ، وتتعهد اطفالها بالرعاية والعناية والعطف الخاص بها .

والمعروف ان (هتلر) و (موسوليني) كانا في أواخر حياتهما يقدمان جوائز خاصة للنساء اللاتي يهجرن العمل الى البيت .

وفي انجلترا تقدم بعض اعضاء مجلس العموم البريطاني بأقتراح بالغاء العلاوات التي تضاف الى رواتب النساء المتزوجات . كما اقترح عدم قبول طلب المرأة المتزوجة للعمل الا بعد الاكتفاء بالرجال .

وجاء فى جريدة ـ الاهرام :

« اجتمع اعضاء الكونغرس الامريكي لمناقشة موضوع منع الام التي لديها اطفال من الاشتغال مهما كلفها ذلك .

« قال عضو منهم : ان اشتغال الامهات يسبب مشكلات اجتماعية واقتصادية لاحصر لها » .

« وقال آخر : ان الله عندما منح المرأة ميزة انجاب الاولاد، لم يطلب منها أن تتركهم لتعمل في الخارج ؛ بل جعل مهمتها البقاء في المنزل لرعاية هؤلاء الاطفال .

« وقال ثالث : ان المرأة تستطيع ان تخدم الدولة حقاً اذا بقيت في البيت الذي هو كيان الاسرة ... » .

وهكذا نعود الى الاسلام من جديد ...

وهكذا نعود من جديد الى الاسلام ، وتعود المرأة الى البيت لتتفرغ لأعمال البيت .... من إدارة وتدبير ... ورعاية وتربية .. ولتحيط اطفالها بفيض من عطفها وعنايتها ... ولتعد البيت ، عشها الذهبي ، لزوجها ، حينما يعود الى البيت ، وحينما تستقبله هي ، والابتسامة تطبع شفتيها ، والحب يعمر قلبها .

ويتفرغ الرجل للعمل خارج البيت ، وفي زحمة الحياة ...

ثم لايجد أي منهما حرجا فيما يفعل وعسرا فيما يقدم عليه ...

فقد اعد الله المرأة لتكون اما تحتضن اطفالها ، وتفيض عليهم بفيض من عطفها ، ولتكون زوجة تعرف كيف تستقبل زوجها ، وكيف تمسح عنه تعب النهار وجهد ساعات العمل ... واعد الرجل لخوض غمار الحياة ولمواجهة شدائد الامور .

وبعـــد :

فما تقدم من حديث لايعني ان الاسلام يمنع من اشتغال المرأة خارج البيت في حالات الضرورة الاجتماعية والفردية ، ولم نقصد من الشرح المتقدم غير ان نعرض الطابع العام للحياة النسوية في المجتمع الاسلامي ، دون التعرض لحالات الضرورة الاجتماعية والفردية .

* * *

٣

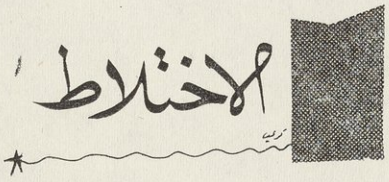

وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ، ويحفظن فروجهن، ولا يبـدين زينتهن ألا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن ألا لبعولتهن ....

النور : ٣١

تتصل مسألة الاختلاط بالجانب الوظيفي من العلاقة الجنسية ومن تكوين المرأة . وحيث نعود الى وظيفة المرأة ودورها فى الحياة وقيمتها النسوية نجد انتكوين المرأة النفسي والعقلي لايعدها للاختلاط بالرجال .

والادوار التي تمارسها المرأة فى ظل حضارة الاختلاط تحول المرأة (الانسانة) الى سلعة مبتذلة للترفية واللهو ، وتفقدها كل قيمة بشرية ، وتتنافى بصورة خاصة مع دورها الوظيفي فى العلاقة الجنسية والحياة الزوجية .

وسوف نحاول انندرس ابعادهذه المسألة بصورة واسعةخلال هذا الحديث .

ظهر الاختلاط ، اول ما ظهر ، في أوربا عقيب الثورة الصناعية ، حيث قدّر للانسان الاوروبي ان يتنفس عما كان يعانيه من كبت طيلة العصور الوسطى . وكانت (الردة) الطبيعية لهذا الكبت الطويل الذي قاسى منه الانسان الاوروبي هي موجة التمرد الطاغية التي اكتسحت جميع القيم والتقاليد التي كانت من قبل موضع تقديره واحترامه .

ووجدت المرأة الاوربية فرصة للتنفيس عما كانت تعانيها في هذه الفترة من ضيق .... فتمردت على جميع القيم التي كانت تحافظ عليها من قبل .

وخرجت الى الشارع ،واختلطت بالرجل ،واشتركت في الندوات والاجتماعات الخاصة بالرجال ، واقتحمت عليهم أبواب المعامل والدوائر والجامعات .

وشاع الاختلاط في أوربا .

ووجد ذلك هوى في نفوس الرجال واستجابة في نفوس النساء . ولم تتجاوز المسألة ، بادىء الامر ، ان تكون هوسا موقتا ، ألا ان الانسان الاوربي استساغ هذا الهوس ، وصمم على ان يتخذه منهجا لحياته .

وسرت موجة الهوس هذه من الغرب الى الشرق،

وتسللت فيما تسللت اليه من أقطار الارض الى حياتنا الاجتماعية وأخذت تطبع حياتنا الاجتماعية المحافظة بطابع من اللامبالاة والتفسخ الخلقي ، واكتسحت كثيرا من القيم النسوية التي كانت المرأة تحافظ عليها من قبل .

وأخذنا نألف شيئا فشيئا الوانا خليعة من الاختلاط بين الفتيات والفتيان وحفلات ساهرة ، عامرة بالجنسين .

وفتحت الجامعة أبوابها للجنسين ، واستقبلت الطلاب والطالبات معا . فانست الطالبات بزمالة الطلاب وانس الطلاب بصحبة الطالبات . وما أيسر ما تتدرج هذه الزمالة والصحبة وهذا الانس والالفة .... الى شيء ما وراء

الانس والالفة .

وما أيسر ان يخلو الطالب الفتي بصاحبته الفتاة ايام الامتحان ، وسيرايام الامتحان ، في زوايا الحدائق العامة ، وعلى ضفاف الانهار بحجة تحضير الدروس .

وما يدريك ما ينقلب تحضير الدروس حينما يخلو لهما الجو وتحلو لهما الخلوة : ويسري في جسمهما شيء يشبه مس الكهرباء ؟

وفي كل يوم تطالعنا المدنية ببدعة جديدة .

فالزمالة في الدراسة تبرر خلوة الفتى بالفتاة .

و (صداقة الاسرة) تجيز للمرأة ان تخلو في البيت الى رجل اجنبي في غيبة زوجها .

تلك صور من الاختلاط في حياتنا الاجتماعية ، تواجهنا في كل مكان ... في الشارع ، وفي المدرسة ، وفي الفندق ، وفي السيارة ، وفي الجامعة ، وفي المحلات العامة ..... وفي كل مكان .

وانصار الاختلاط من الشباب الذين يعانون منجوعة الجنس ، وتسيرهم نهمة الغريزة من وراء فكرة الاختلاط ، يدافعون عنها ، بحرارة ويدفعون الفتيات والنساء الى الظهور في الاجتماعات .....

وذلك لا لكي تحتل المرأة مكانتها اللائقة بها في الاجتماع ، فليس مما يحط من شأن المرأة ان تكون مدرسة للاجيال في البيت .... ولكن لكي يملأون عيونهم الجائعة من السيقان والصدور العارية في كل مكان .

وكم احب أن اظهر فتياتنا على هـــذه الحقيقة المرة : ان الشباب الطائش حينما يدافع عن فكرة الاختلاط ، يلحظ مصلحته الخاصة أكثر مما يلحظ مصلحة المرأة ، او مكانتها ــ كما يقولون .

نقاش مع الطلاب : ـ

دار نقاش بين وبين جماعة من الطلاب الشباب قبل حين ، في بعض المعاهد العلمية حول مسألة الاختلاط .

فسألني احدهم : أنت من المعارضين او المؤيدين لمسألة الاختلاط ؟

فقلت له : من المعارضين طبعا .

فقال لي : ولماذا يا سيدي تخشى من المرأة ان تظهر في المجتمعات العامة والندوات ، وتشيع الجمال هنا وهناك ، اينما تحل ؟ وتملأ اسماعنا بنغمة ناعمة من صوتها الرخي ، ومشاعرنا بحركاتها الخفيفة حينما تتقلب في المجتمعات وتضطرب في وجوه الحياة .

فهلا منعت الزهرة ان تفوح ، وتملأ الجو شذاها ، والشمس ان تشع وتملأ الكون نورا ودفئا ، والنسيم ان تهب ، والطيور ان تغرد ، والجبال ان تكسوها الثلوج ، والرياض ان تخضر ، والغيوم ان تمطر ، والينابيع ان تنبع ، والبحار ان تتموج ، والشلال ان ينحدر ، والسمك ان يضطرب في الماء ، والغزال ان يعدو في البر ..... ؟

والمرأة ليست بدعا من مظاهر الجمال .... فلماذا نسترها ونحجبها في البيت ، ونحرم انفسنا عن هذا الجمال الذي يلامس كل وتر من الشعور في نفوسنا ، وكل موطن للاحساس في قلوبنا ؟

فقلت له مهلا لا تحلق بنا في أجواء الشعر ، ولا تنس بعد انك وهذه الفتية الذين يحيطونك من لحم ودم تعيشون على وجه هذا الكوكب .

والفرق كبير بين خرير المياه ، وهبوب الرياح ، وتغريد الطيور ، وعطر الزهرة ، وزرقة السماء ، ونور الشمس .... وبين جسم المرأة الغض ، وعينيها النافذتين ، وصوتها الناعم الرخي . فذلك لا يمس من نفسك غير حاسة الجمال ،

فتتذوق ما فيه من جمال ، وما فيه من روعة تشدك اليه ...

وهذا يمس من نفسك حاسة أخرى غير حاسة الجمال ، تثير في نفسك كوامن الجنس ونهم الغريزة .

وهل يمكنك ان تنكر ان الاحساس الذي يطغي عليك ، حينما تنظر الى زهرة ، او تلقى نظرة على الشمس وهي بازغة من الشرق او آفلة للغرب ، تمد اشعاعها الذهبي الساحر على امتداد الافق ... لا يختلف عن الاحساس الذي يطغى عليك بالحاح حينما تنظر الى جسد امرأة عارية ، ينحني ويهتز بلطف على خشبة المسرح ؟

والاثارة الجنسية هي مبعث الخطر في مسألة الاختلاط ....

فقال لي أحد الحضور : ولماذا نسيء الظن الى هذا الحد بالانسان ؟

ولماذا لانتظر الانسان الا من خلال هذه الغريزة المسعورة ؟

فقلت له : انني لا اسيء الظن بالانسان عندما ادرس سلوكه من خلال هذه الغريزة المسعورة ، وانما أحسن الظن ـ كل الاحسان ـ به ... فلولا هذه الغريزة وهذه الدعوة الملحة في نفس كل من الرجل والمرأة ، لاضمحل الانسان منذ أبعد آماد التاريخ ، وانقطع نسل الانسان ، قبل ان يعرف وجها من وجوه الحضارة .

فقال لي : أنا لا انكر ما تقول من حديث الجنس ومن الحاج الغريزة ، وتغلغل هذه النزعة النفسية في الكيان الانساني .... ومن قبل كان «فرويد» يؤمن بأن الجنس هو العامل الوحيد في سلوك الانسان . ولكنني اعتقد : ان الاختلاط بين الجنسين يذهب بحدة الجنس ، ويقضي على ثورة الغريزة . فحينما يألف الانسان الاختلاط في المجامع والحفلات والشوارع ، وفي كل مكان ، ينقلب لديه الجنس الآخر كأي شيء آخر يألفه في حياته ... لايثير

في نفسه ما يثيره حينما يكون معزولا عن الجنس الآخر في مضطرب الحياة . ولا تحسب الطالب الذي يزامل فتاة جميلة في الجامعة ، او في أعداد المناهج ، او في السكن ، او في الحياة العامة ... في حمى دائمة ، وفي سعير من ثورة الغريزة .. تخالجه رغبة ملحة كلما رأى الفتاة أن ينزو عليها ، كما ينزو الحيوان على حيوان . قد يكون الامر كذلك فيما اذا كان الطلاب معزولين عن الطالبات ، وفيما اذا كانت التقاليد الاجتماعية تفصل الفتيان عن الفتيات .. ولكن الامر ليس كذلك حينما تحشر الطالبات مع الطلاب .

ونحن بعد يا سيدي ، طلاب .. نعيش جوا طلابيا مبتلطا . واسمح لي بأن اقول : ان تجارب اعوام الدراسة جعلتنا ندرك هذه المسألة اكثر مما يقدر لك ان تعيها انت . ولا مؤاخذة ... فلا تعيش انت جوا طلابيا مختلطا كالذي نعيش ، ولا تعرف من أمره ما نعرف نحن .

فقلت له : حسبك .. قد فهمت ما تقول ...

ودعنا عن حديث الواقع . فان الاندفاع الجنسي الحاد الذي يعاني منه الفتيان والفتيات والرجال والنساء عامة ، في العصر الحاضر يفند ما تقول .

وان نتائج الاختلاط بين الجنسين في الحريم الجامعي وفي أجواء المعمل ، وعلى البلاجات ، وفي صالات السينما يكذب ما تقول .

ولا يزداد الشباب الا افتتانا وجنونا وامعانا في الخلاعة والاستهتار والاستهانة بالقيم والتحلل من كل قيد ...

دعنا من كل ذلك ... فلا أريد ان أملىء عليك سمعك وقلبك بهذه الارقام الضخمة من التحلل الذي يتحدث الينا به الصحف وانما أريد ان ادرس الموقف بموضوعية فهل تحب ان تقول ان الاختلاط « البريء » يؤدي الى الاشباع الجنسي ... أم ماذا ؟

فاذا كان الاختلاط لايؤدي الى الاشباع الجنسي فما الذي يخمد ثورة الجنس ، وما الذي يحد من دفع الغريزة ؟

والغريزة في دفع مستمر ، لايقف عند الاشباع حتى يندفع من جديد وان كنت تحب ان تقول ان الاختلاط في حدود الصحبة البريئة واللقاء البريء يكفي للاشباع فلا اظن ان زملاءك يوافقونك على هذه الدعوة .

فالغريزة الجنسية لاتكتفي باللحظة والنظرة واللمسة ، ولا تقف عند حدود هذه الصحبة واللقاءات « البريئة » التي تحدثنا به .

استبطن أي فتى يساير فتاة ، او يجلس الى جنبها ، او ينقلب معها على أمواج البحر .. هل لاتحدثه نفسه ان يمتزج معها جنسيا ؟ وهل لا تخالجه رغبة حادة عنيفة ، تملك عليه نفسه ، ان ينزو عليها ، اذا سمحت لي بمثل هذا الجفاء في التعبير ؟ !

وما أحب الي من أن انقل اليكم ـ اعزائي ـ حديثا لاستاذ من اساتذة الجيل « الشيخ محمد امين زين الدين » في هذا الصدد :

يقول الشيخ : ـ

« احضر امام جائع منهوم مائدة شهية المآكل متنوعة الالوان ـ ودعه يتمتع برؤيتها ساعة وأكثر من ساعة .. لتستيقن صدق هذه الحجة التي يقيمون » .

« دعه يتحلى بالنظر الى صحافها واحده واحده ، ويستنشيء روائحها عرفا عرفا ، ويتقصى الوانها لونا لونا ، ويعدد فواكهها فاكهة ... ويعيد النظر .. ويستأنف التعهد والاستقصاء .

« دعه يمتع بصره وحواسه كذلك ساعة او ساعتين .. .

ثم سلة : ألا يزال جائعا بعد » ؟ ...

« ألم يملأ عينيه بالنظر ، وأنفه بالعطر ، وذهنه بالتعداد وبالتصور ، ونفسه بالمتعة ؟ ؟ . فكيف تبقى جوعته بحالها » ؟ !

« ان متعة العين بالنظر الشهي ، ومتعة السمع بالحديث الملذ ، ومتعة الحواس الاخرى بالمدركات الجميلة المحببة.. لن تسد نهمة الجنس ولا جوعة المعدة يا اساتذة ! ومن يدع غير هذا ، فانما يكذب نفسه .. وتكذبه البداهة من كل عقل » .

هذه هي الحقيقة التي يقررها الواقع ، وتسندها التجربة .. تجارب الاختلاط في حياة الطلبة ، في الحريم الجامعي وفي حريم الثانويات ، وحتى في المدارس الابتدائية ، قبل ان يكتمل الاطفال نضجهم الجنسي .

وأحب ان استعرض عليك طرفا من أحاديث الاختلاط في حياة الطلبة في اوربا وفي امريكا .

المدارس المختلطة : ـ

وجاء فى مجلة (خواندينها) :

« اذاعت وكالة رويتر هذه البرقية :

« حاول طلبة جامعة جورجيا الامريكية اقتحام عنابر النوم الخاصة بالطالبات للمرة الثانية ، وقد اعترض البوليس طريقهم فثاروا وقاموا بمظاهره » .

هجوم الطلاب الى اقسام الطالبات :

« قام في امريكا مائتي طالب من جامعة ميشيكان بتأريخ

٨ مارس ١٩٥٨ بحملة على عنابر نوم الطالبات اثناء نومهم.

« وقد اخذ الطلاب في الجامعات والمدارس الامريكية الاخرى يقومون بحملات مماثلة لها على اقسام البنات وقد درس العلماء هذه المسألة بعناية وكان نتيجة ذلك ان جعلوا الحق بجانب الشباب وذلك لشيوع الاثارة الجنسية العنيفة في حياة الشباب » (١) .

وكتبت مجلة الاتحاد القومي الايرانية :

« لقد ادت المدارس المختلطة في امريكا الى نتائج سيئة فقد انهمك الفتيان والفتيات في المغازله والملاحقة وممارسة العلاقات الجنسية عوض الدرس وادى ذلك الى انصراف الطلاب والطالبات عن المناهج الدراسية بشكل عام .

« ولذلك فقد صمم علماء التربية على فصل مدارس البنين عن البنات في الدورين الابتدائي والثانوي » (١) .

وكتبت جريدة (الشعب) المصرية تحت عنوان : نقطة بوليس بكل مدرسة في نيويورك :

« ازدادت موجة الانحلال في امريكا بصورة مفزعة . . اصبحت المدارس والمعاهد مرتعا خصيبا للشذوذ الجنسي ، وتحول التلاميذ والتلميذات الى مدمني خمر وسفاكي دماء!! .. المسدسات والمدى والسكاكين في جيوب الطلبة . وعلب السجاير واقراص منع الحمل في حقائب الطالبات .. ولم يعد الامر يحتمل السكوت ، ولذلك قامت احدى الهيئات القضائية يبحث جرائم طلاب المدارس في نيويورك ، واوصت

---

(١) جريدة (اتحاد ملي) عدد ٨٠٩ .

بتعيين رجل من رجال البوليس في كل مدرسة بصفة مستديمة ؛ للحد من نشاط عصابات الطلبة المنتشرة في المدارس . وقد أبدى بعض رجال القضاء مخاوفهم من احتمال انسياق رجال البوليس مع الطلاب والطالبات في صخبهم الذي لا يعترف لحدود » .

ويخمن القاضي (لندسي) الامريكي : ان ٤٥ ٪ من فتيات المدارس يدنسن اعراضهن قبل تخرجهن ، وترتفع هذه النسبة كثيرا في مراحل التعليم العالية . . . .

ارأيت ياصاح كيف تنهار الحياة الطلابية في امريكا واوربا ؟ وكيف تعرض حياة الطلبة هناك للخطر ؟

ارأيت كيف لا يؤدي الاختلاط الى الاكتفاء الجنسي ، وانما يزيد الفتى والفتاة فسادا وامعانا في الاستهتار والتحلل ؟

ولم اتحدث بعد اليكم عما تطالعنا الصحف هنا عما يجري في حريم المعاهد العلمية المختلطة ؛ احتراما لقدسية العلم ومعاهدة ... ولا زلتم انتم في دور الدراسة فلا أحب ان اجرح شعوركم في هذه المرحلة من حياتكم في مسألة هي في الصميم من حياتكم الحاضرة .

فقال لي أحدهم : واذا صح ما حدثتنا به من نتائج الاختلاط ومن هذه الارقام الهائلة ... فلا تنسى ان الحجاب يورث الحرمان والكبت في كل من الرجل والمرأة . واي حرمان اكبر من عزل المرأة عن الرجل في الحياة ؟ واي كبت اقسى من فصل الرجل عن المرأة ؟ فقلت له :

ومتى وجدتني اتحدث عن الرهبانية ؟ أم متى وجدت الاسلام يبعث على الحرمان من متعة الجنس ؟

فهل كان الاسلام قد حظر على أحد المتعة الجنسية لو تم ذلك ضمن الحدود المشروعة التي قررها الاسلام ؟ أم لم يبعث على الزواج ، الدائم منه والموقت ، ولم يحرض المسلمين على ذلك ؟ .. أم ماذا ؟

فهل ترى ان الاسلام قد قصر ــ حينما منع الاختلاط ــ في اتاحة الفرص للجنسين في التعبير عن الغريزة ؟ او لم يمهد له الاسباب ، ولم يبعث عليه ؟

أما انا فأعتقد : ان الاسلام صنع المعجزات في هذا السبيل وأتاح للفتيان والفتيات من فرص التعبير عن الغريزة مالم يصنعه اي نظام آخر على ظهر هذا الكوكب . واكثر من ذلك انه أعتبر الجنس حاجة اصيلة في كيان الانسان ، ورغبة مشروعة ، وحقا طبيعيا ، لايحق لاحد ان يمنع منه او ينكره .

وأين هذا التشريع الكوني السمح من نظم الجاهلية التي كانت تستبشع العملية الجنسية وتعتبرها عملية قذرة لاتليق بمكانة الانسان ؟ !

ولولا اني كنت ارغب ان ابحث لكم الاختلاط بمعزل عن النظرية الاسلامية ، بموضوعية وحياد ، لتحدثت اليكم كثيرا عن موقف الاسلام من الكبت ، وعما يصنعه للمنع من الكبت والحرمان في نفوس الافراد ..

... وطال بنا الحديث .. واستمر النقاش ، بحدة تارة ، وبلين آخرى .. نطبعه القسوة حينا ، ويشوبه المرح حينا آخر . وانتهى النقاش بسلام .. وانفض الجمع .. ويشيع في نفوسهم الاطمئنان والرضا بشريعة السماء .

نقاش آخر مع انصار الاختلاط : ــ

كان ذلك حديثا مرتجلا وعرضا سريعا لمفاسد الاختلاط ، وما ينشأ عنه من انهيار في الكيان الاجتماعي ، وتحلل في الاخلاق ، واسفاف في السلوك

البشري .

والخطر أكبر مما تقدم ...

فالاختلاط يؤدي الى أثارة الحافز الجنسي في النفس ، بحدة وبعنف .. والى تهييج الغريزة الجنسية ، بقوة وشدة .

والغريزة ـ كما قلنا قبل هذا ـ لايعرف الاكتفاء والاشباع ، ولا يقف عند حد ، ولا يفتر في حال .

والاختلاط في الحياة الاجتماعية منبه دائم للغريزة الجنسية .. يثير في النفس كوامن الشهوات ـ ويبعث الانسان على الجرى من ورائها ، بحدة وبعنف ، وبثورة مجنونة لا يفوقها جنون .

وكل مرحلة من مراحل الاختلاط يمهد الطريق لمرحلة أخرى منه ، أفظع ، وامعن منه في الخلاعة والابتذال .

ومهما يجري الانسان في هذا الجو الخليع ، مرحلة مرحلة ، ومهما يمارس من الوان هذا الاختلاط لونا لونا .. فلا يزداد الا حرصا في العمل الجنسي ، وولعاً بالتحلل ، وامعانا في الاسفاف ... حتى ينقلب الانسان ، بما يملك من وعي ورشد ، وما اودع في كيانه من قيم واخلاق .. الى حيوان لايهمه غير ان ينزو ، وغير ان يعربد .. أو اذا اردنا ان تترجم هذه اللغة الى لغة الانسان المعاصر : غير انه يراقص الجنس الآخر ، ويصفر حينما يهزه منظره مثير ...

وتلك حقيقة يسندها الواقع ، وتقرها التجربة .. تجارب الاختلاط الطويلة ، هنا في الشرق وهناك في الغرب ... على ان الوضع في الغرب أكثر تحللا وأمعن في الفساد .

ويكفي لكي تطمئن الى هذه الحقيقة أن تذهب الى سواحل البحار

الرملية (البلاجات) ، لتجد كيف يمارس « الانسان » الاستحمام في الشمس ، وكيف يضطرب هذا « الانسان » في مياه البحار ... وأن تذهب الى بعض صالات الزينة ، لتجد كيف تعد المرأة نفسها شهية عارية للاشتراك في الحفلات الساهرة ...

وأن ترى بعض هذه النوادي التي يدخلها العراة ، من الرجال والنساء .. ويقضون فيها من الساعات والايام والاسابيع ما شاء الله . وان ترى الاجسام العارية التي تلتوي وتنحني وتتمايل على خشبة المسرح .. أما المئات والآلاف من العيون الجائعة والنفوس المنهومة ... لتتأكد من صحة هذا الحديث .

* * *

صور من حضارة الاختلاط

ولكي نفهم ابعاد هذه الحضارة ، حضارة الاختلاط ، وندرس عن كثب آثار الاختلاط في حياة الرجل والمرأة ، وما تؤدي اليه من سقوط رهيب وتحلل في الحياة الاجتماعية وفي القيم والمقاييس الانسانية وفي العلاقات الاجتماعية يكفينا ان نعرض على القاريء صورا عن هذه الحضارة ، وارقاما عن هذا التحلل والسقوط ، ليلمس القارىء بنفسه آثار الاختلاط القريبة والبعيدة في حياة الانسان . ولكي يتأتي له ، وهو يعيش هذه الصور على صفحات كتاب — لا في اطارها الواقعي — ان يحاكم الاختلاط على هدى من عقله وفطرته .

فقد لا يتأتي للشاب مثل هذا الموقف ، في المحاكمة والنقد ، اذا قدر له ان يعيش هذه الصور في واقعها الفاسد ، الذي يملك عليه نفسه وعاطفته وعقله ، ويسد عليه منافذ الفطرة والتفكير المستقيم ، ويميعه في أطاره الخاص ويفقده صلابة الفكر وسلامة الفطرة .

وفيما يلي نعرض على القاريء صورا عن هذه الحضارة ، وارقاما عن هذا السقوط والتحلل الذي اصاب الانسان في ظل هذه الحضارة في حدود ما يسمح له صدر هذا الحديث .

مباريات الجمال

بدعة جديدة من بدع الحضارة .

وما عشت أراك الدهر عجبا ! !

تسلخ المرأة (الانسانة) من انسانيتها التي هي كل قيمة الانسان لتقنم بمقاييس الحيوان ، كما تقيم الدابة ، وكما يقيم الثور ، وكما يقيم اي حيوان آخر .

ويجتمع في مباريات الجمال ناس من ذوي الاختصاص (نخاسو القرن العشرين) وجمهور من الناس ليسلخوا أنسانا عن قيمته الانسانية ، وليقيسوه بمقاييس السنتيم والغرام ، كما يقاس ابعاد الحيوان ، وكما يوزن الحيوان [1] ، وليشهدوا هذا المشهد الرائع الذي يوحي بكل شيء الا الانسانية ، وكل ماهو انساني ، وكل ما يرتبط بعالم الانسان .

ومن الصلافة بمكان ان يسمى هذه العودة الى سوق النخاسة وتجارة الرقيق في القرن العشرين تطورا و « تقدمية » .

ولست ادري كيف يجرؤ التقدميون من أنصار الاختلاط ان يطلقوا على

---

(١) فى مباريات الجمال التي اجريت فى بلدة (لانك پييج) الامريكية لاختيار ملكة الجمال اضرب الناس ، واحتجوا على هذا العمل – وقالوا ان الانسان ليس بثور ، ولا تحولوا (لانك پيج) الى معرض من معارض الحيوان ، ولا تحرفوا فتياتنا عن طريق الاستقامة .

هذه المباريات التي عرفها الانسان من قبل في اسواق النخاسة والتي تخضع لمقاييس الاصطبل اسم التطور والحضارة ؟

ويجب ان تفقد الالفاظ مداليلها كثيرا حتى تكون الفتاة التي تكرم نفسها عن الابتذال وتصون نفسها عن التميع ، وتترفع من أن تلقي بنفسها في احضان هذا وذاك ولكل من يلقاها في الطريق فتاة رجعية لاتصلح للحياة ، ولا تواكب الحياة ، ولا تندمج في المجتمع ، والفتاة التي تبذل نفسها ، رخيصة مبتذلة لكل من يلاقيها في الطريق والتي تستهين بالبيت وبالاخلاق والزوجية والامومة وتتحدى القيم ، والموازين ، وكل ما هو انساني ومعقول في السلوك (١) ، وتقف امام الجماهير ، بزهو ، لقياس محيط صدرها ، ونهديها ، وخصرها وساقيها وطولها بالسنتيم والمليم ، وليقاس وزنها عارية او شبه عارية بالغرام ، كما كان يقاس الحيوان ، وكما كان يقاس الرقيق في أسواق النخاسة والرقيق من قبل ، وتقيم بعدد فساتينها واحذيتها وعشاقها والوان ما يوهاتها وشعر رأسها وعدد المعاكسات التيليفونية التي تتلقاها كل يوم والساعات التي تقف فيها امام المرآة كل يوم في صالات الزينة وفي بيتها .... أقول يجب ان تفقد الالفاظ مداليلها كثيرا ، او تنقلب مداليل الالفاظ الى اضدادها حتى يكون هذا النمط من الفتيات تقدميات ، يستحققن الحياة ، ويواكبن مسيرة الحضارة (الصاعدة) .

---

(١) يزداد القلق لسبب الاعجاب الغريب الذي يمكنه اعضاء نادي (الجائزة الاكاديمية) للممثلين والممثلات ممن يتحدون القيم الاخلاقية . بدأ الاعجاب بأنفريد بركمان التي حملت طفلة من عشيقها المخرج الايطالي ، فى حين كانت لاتزال متزوجة من دكتور ... ، وبين التصفيق الشديد منحت انفريد جائزة الاكاديمية كأحسن ممثلة . مجلة المتفرج : ٢٦ .

ان شر ما في تفكير شبابنا ، فتيان وفتيات ، انهم يقبلون كلما في هذه الحضارة من جديد ، ويستسلمون لكل ما في هذا الاطار ، من مفاهيم وقيم .

لقد فقد شبابنا ، في فورة الانقلاب الحضاري الجديد ، وفي حمى التحول من اطار حضاري الى اطار حضاري آخر حاسة التمييز بين ما هو شر في هذه الحضارة وما هو خير فيها .

ومباريات الجمال ، واختيار ملكات الجمال كانت من جملة هذه الظواهر الاجتماعية التي تسالت الى حياتنا الاجتماعية فيما تسللت اليها من مفاهيم وقيم وظواهر اجتماعية ، اثناء هذا التحول الحضاري .

ولست ادري ماذا حدث للآباء والشباب من انقلاب مفاجيء في الذهنية حتى اصبحوا يستسيغون ان يجري مثل هذه المراسيم على بناتهم في القاعات العامة ، وعلى الشاشة ، ولا يؤخذهم الغثيان من هذه المعاملة اللانسانية ، التي تعامل بها المرأة (الانسانة) في القرن العشرين .

ذكرت مجلة (اسفيد وسياه) الايرانية .

« كان يعرض على الشاشة ، في السينما كيفية اختيار ملكات الجمال ، وكان الناس ينظرون بلهفة الى الاجساد العارية ، التي يجري عليها المقاييس من قبل الاخصائيين ، وكان هذا العرض في بلد متحضر ، من بلدان العالم . ونست ادري ماذا حصل لي ، وانا استعرض هذا القلم ان تراجعت القهقرى ، عدة قرون ؛ المح من خلال هذا العرض اسواق النخاسة والرقيق في التأريخ .

كانت الاماء ، هناك في أسواق الرقيق تعرض على المترين

(التجار) ، عاريات ، نيسهل قياس سوقهن وصدورهن وطولهم وأوساطهن ، كما يجري انتخاب ملكات الجمال عندنا تماماً [١] .

يقول الدكتور عوض محمد عوض : ـ

« كثرت ملكات الجمال في هذا الزمان حتى اصبحن أكثر من الهم على القلب ، او اكثر من دودة القطن في فصل الصيف ! .. واكثرهن يشبه دود القطن .. نعومة والتواءً ، وقلة كساء وحياء . ونحن نعلم ان الامراض والاوجاع تنتشر على أثر الحروب بشكل وبالي ، ولدينا جدول مفصل لهذه الامراض .. ولابد لنا ان نضيف الى هذا الجدول ، والى اصناف الحميات التي تنفشى بعد الحروب ، هذا الداء الجديد ، وهو « حمى ملكات الجمال » .

« كان هذا المرض موجودا قبل الحرب ؛ ولكنه لم يكن يعدو حالات مرضية نادرة . أما الآن ، فقد اضحى مرضا وبائيا ، مثله كمثل الحمى الاسبانية التي اجتاحت جميع القارات في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، او الحمى الآسيوية التي اكتسحت القارات والمحيطات بعد الحرب العالمية الثانية بعشر سنين .

« والاسم الذي اطلق على هذا المرض يوهمنا لأول وهلة انه مما يصيب النساء دون الرجال ؛ فيكون في هذه الحال

---

(١) سفيد وسياه / ٤٠ للسنة الثالثة .

من اختصاص اطباء الامراض النسائية . غير ان التشخيص الدقيق اثبت أن جرثومة المرض متأصلة في الرجال ايضا .. وان كانت أعراضه قلما تظهر الا على النساء . لذلك يرى العلماء ان الرجل هو بمثابة حامل الجرثومة وناقل المرض ، وان كانت الضحايا في الاكثر الاغلب من النساء .

« ولم يكن بد ، بعد أن كثرت ملكات الجمال هذه الكثرة الهائلة ان تتعدد أنواعها واشكالها . واصبحت هنالك ملكات للقرى ، والمدن ، والعواصم ، والاقطار ، والقارات ... وملكات لبعض اعضاء الجسم ، مثل ملكات الساق ، والانف ، والاذن ، والحنجرة ! .. وملكات لبعض السلع التجارية ، كملكة القمح ، والارز ، او البامية ! .... ولا شك ان مجال التعدد والتنوع لايزال واسعا فسيحا .

« وبعد ــ ايها القارىء الكريم ــ ما اظنك الا مدركا ان هذه المبتدعات الغربية ما هي الا من قبيل تمجيد الجسد الزائل ، في زمن لم يتعلم اهله بعد كيف يمجدون الروح . فلابد ان يمضي وقت طويل ، بل لابد ان يتبدل الارض غير الارض ، والناس غير الناس .. قبل ان نسمع بملكات الصدق والامانة والوفاء والاخلاص » .

٧ التمثيل والسينما

دخلت المرأة المعاصرة حياة التمثيل والسينما ، فأنست بها ، ووجدتها لونا جديدا من الحياة ، لم تعهده من قبل بنات حواء ، وراقها هـذا الجو الجديد ، وان تظهر على خشبة المسرح او شاشة السينما ، فتجذب اليها انظار مئات الآف من الرجال الذين كانوا يحتقرون مكانتها بالامس القريب ــ وان تشدهم اليها ، بقوة ، وبعنف ، وان تجر من حناجرهم الهتافات الصارخة ، ومن اكفهم التصفيق ، وان تعرض صورها ، مكبرة ، على أبواب السينما والمسرح وعلى اغلفة مجلات الفن ، وان يتهافت على رؤيتها ومقابلتها الآف المعجبين والمعجبات . يطلبون منها ان تدلى اليهم برأيها ، في السخيف من الامور والتافه منها ، في لون الحذاء وفي تفصيل الفستان ، وفي تدخين السكاير وفي اقتناء الكلاب ، وان يطلبوا اليها توقيع دفاترهم [1] .

(١) من اليوم الذي وصلت صوفيالورن الى امريكا بلغ عدد محبيها ما يقرب

كل ذلك راق المرأة المعاصرة واعجبها ،فتهافتت على عالم السينما والتمثيل وتساقطت كالـذباب على هوليود وعلى مراكز السينما وعلى المخرجين السينمائيين (١) .

***

وبين صخب التصفيق وضجيج الهتافات واضواء الاستوديوهات ارغب الى فتياتنا الاعزاء من اللواتي تعجبهن حياة المرأة في الغرب ويسيل لعابهن لرؤية افلام بربجيت باردو وصوفيا لورين ومارلين مونرو . . ان يدرسن معي بعناية ، وبمعزل عن العاطفة والهوس وضع المرأة في هذا الاطار الحضاري الجديد .

حين تمثل المرأة دورا على المسرح او على الشاشة تقوم بدور تفريغ نفسها عن أي محتوى نفسي لشخصيتها ، فتطرح عن نفسها كل ملامح شخصيتها ، وتتفرغ ، وهي على المسرح ، او امام اضواء الاستيوديوهات عن تكوينها

من عشرة ملايين من الرجال ، ولو جمع ما كتبت الصحف عنها لبلغت مجلدات ضخمة . وما اكثر الازواج الذين طلقوا زوجاتهن نتيجة للاشغال بصوفيا عن ازواجهم واطفالهم وحياتهم الزوجية . تتمتع صوفيا فى هذه الايام بشخصية اعظم بكثير من تشرشل وونشتون وايزنهاور .

لقد وفرت صوفياثروة طائلة للمخرجين السينمائيين فى هوليود ، لانستطيع ان نعدها بمقاييس الحسابية « الاطلاعات الاسبوعية ٩٢٣ ـ ١٤ / ٣ / ٤٨ » .

(١) ذكرت مجلة (اطلاعات الشباب) عدد ١٢٢٩ ـ ان الاحصائيات دلت على ان ٣٠٠ر٠٠٠ طالبة مدرسية سجلنّ للعمل فى السينما وعرضن انفسهن للمخرجين السينمائيين .

الشخصي الخاص لتظهر بمظهر مستعار عن الشخص الذي تمثله ، وتقوم بدوره .

وبقدر ما تستطيع المرأة ان تتخلص من شخصيتها ، وتطرح نفسها ... تنجح في التمثيل وفي اجتذاب الهتاف والتحسين من حناجر المعجبين ــ وليس شيء ادعى للشقاء الى روح المرأة من ذلك .

فمن ناحية نفسية تشعر الممثلة بالفراغ والخواء النفسي ، وتشعر انها لاتمثل في حياتها ــ والحياة بالنسبة اليها هي الشاشة والمسرح والجماهير ــ دورها الحقيقي وشخصيتها الواقعية .

فالجمهور حينما يقبل عليها ، والمخرجون السينمائيون حينما يخطبون ودها ويعرضون عليها المال بسخاء ... لايريدونها هي ، وانما يريدون ان تطرح شخصيتها كما يطرح الانسان ثوبه ، ويستبدله بثوب آخر . وان تستعير لنفسها ملامح كليو باطرة الغريبة عن تكوينها الشخصي الخاص ، وان تنزع عن نفسها كلما يتصل بشخصيتها هي وتلقيها عن نفسها لتعيد كليو بأطرة او ملكة سبأ من المقابر ، بعدما بلى جسدها ونخر عظامها ... فتعيش من جديد هي حياتها امام الجمهور وعلى الشاشة .

تنتزع عن كليو باترة اكفان الموت وتنفض عنها غبار التأريخ وتقبر شخصيتها هي في ظلمات اللاشعور لتعيشها من جديد وليحشرها مرة أخرى في عالم الاحياء قبل ان يحشرها الله يوم يحشر الناس .

وقد ترتسم ابتسامة ساخرة على شفاه فتياتنا حينما يقرأن هذا الحديث ويخال اليهن ان الكاتب يحاول ان يمزج بين السينما والفلسفة ، او يفلسف السينما ، والسينما لاتخضع للفلسفة ــ ولكنني على يقين ان فتياتنا في الشرق

الاسلامي لايدخلن هذا الجو ولا يحشرن انفسهم في هذا الاطار الحضاري الجديد حتى يتراجعن الى الوراء ، وحتى يشعرن بالفراغ والخواء ، والحياة المستعارة غير الاصيلة التي يسبغها عليهم عالم (الفن) و (السينما) .

* * *

وليس هذا وحسب العناء الذي تعانيه المرأة على المسرح وامام اضواء الاستوديوهات .

ولو كان كذلك لم تظلم المرأة وحدها دون الرجل .

فالرجال والنساء يدخلون عالم الفن بشكل سواء . ولكن اقبال الجماهير من (هواة الفن) والمخرجين السينمائيين على المرأة ليس لحساب التمثيل والدور الذي تلعبه المرأة فحسب ... وان كان ذلك جزءا من العمل .. . وانما لسبب آخر أيضا ولحساب آخر ، يخص المرأة دون الرجل ، وهو حساب الجسد ، ومفاتن المرأة ، صدرها وردفها وسيقانها العارية ... وكل شيء مثير في جسد المرأة .

ان الجمهور لايفهم من المتعة الفنية غير الاثارة الجنسية الى مستوى الحيوان ، والمخرجون السينمائيون لايفهمون معنى للفن غير هـذا المعنى الساقط المتبذل ... غير ان يثيروا الجماهير الى حد الصرع والجنون ، وغير ان ينفذوا الى جيوبهم بكل شكل ، وغير ان يربطوا الجماهير بالشاشة ، ولا يهمهم بعد ذلك المحتوى الانساني لذلك بشكل من الاشكال .

فالمرأة التي تتقن دورها احسن من غيرها هي التي تثير الجماهير اكثر من غيرها ، وتفهم كيف تهز كل خيط للغريزة في نفوسهم وتحفز اعصاب الشباب .

والمرأة التي تعرض نفسها على الجماهير ، والتي تجتذب افواه الجماهير واكفها بالهتاف والتصفيق لاتتجاوز ان تكون (بائعة لذة) (وعارضة جنس) على الجمهور .

ومهما يغالي الجمهور في تقدير الممثلين وكواكب السينما فلا يكاد ان ترتفع قيمة المرأة في نظرهم من قيمة سلعة او دمية مغرية ، (غاليه الثمن) . ولا تشعر المرأة بحال انها تملك قيمة انسانية ، اوان الجمهور يحترم هـذا الجانب من شخصيتها في شيء .

ان كل ما يثير اعجاب الجماهير فيها هو الجسد وحسب ، وتقيم المرأة الممثلة بقدر ما تملك من فتنة في الجسد وبقدر ما تملك من قابلية للاغراء والجذب .

والمرأة المعاصرة حينما يحف بهـا الجمهور ويهتف لها الرجال وتنشر صورها مجلات الفن ، ويتعاطاها الشباب بصورة واسعة ، وتتحدث عنهـا الصحف ... تشعر في دخيلة نفسها بالصغار وبأن الجمهور يحتقر الجانب الانساني من شخصيتها بقدر ما يغالي في تقدير (جسدها) ، وبأن تقدير مفاتن جسدها يتم على حساب شخصيتها الانسانية ، ومكانتها من عالم (حواء) وموقعيتها كام او زوجة .

والمرأة ليستغبية كمايحسبها الرجال ،ولا يفوتها ان أقبال الجمهور علىشاعر او كاتب او سياسي او قائد يختلف عن اقبالهم على مرأة عارية (بائعة للذة) تعرض جسدها للاغراء في اسواق الرقيق الابيض .

وكم تقلقها هـذه الفكرة وتزعجها ، فتود لو ان الجمهور يتناساها ، وتعتزل الجمهور والفن والميدان السينمائي وتهجر معه كل هذا الضوضاء

الفارغ والصخب البليد [١] .

* * *

ولست ادري هل قدر لفتياتنا المعجبات بدنيا السينما ان يسألن انفسهن عما دفع مارلين مونرو ان تنتحر ، وهي تعيش على قمة المجد والشهرة ، في سماء هوليود ، يحيطها الرجال بالهتاف ... من اعماق حناجرهم ... وترمقها النساء من بعيد كما يرمقن نجما عاليا في السماء ؟ !

أن (مارلين مونرو) كانت انسانة تشعر في دخيلة نفسها ان الجمهور يحتقر شخصيتها وانسانيتها بنفس النسبة التي يقدر الفن فيها ، ولا يقيمها بأكثر من قيمة سلعة (غالية الثمن) مغرية . وان هو ليود تستغل شخصيتها لحساب المخرجين السينمائيين ، ما كانت تملك ان تغرى الرجال وتثيرهم ، فاذا فقدت هذه القابلية على الاغراء اعرضت عنها والقتها الى جانب ، لتفحص عن غيرها .

فقررت ان تثأر لكرامتها الانسانية من (جسدها) وانتحرت .... ان هوليود والسينما والجماهير هي التي دفعت مارلين للانتحار . . . وهي المسؤولة عنهـا ... اذا كان هناك من يعنى بقضية المرأة في حضارة القرن العشرين .

ولا اريد ان اطيل في الحديث ، اولا احب ان اختم هذا الحديث من غير ان انقل هذا المقطع من بعض مجلات الفن .

* * *

(١) اعلنت (النجمة السينمائية الشهيرة .... عزمها على اعتزال الميدان السينمائي نهائيا .. ضاقت المسكينة ذرعا بكل شيء او حاولت ان تضع حدا لحياتها . حاولت ان تنتحر مرتين مجلة الكواكب / ٥٣٣ .

« هذه الحضارة يجب ان تموت ، كما ماتت مارلين ، وكما تموت الكلاب والقطط .. ماتت كالكلاب ... ماتت كالقطط .. ماتت كأي فأرتدوسه الاقلام » .

كتب هذا المقال الصحيفة الفرنسية فرانسواز جيرو بعد ان علمت بأنتحار مارلين مونرو .

وقالت أيضا :

« ان مارلين هي نحن . نحن الغربيون اصحاب الحضارة ورواد العالم .. مارلين هي نحن ولكنها انفصلت عنا بجرأة حين رفضت حضارتنا ، وقررت ان تكون انسانة .

اننا نحن ــ الغربيين ــ لو اوتينا شجاعة مارلين مونرو يتحتم علينا أيضا ان نموت ، لا بالاقراص المنومة ، .. بل بوسيلة اخرى تنسجم مع نحن عليه من حيوانية وانحطاط[1] .

---

(١) مجلة الرأي العام للفن والسينما العدد ٣٢ .

صور عن حضارة الاختلاط

٣ الرقص

ظاهرة قديمة في سلوك الانسان ... عرفها الانسان منذ كان يعيش في الكوخ .

وتطور الرقص ، وتجدد منه أطوار جديدة ، وتناولته مدارس ومعاهد خاصة بالتنظيم والدرس ، ولكن جوهره ظل هوهو ، لم يتغير عما كان عليه، رغم ما طرء على شكله من تغيير .

ويهمنا في هذا الحديث ان ننفذ الى جوهر هذه الظاهرة الاجتماعية لنستكشف التعبير النفسي الكامن في هذه الظاهرة من وراء الاشكال والصور والمظاهر المختلفة .

وقبل ان ننفذ الى جوهر هذه الظاهرة نحب ان نبعد عنها كل تقييم فني مما يسبغ عليها قيمة فنية ، تجعلها بمعزل من النقد والنقاش .

فقد اعتاد الناس أن يتناولوا الظواهر الفنية التي يقدسها هواة الفنون الجميلة بشيء كثير من الحيطة والحذر ، لئلا تمس كرامة الفن من بعيد او قريب .

وكرامة الفن غريزة على الناس ، مهما كان محتوى هذا الفن وجوهره .

ولذلك اقترح على القارىء ان ينتزع (ظاهرة الرقص) في ذهنه من أي اطار فني ، ليتيسر له ان يساير هذا الحديث الى نهايته .

* * *

وحينما نستبعد عن الرقص المظاهر والصور الفوقية المتعددة نلتقي بظاهرة فريدة ، دائما ، هي جوهر هذه العملية . وهذه الظاهرة هي ظاهرة (الطيش) و (النزق) في السلوك .

فحين تأخذ الانسان النشوة ، نشوة السكر او الطرب ... تمتلكه الخفة

ويهيمن عليه النزق ، وتحدثه نفسه ان يضرب الارض برجلية ، وينقر الباب والزجاج بيديه ، وان يصخب ، ويصيح ، ويصفر ، ويترنح .

في مثل هذه الحالات يعرض الشخصية لون من الخفة ، لايشعر معها صاحبها بأثر من الثقل والوزن والتماسك .

ويقوم الرقص هنا بدور التعبير عن هذا الشعور النفسي والحاجة النفسية الى الحركة والاضطراب والتقلب .

ولم يكن الرقص اول الامر فنا ، ولم يقدر له ان يدخل قائمة الفنون ألا في وقت متأخر .

ويستدرج الانسان هذه الخفة الى نهاية صاخبة مجنونة . وكلما أمعن الانسان فيها ازداد امعانا في الخفة والميوعة ، حتى يفقد كل توازن في الشخصية وكل تماسك في الاعصاب .

ويفقد العقل الذي يسيطر على النفس وعلى الاعصاب ، فيسخر الانسان بالقيم ، ويفلت من كل ضابط نفسي او اجتماعي ، ويتحلل من كل قيد ... فيصيح ، ويعربد ، ويصفر ، ويضرب بيديه ورجليه ، ويحطم كل شيء يلتقى به .

ذكرت مجلة (باري ماچ) الفرنسية :

(حينما ابتدأت رقصة الروك اندرول « الذي يعتبر مثلا عن بربرية الانسان في عصر الفضاء » اخذ الفتيان والفتيات بالتمرد ... ولم تطل الرقصة ساعتين حتى تحطم كلما كان في الصالة من كراسي ونوافذ وابواب ... وكان الشباب قد انقلبوا الى وحوش ... وحوش مفترسين يحطمون ،

ويهشمون ، ويبددون كلما يصادفهم . وقد استخدم البوليس لتفريقهم الغازات المسيلة للدمع . ألا ان هذه الطريقة لم تنفع في تفريق هذا الحشد من الشباب . فأوجد البوليس حريقا في عدة نقاط ، حتى يتمكن من تفريق الشباب .

وقد قبض البوليس على ١٣٠ نفر من المتمردين ، الذين كانوا اقل نشاطا من الآخرين ، والذين تفرقوا من الفتيان والفتيات بضغط البوليس الى الشوارع هجموا على سيارات الباص ، وعلى المحلات التي صادفوها في الطريق ، ونهبوا عددا كبيرا من هذه المحلات بالاضافة الى تحطيم المعارض التي صادفوها في الطريق .

« ويقول المسؤولون عن التأمين ان الخسائر التي لحقت بناية النادي الرياضي المذكور يقدر بمليوني فرانك ، وليس بأمكان شركة التأمين تعويض هذه الخسائر » (١) .

وليس ما ذكرناه شططا من القول .

فحين تستبد الخفة بالانسان ، وتهيمن على سلوكه ، ويغيب عنه الوعي ... ينقلب الانسان الى حيوان يفترس ، ويمزق ، ويحطم ، ويتنكر لكل قيمة بشرية .

وتبتديء الرقصة عادة بهدوء ونظام ورتابه ، ولكنها سرعان ما تنقلب الى حركات شديدة ، ورعشة قوية في الاجسام ، وهزات سريعة ، غير منظمة ، ونقر عنيف ، وضرب بالايدي والارجل لايخضع لشيء من اصول (الفن) ،

(١) جريدة الاطلاعات / ١٠٦٧٦ .

او ما يسمى بالفن .

ويزداد تأثير ذلك حينما تقترن الرقصة بموسيقى حادة ، عنيفة ، تزداد حدة وعنفا كلما اوغل الراقصون في الرقص .

في هذه اللحظات يبلغ تأثير الرقص حـدود السحر ، فيمغطس الجو ، ويكهرب اعصاب الجمهور ، ويبعث في نفوسهم الخدر والرخوة ، ويستنفذ من اعماق تكوينهم آخر شحنة للشخصية والوعي .

* * *

وحين يفرغ الشاب عن مشاهدة مشهد من مشاهد الرقص ، او عن مزاولة الرقص في حفلة ساهرة ... يخرج بشخصية مغلولة ، خاوية ، قضت الخفه ، والنزق فيها على كل اثر للتماسك والاتزان ، وطبعته بطابع من (اللاابالية) و (اللاضبط) والميوعة .

وحتى يستعيد الشاب بعض شخصيته مرة ثانية ، متماسكة ، قوية ، متزنة ، ويمسح عنها طابع الميوعة والخفة ... يجب ان يبذل جهدا كبيرا في هذا السبيل .

وكثيرا ما لايتاح للشاب انيستعيد شخصية مرةثانية ، ويستعيد تماسكها واتزانها ... فيبقى عليها طابع الخفة والنزق ، وينقل عدوى الخفة والتنكر للقيم الى خارج اطار حفلات الرقص والموسيقى ، فينقلب الشارع والمدرسة والسيارة والحدائق العامة الى حفلات عامرة بالرقص والموسيقى .

وحين تنحدر هذه الخفة والنزق التي تلازم نفسية اليافعين من ندوات الرقص الى مستوى الجد من الحياة ، في المدرسة والحقل والدائرة والمعمل ، تنقلب الحياة في ذهنية الشاب الى هزل ومجون ، وتظهر لهم بطابع من المرح

الابله ، يسلبهم روح الجد والعمل .

وهذا ما نلمسه نحن بوضوح في حياة اليافعين في الوقت الحاضر . .

* * *

ويحاول انصار (الرقص) ان يحيطوا الرقصة باطار مقدس من الفن ، ويسبغوا عليه طابعا من العلم . لكن الواقع ان عنوان الفن جاء لتبرير هذه الظاهرة في سلوك الانسان ، اكثر من اي شيء آخر .

فقد كان الانسان يمارسها ، حين تستخفه النشوة والطرب . فحاول ان يضعها في اطار من الفن ، حتى يمسح عنها مسحة الخفة .

ويحاول آخرون ان يعطوا الرقص طابعا من الرياضة والحركة . الا ان هذه المحاولة ليست اقلا فشلا من المحاولة الاولى .

فالرياضة توحي بالقوة والجهد ، ويقوم به الانسان شاعرا بأنه يحمل نفسه ثقلا وجهدا ، لتقوى على تحمل هذا الجهد ، خارج ميدان المباراة . وتوحي الرقصة بالضعف والخفة وتطبع الشخصية بطابع من اللامبالاة والميوعة والتحلل ، وتنقل عن طريقها عدوى الخفة واللامبالاة الى مستويات الجد في الحياة .

وفرق كبير بين هذا وذاك .

بين عمل ينبعث عن روح الجد والصلابة وعمل ينبعث عن روح الخفة واللامبالاة .

صور عن حضارة الاختلاط

٤ البغاء

لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة .
بني اسرائيل : ٣٢

البغاء صورة غير مشروعة لممارسة العملية الجنسية .

وقد كانت البغاء منذ ان مارسها الانسان في حياته الجنسية مشكلة انسانية . وليس من اليسير على الانسان أن يتخلص من هذه المشكلة ، من دون ان يقضي على جذورها في الحياة الاجتماعية القائمة .

فالبناء الاجتماعي يقوم على اساس الاختلاط بين الجنسين ، وتداول العوامل المثيرة في حقول التثقيف والعمل والتسلية ، وحتى في السياسة ...

ومثل هذه الحياة تثير الغريزة في نفوس الرجال الى حدود الجنون ، وتدفعهم الى اشباع هذا النهم الجنسي ، بقوة . وحين لايتوفر للرجل الاشباع المشروع بالسهولة التي يتوفر له ذلك عن طرق غير مشروعة ... يلتجأ الى احضان البغاء .

فالمشكلة تكمن اذن ، في البناء الاجتماعي القائم على الاختلاط ، واثارة الشهوة في نفوس الرجال ، اولا ، وفي تعقيد عملية الزواج بالنسبة للشباب ثانيا .

المغزى النفس للبغاء :

ولنتأمل حينا المغزى النفسي للبغاء .

اليس هو لون من الوان الممارسة الجنسية ؟

واليس الجنس حاجة في نفوس الرجال والنساء معا ؟

فلماذا بعد كل هذا التهويل والتهريج ؟

كذلك يقول تجار الرذيلة .

وقد يبدو هذا الكلام وجيها اذا كنا ننظر الى العلاقة الجنسية القائمة

بين الجنسين ، بمنظار الحيوان ، ونضعها في وسط الغاب ، ونسلخها عن الاطار الانساني الذي يحيطه .

أما حينما نضع هذه العلاقة في موضعها من حياة الانسان ؛ ونحيطها بما يلطف اجوائها من مشاركة وجدانية ؛ وحب ؛ وتجاوب روحي بين الجنسين ... فالحالة تختلف عما يعرضها ، بصراحة ، تجار الرقيق الابيض على الشباب .

فالمباشرة الجنسية في حياة (الزوجين) الذين يعيشان في بيت واحد ، ويرتبطان ببعض ، بأكثر من علاقة ذات طابع انساني ، تحفة المناسبات التي تربط حياة الزوجين ، ويشيع عليها جو من الود والحب والمشاركة الوجدانية .

فتتصهر الغريزة في الاطار الانساني الذي يحفها ، وتتجرد من المعنى الحيواني الذي يمارسها الحيوان ؛ كلما شعر بحاجة الى الجنس الآخر ؛ وتكون حصيلة ذلك مزاج من الغريزة الجامحة والسكون النفسي .

وليس الامر كذلك في البغاء .

فلا تجمع البغية بالبغي علاقة أنسانية وشعور متبادل ومناسبة زوجية والحاجة الى الجنس الآخر والنزعة الجنسية هي التي تدفع الرجال الى احضان المرأة ، وهي التي تتحكم على علاقة الجنسين ببعض . فتظهر هناك الغريزة عارية من اي معنى انساني ، ويتصل الرجل بالمرأة ، كما يتصل حيوان بحيوانة في الغابة ، ويقضي منها حاجته الى الجنس الآخر ، كلما شعر بالحاجة اليه .

وحين يقضي منها حاجته تنقلب هذه الرغبة في نفسه الى شعور بأحتقار المرأة ويتحول هذا الاندفاع الجنسي الى ازدراء الجنس الآخر ، فيقذف اليها بالثمن ، ويحتقر نفسه ان يخضع للغريزة الى مثل هذا المستوى ، كما يخضع الحيوان ، ويمقت المرأة ان تثير في نفسه الغريزة ، وتحط من قيمته في نظره ،

وتفقده ارادته على التسامي ، وتدفعه الى الاستسلام لها بمثل هذا الابتذال والضعة .

(ويحتقر الرجل بطبيعته هذا الصنف من النساء ، وهو حتى في حال ولوغه الموقت في هذه المستنقعات لابد أنه مبتعد عنهم ، وعلى شفتيه وفي قلبه كلمة واحدة ، لايحد شيء من عمقها وقوتها ، هي كلمة الاحتقار) (١) .

* * *

والمرأة ، بعد ، كائنة شاعرة ، حساسة ، مرهفة الحس ، يؤلمها ان تجد الرجل يتخذها لونا من الوان اللهو ، ووسيلة لاشباع رغبة حيوانية ، ويجد في احضانها لذة رخيصة ومتعة مبتذلة ، ويجردها من أي معنى انساني يليق بها ، كأنسانه ، شاعره ، مرهفة الشعور ، ليتقاضى منها هذه اللذة الوقتية الرخيصة ، لقاء ثمن زهيد يلقيه اليها بأحتقار .

فتشعر بالضعة والهوان ، ويؤلمها هذا الشعور ، وتجد ان المجتمع الذي يدفعها الى هذا الحضيض ، وينتزعها كرامتها ، كانسانة ، يظلمها ، ولاينصفها ، فتمقت المجتمع ، وتحتقر الرجل ، وينقلب في نفسها هذا الشعور الى عقدة نفسية ، وتنضب نفسها من أي معنى انساني ، وتشعر بأن الرجل الذي يعاكسها ، ويلاحقها ، ويتهالك عليها ، ويبذل عليها المال بسخاء .... يحتقرها ويزدريها ، ولا يكن لها أي احترام ، يليق بها كانسانة ، وتجد ان من حقها أن تثأر لنفسها ، وان تعلن غضبتها على الرجل وعلى المجتمع .

فهي شيء اكثر من اناء ظريف يلغ فيها الرجال ، ومائدة شهية يتهالك

---

(١) النساء الخاطئات : دي مونتيرلان ، الترجمة العربية ص ٩١ .

عليها الرجال بشره ، ورزمة صالحة ، يتدافع عليها تجار الجنس .

انها تريد ان تكون انسانة ، وان تحتل مكانتها الطبيعية من دنيا الانسان ، وان يعترف بها المجتمع ، وان تأخذ نصيبها من (الحب الزوجي) والحياة الزوجية الهادئة ، ومن عاطفة الامومة ، وان تقاس (بمقاييس الانسان) لا بأبعاد الصدر والنهد والسيقان وعدد الاحذية والفساتين .

ان المرأة تشعر ان الوسط الحضاري الذي تعيش فيه يفقدها كل قيمة انسانية ، ويسلك معها سلوكا آلياً جافا ، كما يقيم الانسان لعبة او يفحص الانسان حيوانا في اسواق النخاسة للشراء .

(واذا كانت المرأة الامريكية كثيرا ما تضيق ذرعا بالرجل الامريكي ، فما ذلك الا لانه يراها بعين تجارية للبيع ؛ فهي بالنسبة اليها جميلة تساوي الف دولار ، ومتعلمة تساوي خمسة الآف دولار ورفيقه تساوي الفي دولار ، وتملك بيتا للايجار او مخزنا كبيرا ، او شركة واسعة فهي تساوي مائة الف دولار ، بل مائتي الف دولار ، وقد تبلغ به عادة التسعير الى تثمين شعرها بثمن ، وعينها بثمن ، وشفتيها بثمن ، وذراعيها بثمن ، وساقيها بثمن ، كأنها سيارة لكل من اجزائها ثمن خاص) [1] .

وينعكس هذا الشعور بالضعة والهوان والمقت الشديد للمجتمع والحقد على الرجل .... على قسمات وجوه البغيات وعلى أحاديثهم ، فيمسخهن الى كائن جاف الطباع منكمش القسمات ، حالك الملامح .

---

(١) نساء خاطئات : دي مونتيرلان .

يقول دي مونتيرلان :

(اما النساء اللواتي يمتهن تجارة الهوى المحرم فهن ممن ماتت نفوسهن ، واصبحت ارواحهن آنية سوداء للكره والازدراء والصديد ، واذا حدقنا قليلا في وجوههن التي جلدتها رياح الضعة والصغار والاستسلام فنحن لا نرى غير قسمات مسخت مسخا ، ومحاجر جف فيها ماء الحياء والحياة ، وأفواه شبيهة بقاذورات الماء العكر ، وشفاه دنسها ذل السؤال . فاذا هي عقبات قاحلة لم تجدب عتبة ، كما اجدبت هي .

وجوه مظلمة فارغة ، آخذة من الدنس بكل نصيب .

وجوه حفرها السهر ومسحتها الرياح بايد كالحة .

وجوه رجعت الى صورة الطين الاول بعد ان نشبت في مداورها اظافر الموت) [1] .

* * *

وقد ينقلب هذا الشعور المؤلم بالذل والضعة والحرمان من الحياة الزوجية والحب في نفس المرأة البغية الى ظواهر مرضية معقدة ، تبعث على الاشفاق وفيما يلي نذكر ظاهرة من هذه الظواهر من حديث دي مونتيرلان :

(ان لكثير من النساء اللواتي يمتهنن التجارة الرسمية رجالا محظوظين يتعلقن بهم ، ويصرفن عليهم كلما يكسبن من عرق الجسد ، ولقد قرأت تحليلا لهذا العمل كتبه

---

(١) النساء الخاطئات : دي مونتيرلان : ٩٠ الترجمة العربية .

الاديب (اناتول فرانس) ذكر فيه بأن المرأة التي تنحدر الى مستوى التجارة بجسدها ، تشعر في قرارة نفسها بأنها خاطئة وذليلة ، ولكي تعوض عن هذا الشعور فهي تحب رجلا معينا ، وتصرف عليه كلما تحصله من عملها غير المشروع ، وذلك لكي تعيد الى نفسها قليلا من السعادة المفقودة وقليلا من احترام الذات ، ثم هي تعتقد ان عملها هذا هو تعويض عن الخطيئة المنكرة التي سقطت فيها)[1].

***

وتفقد المرأة ، وهي تمارس البغاء ، اي اثر ليقظة الضمير ووخز الوجدان في نفسها ، بصورة تدريجية فيدفعها التعور بالندم وبالضعة ان تشغل نفسها بأستمرار بما ينسيها هذا الواقع النفسي والحياتي المؤلم ، وبما يخدر اعصابها ويشل تفكيرها . فتنهمك في الرذيلة الى اذنيها ، وتفقد شيئا فشيئا آخر اثر ليقظة الضمير وحساسية الوجدان .

« ان المرأة تتألم ، وهي تفارق مناخها الطبيعي ، مناخ الحب الشريف ، الا ان أرادتها المريضة لاتقوي على اعادتها اليها الا فيما ندر ، وهذا ما يجعلنا نقرر ان المرأة التي تسير في طريق الرذيلة انما هي مريضة ليس بارادتها فحسب ولكن ايضا بقلبها الذي يجعلها تفقد حسها بالشرف ، ولا شك ان نوعية هذا الحس بالشرف هو الفارق البسيط بين المرأة

---

(١) النساء الخاطئات : دي مونتيرلان . ص ٩٠ الترجمة العربية .

الطاهرة ونقيضها المرأة العاهرة .

وعندما تسقط المرأة تشعر ان الاثم اصبح في حياتها مثل لطخة كبيرة على ثوب ابيض ، ويخلق في نفسها شعور بالذنب وضجيج تسرع الى اخماد صوته بذنب اكبر ، لذلك فأنها تشعر دائما بحاجة ملحة الى أثم جديد ، ينسيها واقعها ، ولو الى فترة قصيرة .

ثم وهي في غمرة حياتها الزانية ينشأ عندها شعور باليأس يصور لها ان اللطخة في حياتها لن تزول ، ولا يمكن ان تزول لانها اصبحت كملك خاص لها او انها بمثابة وصمة عار انطبعت على جبينها ولن تستطيع يد مهما عظمت ان تمحوها .

هذا الشعور هو مخدر جديد تستخدمه المرأة العاثرة عن قصد ، او عن غير قصد ، لاماتة بقايا الضمير والاحساس بالشرف التي تثور من وقت لآخر لتقلقها ، وتقض مضجعها ، وتخلق الف جحيم صغير في عروقها » [١] .

تجارة الرقيق الابيض :

يحسب كثير من الناس ان حضارة القرن العشرين قد قضت على كثير من المآسي التي كان يرزح تحتها انسان القرون الوسطى ، حينما كان يعرض (الانسان) في الاسواق ليباع ويشتري ، كما يعرض الحيوان في أسواق النخاسة .

(١) النساء الخاطئات : دي مونتيرلان : الترجمة العرص ١١٩ – ١٢٠ .

ولكننا حينما نستعرض معالم هذه الحضارة الجديدة التي ابتدعتها عقلية الانسان في القرن العشرين نلمس فيها جوهرها تيك المآسي التي كان يعاني منها الانسان من قبل في اطار مغري وقالب جديد .

فاذا كانت تجارة الرقيق في العصور الوسطى مقتصرة على تجارة الملونين ــ من البشر ــ وفي فترات خاصة من تاريخ الانسان ، فقد اصبح انسان القرن العشرين يمارس لونا آخر من تجارة الرقيق ، ولم يكن هذا اللون الجديد من الرقيق الذي أسترق انسان القرن العشرين غير المرأة التي كان يثور لكرامتها كلما مست كرامتها بسوء من قتل المحافظين .

فبعد ان كان البغاء عملا فرديا يجري بصورة فردية ، وفي خفاء من الرقابة الاجتماعية... اصبح البغاء تجارة دولية منظمة، لها فروعها ومنظماتها ومنشآتها وجذورها في مختلف مرافق الحياة ودوائر الدولة .

يقول مردينان دريفوس احد اعضاء المجلس الفرنسي « أن حرفة البغاء لم تعد الآن عملا شخصيا ، بل قد اصبحت تجارة برأسها ، وحرفة منظمة ، بفضل ما تجلب وكالاتها من الارباح الغزيرة . فلها في هذه الايام وكلاء يهيئون المواد الخام وآخرون يتجولون في البلاد ، ولهـا الآن أسواق منظمة ، تستورد فيها ، وتصدر منها الفتيات ، كالاموال التجارية ، واكثر ما يطلب في هذه الاسواق من الاموال هو بنات دون العاشرة » .

ويقول بولا بيودو :

« ان هذا العمل ، أي احتراف البغاء قد اصبح في زماننا نظاما محكم التركيب ، يجري بما شئت من التنظيم في ايدي الموظفين والعاملين المأجورين ، ويعمل فيه ارباب القلم وناشرو الكتب والخطباء والمحاضرون والاطباء والقابلات والسياح التجاريون ، ويستعمل له كل جديد من فنون النشر والعرض والاعلان » .

وتطورت البغاء من شكلها التجاري في الحرب العالمية الاولى الى نمط آخر ، يتطوع بها الفتيات لخدمة الجيش في الميدان .

وقد ولدت هاتيك النساء بعد اولادا ويطلق عليهن عادة (اسم امهات عهد الحرب) .

الرزم البشرية :

ولتجارة الرقيق الابيض تجارذوي اختصاص من الرجال والنساء ينشرون شبكات الاغراء في مختلف النوادي والمجامع لاقتناص (الرزم البشرية) من الفتيات الساذجات اللواتي يقعن فريسة لهؤلاء الذئاب من اشباه الانسان .

واذا كانت بائعات اللذة من النساء لاينلن من عرض اجسادهن على الرجال غير الشقاء والشعور بالضعة والذل ، وغير هذا الثمن الزهيد الذي يقدم اليهن ، كثمن لما يقدمن من لذة للرجال .... فأن اصحاب البيوتات من

تجار الرقيق الابيض ينالون من هذه التجارة حصة الاسد من الفريسة .

ولا يتردد تجار الرقيق الابيض من استغلال أيةوسيلة ،مهما كان شكلها. لاستيراد اكبر عدد من الرزم البشرية الى بيوت البغاء .

« اعرف صبية تقدمت منها في أحد الايام عجوزة مسنة منهوكة البنية ، فقدمت لها رسالة ورجتها ان توصلها الى اصحابها . فأخذت الفتاة الرسالة ، ولكنها ارتها لابيها الذي فتحها فوجد فيها هذه الكتابة « اهتموا بأمر هذه (الرزمة) لانها صالحة لعملكم » فأسرع الاب وعرض البطاقة على دائرة البوليس فسيرت دورية الى المكان المذكور على غلاف الرسالة فقرع رجال الأمن الباب فلم يفتح فدفعوه وشقوة فاذا بهم يجدون فتاة مبنجة موضوعة في صندوق بطريقة خاصة » [١] .

فتيات التليفون :

ومن أغرب القضايا التي شغلت امريكا والرأي العام العالمي منذ سنوات قليلة قضية (فتيات التليفون) فقد اكتشف البوليس الامريكي فروعا لشبكة خطيرة تمارس مهنة التجارة بأجساد النساء ، وقد ظهر من التحقيقات الاولى ان هذه الشبكات تستخدم عشرات الالوان من بنات المدارس والموظفات والفنانات والمتزوجات الخادعات عن طريق التليفون [١] .

---

(١) النساء الخاطئات : دي موتيرلان / ١٩٥ .

(١) المصدر السابق / ٢٠٦ .

الارقام تتحدث :

ومهما تكن الاسباب التي ادت الى ظهور البغاء في المجتمع ، ومهما كانت أثار البغاء على الحياة العائلية وعلى نفسية المرأة وعلى الاخلاق ..... فقد توسع البغاء بصورة فظيعة في العالم واستفحل أمره .

(ففي امريكافحسب في سنة ١٩٦١ فقط سقطت ٤٠٠ر٠٠٠ بنت في احضان البغاء وكان نتاج ذلك ٤٠٠ر٠٠٠ طفل لقيط .

وفي المانيا وقعت ٣٧٥ر٠٠٠ بنت في شبكات تجارة الرقيق الابيض .

وفي فرنسا ٣٩٠ر٠٠٠ بنتا .

وفي انجلترا ٢١٥ر٠٠٠ فتاة) [١] .

(وفي روما توجد خمسمأة بيت للبغاء تعرض فيها آلاف النساء ، من البغيات الفاضلات ، كما يقول سارتر ، انفسهن على الرجال . وعندما اعتبر البرلمان الايطالي البغاء عملا محرما قانونا هددت النساء الفاضلات الحكومة الايطالية بالهجوم على روما مالم تعترف الحكومة بهن) [٢] .

(وفي انجلترا تكون فتاة واحدة حبلى من كل ستة بنات

---

(١) مجلة الاطلاعات الاسبوعية .

(٢) تهران مصدر عدد ٧٦١ .

يعقد عليهن للزواج) [٤] .

(وفي اميركا تولد في سنة ١٩٦٣ : ٣٤٢ الف طفل غير شرعي نتيجة لشيوع البغاء) .

(وبلغ من شيوع الفحشاء في فرنسا قبل الحرب العالمية الاولى ، ان النساء اللواتي كن يحترفن البغاء كن يبلغن نصف مليون حسب تقرير بيولر) [٥] .

(ودلت الاحصاءات في فرنسا ان اللاتي يتعاطين حرفة البغاء بتصريح من الحكومة ٤٠ ٪ غير بالغات الرشد وان في المواليد اكثر من الربع من الزنا ، وانه يقتل في كل عام نحو ١٥٠٫٠٠٠ نفس حين الوضع او اثناء الحمل) [٦] .

ودلت احصائية حديثة على :

(ان مليون جنينا أسقط في الولايات المتحدة الامريكية طيلة عام واحد كان ٦٥ ٪ منها لنساء ساقطات و ٤٥ ٪ منها لبنات غير متزوجات) [٧] .

وكتبت جريدة (كيهان) :

(ان طفلا واحدا من كل عشرين طفل يولد في انجلترا عن طريق العلاقات غير المشروعة) .

---

(٤) نشريات مكتبة المسجد الاعظم / ٨ .

(٥) الحجاب للمودودي .

(٦) حقوق المرأة وشؤونها / ١٠٠ .

(٧) سفيد وسياه عدد / ٩٧٠ .

(وفي امريكا حسب تقرير الدكتور جرج لاونشتين كان عدد الاطفال الذين ولد وعن طريق البغاء ٢٠٠٫٠٠٠ في سنة واحدة فحسب) [٨] .

(وفي باريس يولد ٤١٤٥ طفلا عن طريق العلاقات الجنسية غير المشروعة من بين ٤٣٥١٥ طفلا) .

(وفي سويسرا يولد ١٧٠٠٠ طفلا عن طريق العلاقات غير المشروعة مع العلم ان نفوس سويسرا لاتتجاوز سبعة ملايين [٩] .

هل أنا رجعية ؟

ولكي يلمس القارىء خطورة موقف الانسان المعاصر من مسألة الجنس والبغاء ، وسعة انتشار هذه الظاهرة المرضية في الاوساط الغربية نعرض على القارىء الخبر التالي عن مجلة (آخر ساعة) المصرية :

نشرت مجلة آخر ساعة عدد : ١٦٠٦ مقالا عن بعض الصحف الالمانية بعنوان مشكلة احدى بنات المانيا الغربية . وقد نشرت صورة البنت التي عرضت مشكلتها على الصحيفة وعلى عينيها شريط أسود مقرونة بصورة فوتوغرافية للرسالة التي بعثت بها الى المجلة .

وكتبت مجلة آخر ساعة تحت الصورة :

(هكذا نشرت جريدة « بيلد » المشكلة وفيها صورة الفتاة وعلى عينيها شريط أسود كما ننشر نحن هنا صور المنحرفات .... واللصوص .

---

(٨) كيهان ٢٤ ـ ٢ ـ ٤٠ .

(٩) جريدة الاطلاعات ١٠ ـ ١٠ ـ ٣٩ .

واليك نص المقال :

(مشكلة احدى بنات المانيا الغربية : انها عذراء .

الصحافة تقول لها : لاتخجلي !

المانيا الغربية مشغولة هذه الايام بالحديث عن المشكلة الخطيرة التي نشرتها صحيفة (بيلد زايتونج) التي تصدر في برلين الغربية .

والمشكلة الخطيرة لاعلاقة لها بالاوضاع الاقتصادية او القضايا السياسية الكثيرة التي تحيط بالمانيا الغربية .. .. ولكنها عبارة من مشكلة احدى بنات برلين الكثيرة التي تحيط بالمانيا .... كتبتها في خطاب وارسلتها الى الجريدة وهي تتساءل هل أنا رجعية ؟

وسبب هذا التساؤل .... انها بلغت السابعة عشرة وما زالت عذراء . ولعل ما نشرته الصحيفة يعطينا صورة صادقة عن المشكلة الخطيرة التي تتحدث عنها المانيا الغربية . واليك نص الرسالة :

.... كثيرا ما خرجت مع شبان مختلفين ، ولكن لم أقبل قط ان تتصل علاقاتي مع اي منهم الى درجة القضاء على عذريتي ،وشيئا فشيئا بدأ اصدقاءي ينفرون مني ، ويبتعدون عني ويتهمونني بأني رجعية ، او بأني شاذة أ واخيرا فوجئت

بصديقاتي يتركنني أيضا .

واصبحت الآن وحيدة ... لا أجد فتى او حتى فتاة واحدة تشاركني حياتي نظيفة ، وبالرغم من اتهام الجميع لي باني رجعية ، فأنا لا اعتبر نفسي كذلك وتمضي (مارتينا)، وهـذا اسم الفتاة في عرض مشكلتها قائلة ان اهتماماتي لاتختلف عن اهتمامات بقية الفتيات ، فأنا اعشق موسيقى الجاز والقراءة والسيارة الجميلة .... ولكنني اختلف عن الفتيات في أنهن يعشقن السيارات الجميلة وأصحابها ..... وأنا اعشق هذهالسيارات ولكنني لااسلم نفسي لمنيقودها.

سيدي منذ عام ونصف وأنا ابحث عن صديق فقط فلا أجد او فتاة مثلي ، اعني عذراء ، فلا اجد ... والـكل ينفر مني .

سيدي انني اذا ارسل لك مشكلتي ارجو الا تنظر اليها نظرة استخفاف وسخرية .

وفي النهاية كتبت المحررة تعليقة على الرسالة قائـلة ان الجريدة اذ تنشر هذا الخطاب الذي وصلها من تلك الفتاة انما تنشره لانها تعتقد انها مشكلة ... ومشكلة خطيرة تهم الآباء ان يشرحوا لفتياتهم الحقائق ويخلصوهم من الاخطار الشاذة والعقد النفسية ، وعلى الشباب ان ينظروا الى امثال هذه الفتاة نظرة واعية والا ينفروا منهن ، وان يحاولوا ادماجهن في الحياة الاجتماعية .

اما بالنسبة للفتيات اللواتي يعانين مثل هـذا الموقف فعليهن الا يخجلن من بقائهن عذارى ، والزمن ومزيد من الاختلاط كفيل بحل مشكلتهن .

هذه هي المشكلة الاخلاقية التي تشغل المانيا الغربية ، وهذه هي الحضارة والتقدم والمدنية عندهم [١] .

خطورة الموقف :

لست ادري ما اذا كان في ارقام الضحايا من النساء والفتيات والاطفال الصغار اللقطاء ما يكفي لان يشعر الانسان المعاصر بخطورة الموقف ، وهو في نشوة هذه الحياة الجديدة التي وفرتها له حضارة القرن العشرين ، وبالخطر القريب الذي يحل بهذه الحضارة مالم يتداركه من قبل ؟ ؟ !

ان خطورة موقف الانسان المعاصر من هذه المشكلة لاتقل عن خطورة حرب عالمية ثالثة وانشاء القواعد العسكرية وتفجير الطاقة النووية في ساحات الحروب .

وويل للأنسان من غدٍ قريب لولم يسرع لتلافي الموقف وتدارك المشكلة قبل ان تستعصي على العلاج وتنهار الحياة العائلية .

وماذا ترى يكون مصير هذه الملايين من اللقطاء وقد جفتهم الامومة وتلقتهم دور الحضانة بعيدا عن عطف الامومة ومشاعر الابوة وجو البيت الهادىء ... حين تندفق الى الشارع لتتحمل مسؤوليات الحياة ؟

---

(١) مجلة آخر ساعة عدد ١٥٦٠٦ .

وماذا ترى يكون مصير هذا الانسان عندما يمج الحياة العائلية وتمجه الحياة العائلية الى ارصفة الشوارع ودور البغاء في حياة مشردة خاوية ؟ ؟

ويقول الطب :

ودعنا عن ذلك كله ، ولنسمع الى ما يقرره الطب • ان البغاء ••• كما يشهد الطب ، يؤدي الى انتشار امراض كثيرة بين الرجال والنساء كالتهاب الاعضاء التناسلية والقروح العضوية والسفلس •

ولا تتوقف خطورة الاصابة بهذه الامراض على الجيل الحاضر فحسب وانما تنحدر الى الاجيال اللاحقة يقول (لاون بيزار) بعد اختبارات طويلة له في هذا المضمار •

« ان ثلث النساء اللواتي يمارسن العلاقات الجنسية بطرق سرية مستترة مصابات بمرض السفلس الفتاك والثلث الآخر عرضة لالتقاط المرض • ولا نذيع سرا اذا قلنا ان أنتشار المرض عند الرجال يأتي عن طريق المرأة • اما انتشاره عند النساء فهو يأتي عن طريق الرجل المصابين ، بواسطة العدوى وعن طريق المرأة ذاتها • اي ان نوع العمل المحرم واختلاف الرجال على المرأة الواحدة يؤديان الى ولادة المرض عندها دون ان تنتقل اليها العدوى من أحد • وذلك ان تفاعل بعض الجراثيم يؤدي حتما الى بعث الداء العسير الدواء •

وقد توصلت الى هذه الحقيقة بعد الاختبارات التي قمت بها بدقة مع زملائي الاخصائيين • اذ أننا طلبنا من دوائر

الاخلاق ان تعرض علينا كل امرأة جديدة • عثر عليها في حالة من الشك فبعد ان تجمع لدينا ٣٠٠ امرأة وجدنا ان (١٠٠) منهن مصابات بداء السفلس اصابات متصلةمزمنة و (١٠٠) منهن فقدن المناعة الصحية الكافية وابتدأت اعراض المرض الاولى تبدو واضحة لديهن اما المأة الباقية فيستفاد من فحوصات الدم لديهن ان بذور الجراثيم اخذت تتسرب الى عروقهن) •

نصيحة من بغية :

وكم أحب ان تسمح لي فتياتنا الفاضلات ان أقدم لهن نصيحة على لسان بغية من هاتيك البائسات اللاتي وقعن ضحية لتجارة الرقيق الابيض ، وحرمن مدى الحياة من الحياة العائلية المطمئنة التي تتوفر للمرأة في جو البيت • فلنسمع الى (•••••) لتقول :

(ان المجتمع يقدم لنا كأسا مذهبة تخدعنا فنقترب لنشرب منها ، فاذا في داخلها علقم مميت •

انا اعلم ان المجتمع وضع على جبيني علامة الذل ، وأنا اعلم انني احمل هوية انسان مزورة ، وانا اعلم ان للدراهم التي اقبضها طعما يحمل عليّ القرف •• ولـكني لست المسؤولية الوحيدة) •

وتقول أخرى :

(والآن وقد اصبحت ساقطة ، كم احب ان أقول كلمة الى جميع الفتيات من جنسي . ان الطبيعة خلقت المرأة لتكون عفيفة ولكي تبحث عن شخص تحبه بكل كيانها ، وتخلص له الى آخر حدود الاخلاص فلا تسمح بأن يدنس فكرها او جسدها شخص آخر ، لان المرأة المدنسة هي ذبابة زرقاء تعيش على هامش الحياة . ان فردوس المرأة هو في حبها الشريف . فهي اذا فقدت هذا الحب تكون قد فقدت الفردوس .

ان فردوسنا هو ضميرنا فاذا خسرناه نكون قد خسرنا كل شيء ، حتى سعادة اللذة التي يبحث عنها الانسان ، لان اللذة لايمكن ان تكون مقترنة بالنذالة والذل ، والمرأة الخادعة في اعماق قلبها ذليلة .

هذه الكلمات هي الشيء الوحيد الذي استطيع ان أقدمه لبنات جنسي الشريفات . وانا اعلم انهن لايقبلن ان اسمي نفسي اختهن ، وهن يتعجبن ان يصدر مثل هذا القول عن لسان افعى ساقطة ولكن ما صلتي في الموضوع ؟؟ اني اعاهدهن بأن الاقوال صادرة عن نقطة النور التي ما زالت تعيش في انقاض حياتي في ركام الخطيئة الراسخة في جسدي ، وفي عالم الظلمة التي يتكدس في قلبي » (١) .

---

(١) نساء خاطئات : دي مونتيران : ١١٠ / ١١١ .

صور عن حضارة الاختلاط

التحلل والابتذال في سلوك الشباب

والاطار الحضاري الجديد ، نتيجة لشيوع مظاهر الاختلاط ، يثير دوافع الحيوان في نفوس اليافعين بشدة وبعنف ، وينقح في نفوسهم روحا من الشيطان ، ويهز فيها كل وتر من اوتار الجنس . وهذه خاصة بارزة في الحضارة الحديثة التي صنعها الانسان المعاصر ... بعيدا عن منهج الله في الحياة .

وانطلق الانسان في هذا الاطار الحضاري المختلط ، وراء شهواته ورغباته الحيوانية ... يتحدى حدود الاخلاق ، ويبتذل القيم الانسانية ، ويستهين بكل القيم الاخلاقية .

وتبدل الشباب غير الشباب .... حيوان يجري على رجلين ، ويندفع وراء الاشى كما يندفع الحيوان ، وتبدلت القيم غير القيم ، وسخر الانسان من الاخلاق ومن القيم ، ومن « الفضائل » ، ومن كل شيء يحد من حريته ، ويمسكه عن الانطلاق المسعور الذي يطبع سلوكه .

وحاول الشباب في فورة من هذه الحمى ، حمى الجاهلية الحديثة ، وفي ثورة من هذا الصرع .. ان يصنعوا من جديد قيما جديدة وحدودا جديدة للاخلاق ، تتسع لكل هذه الفوضى الاخلاقية والسلوك اللانساني ... ولا تضيق بشيء ، وان يحققوا ذواتهم من جديد ... بعد ان نبذوا كل شيء

---

* اقتبست مجلة رسالة الاسلام جزءا من هذا الحديث لبعض اعدادها السابقة قبل ان يدخل الكتاب المطبعة .

من الحدود والقيم والتعاريف التي توارثها من سلفه .

ولماذا يربط الشاب نفسه باطار اخلاقي وحضاري لايعيشه ؟

ولماذا يقيد نفسه بمفاهيم بالية لاتعترف بها حضارته .

وذا كان آباؤه يجدون بعض الحرج في الخروج على هـذه المفاهيم والحدود ، وتحدي القيم الاخلاقية التي تعارفوا عليها ... فلايجد هو شيئا من الحرج في تحدي هذه القيم والحدود التي صنعت وصيغت على غير علم منه ، ولحضارات اخرى غير حضارته . وقد أوتي هو بفضل حضارته هذه من تفتح الذهنية ما يتسع لكل ذلك واكثر من ذلك وما يسمح له ان يثور على كل قمة وكل حد انساني معقول .

ودور الشباب ، بطبيعته ، قمة النضج الجنسي في حياة الانسان ففي نفس كل شاب ثورة جنسية متأججة ، واستجابة اعمى لدوافع الحيوان ، وانجراف مع الهوى ، وميل قوي الى الجنس الآخر ... يحرف الشاب عن حدود الاعتدال والاستقامة ، ويدفعه في لجج الفوضى الاخلاقية ، ويصهره في بوتقة الحيوان ، ويصرفه عن التفكير في قضايا الفكر والحياة لتكوين مستقبل حياته .

والشيء الذي يمكن ان يحفظ الشباب عن الانهيار والابتذال في هذا الدور من حياته ، ويمسكه عن السقوط ... هو أطار المحافظة والاخلاق ... والاعتراف بالقيم الانسانية التي تحدها رسالات السماء على وجه الارض .

ففي ضمن هذا الاطار يستطيع الشاب ، فقط ، ان يمسك نفسه عن الانهيار والسقوط ويتماسك عن التحلل ، ويحتفظ بميوله ورغباته على خط الفطرة السوي .

اما البيئة المتفسخة ، التي تكثر فيها وسائل الاثارة الجنسية ... .

ففي النقطة المقابلة من البيئة المحافظة .... تثير في نفوس الشباب دفع الجنس بقوة ، وتدفعهم الى ابتذال القيم وتحدي الحدود ، مهما كان نوعها .

ويستجيب الشاب لهذه النوازع والمؤثرات اللاانسانية في نفسه ، وفي المحيط استجابة اعمى ، وينجرف مع التيار ، دون ان يشعر انه صنع شيئا يستحق اللوم ، ودون ان يستطيع ان يرجع او يمسك نفسه من الانجراف .

وانصهر الشباب في البيئة الجديدة التي صنعها الانسان بوحي من الشيطان ، بعيدا عن توجيهات السماء .... ووجد نفسه ، بمرور الزمن ، وبتوارد المؤثرات الواعية واللاواعية على نفسه ... مشدودا بهذا الاطار الحضاري المتميع ، وهذا اللون من السلوك البليد .

وشعر الشاب انه أخذ يذوب ، ويتفكك ، ويفقد توازنه النفسي واصالته الذهنية ... يطبعه طابع من الميوعة والتحلل ، ويشيع في نفسه لون من الوان الهوس الحادا الذي يشبه الصرع والجنون .

.... ولكن ... كان ذلك بعد فوات الأمر ... .

فقد كانت الموجه اقوى منه ... ولم يملك لهذه الموجة العاتية من الفساد والدفع الحيواني الملح ألا ان يستسلم لها ، وينساق معها ، مكرها او راغبا .

وعبثا حاول علماء التربية ان ينبهوا الشباب الى خطورة الطريق الذي يسلكونه . فقد كان بأمكانهم انقاذ الشباب قبل أن يتغلغل الشيطان في نفوسهم ويرين على قلوبهم وافكارهم ... اما وقد استحوذ عليهم الشيطان [1] ، وجرى في عروقهم مجرى الدم [2] ... فلا يكاد يتيسر لهم أعادة الشباب الى

(١) مضمون آية كريمة .

(٢) مضمون حديث شريف .

حظيرة الانسانية والى احضان الرسالات من جديد .

وشيء واحد فقط يمكن ... وهو اعادة بناء البيئة والمحيط بشكل سليم وبصورة نظيفة ... لايثير كوامن الحيوان في النفس بمستوى حيوان، ولا ينكرها في الوقت نفسه .

* * *

وليست خسارة الشيء الجديد بالشيء الذي يتهاون فيه ولا يحسب له حساب .... فالشباب طاقة الدفع في المجتمع ، ووقود الحركة والعمل ، وطلائع التفكير والبناء والثورة ، وحجر الاساس في اي عمل انساني .وطبيعة هذا الدور الرسالي والطليعي في حياة الشباب يتطلب منهم مزيدا من القوة والتماسك والشجاعة والصلابة والاتزان .

وليس أضر على الشباب في هذا الدور ، من حياتهم ، من ميوعة الشخصية والابتذال ، التي تفقد الشباب مؤهلات العمل والتفكير ، وتدفعهم الى حياة هامشية يملؤه صخب الغناء والموسيقى .. وعربدة السكاري .. والصفير .. والتصفيق الابله .. الذي يكشف عن فراغ فكري هائل في نفوس الشباب.

ففي هذه الحالة تنعدم القيم الاجتماعية في حياة الشباب ، وينعدم الجد والتماسك والاستقامة في السلوك .... وتنقلب حياة الشباب الى فراغات هائلة ، وارتباك وحيرة ، لانهاية له .. وثورة نفسية محمومة ، وتدافع مجنون على المتاع الجنسي وعلى الوان التسلية المخدرة ..من غناء ، وموسيقى ورقص ، وملاحقة الفتيات ... وأخيرا .... الانتحار .

وينقلب اليافعون ــ وهم طلائع البناء والثورة ــ الى قطيع من الحيوان .. يضطرب ويتقلب على هامش الحياة بحركات ساخرة بلهاء ، كما تضطرب

الريشة على سطح البحر ... يساق الى هنا وهناك ، ويندفع في هذا الاتجاه وذاك ، بعنف وبقسوة ، وبصورة جماهيرية حاشدة ، لأسباب تافهة وسخيفة بالغة التفاهة والسخف .

وكما يشيع « الكوليرا » و « الانفلونزا » بسرعة ... تنتشر هذه الظاهرة المرضية ـ ظاهرة التحلل والميوعة ـ بين جماهير الشباب وتكتسحهم في ساعة ، وتفقدهم كل أثر للوعي والتفكير والجد في الحياة .

* * *

ويلتجيء الشباب الى هذا اللون من السلوك الشاذ والحياة المميعة ... لينسوا في نشوة هذه الساعات ، ذواتهم ومشاكلهم ، وليهربوا من واقع الحياة الى اجواء حالمة مثيرة ، تبعث الخدر في النفوس ، وتشيع لذة بلهاء في النفس ... تشبه اجواء « الف ليلة وليلة » .

وشبابنا ينسون ان مهمتهم الرسالية في هذا الدور هي العمل على تحقيق ذواتهم على ضوء الرسالة ، ومواجهة المشاكل وجها لوجه ، لمعالجتها والتمكن منها ... وليس الفرار والهروب والالتجاء الى حفلات الرقص والموسيقى . وتناسي الحياة والذات .

* * *

ولو قدر لباحث اجتماعي ، او لعالم من علماء التربية ، ان يدرس ، عن كثب ، فوضى الاخلاق ، ودفع الجنس المسعور ، ونضوب القيم البشرية لدى الشباب ... حينما يجتمعون في حفلة ساهرة من هذه الحفلات التي يؤمها الشباب ، في كل مكان ... وحين يأخذ الموسيقار بالعزف ، .. فيمغطس الجو ، وتسحرهم الغناء ، وتأخذهم نشوة السكر والخدر ... وتثير في

نفوسهم « الروك اندرول » كوامن الحيوان ... وتترنح الاعطاف بخفة ومن غير وعي ، وتضطرب الاجساد ، ويتخبط الشباب بشرود وبله ، كما يتخبط المصروع . . . ويملأ الصياح الجو ... والتصفيق الحاد ، والصفير ، والسخرية ، والاعجاب ، يصم الآذان ... كما يفعل قطيع من الحيوان ، حين يضطرب بعضهم في بعض ، وحين يغيب عنهم الراعي ويخلون الى نفوسهم .

.... لو قدر لباحث من علماء التربية والاجتماع ان يدرس هذا الموقف النفسي من سلوك الشباب عن كثب ، ويقيس ، بما لديه من مقاييس ، ارتفاع درجة الانفعال الجنسي ، وغليان الغريزة ، ولهب الجنس في نفوس الشباب ... لاستطاع ان يقدر بوضوح الخطر الكبير الذي سوف يستقبل الجيل الجديد في مستقبل قريب ، لولم يتوفر المسؤولون سريعا على دراسة المسألة بعناية ، ومكافحتها ، والبحث عن علاج سريع لها ، وتوفير حصانات تربوية وقانونية لها .

ولولا ما نلمسه نحن هنا ، في الشرق ، من حقائق وارقام عن الاختلاط والابتذال ، وما نقرأه من احصائيات ودراسات عن حياة الشباب هناك في الغرب . . . لكنا نقدر ذلك ضربا من ضروب الخيال . ولونا من الوان الشعر .

نماذج عن سلوك اليافعين

ولكي نقرب من هذا الواقع ، ونلمس ابعاده من قريب ، ولا نمعن في الخيال كما يحب البعض ان يقول .... ارغب ان يتابعني القاريء في استعراض ملامح من هذا الابتذال والميوعة ، والفراغ الفكري الذي يعاني منه الشباب في الوقت الحاضر :

مصروعي « الروك اندرول » :

نشرت مجلة « اطلاعات الشباب » صورة لآلاف من الشباب في شكل قطيع مضطرب من الحيوان . وكتبت تحت الصورة :

« ليست هذه الصورة صورة عن حوادث « كنغو » ولا عن قبائل « بالوبا » ... وانما هي صورة عن بعض ندوات باريس .. عروسة العالم او عاصمة الحضارة البشرية في القرن العشرين .

« خمسة آلاف من الشباب ، من الفتيان والفتيات ، أثارتهم

رقصة « الروك اندرول » الى حـد الجنون ، فاندفعوا مصروعين ، متخبطين ، مجانين ، محمومين .. الى الشوارع ... يحطمون كل ما يصادفهم من المعارض والمحلات . ومع ان البوليس تدخل في الامر ، الا ان هذا الجمهور المصروع غلبهم على امرهم ... وفي الصورة تجدون نفرا من البوليس في قلب هذا الشد المجنون من الشباب ، لاهم لهم الا انقاذ انفسهم من براثن هذا الجمهور المتوحش من الشباب » (١).

عصابات الجيل المتمرد

نشرت مجلة « اطلاعات الشباب » حديثا تحت عنوان « رئيس عصابة الشباب المتمرد في انجلترا » قال فيه :

« آكربيلك » معبود الشباب المتمرد في انجلترا . . . يشبه تماما « جرو صنج » ... الا ان لحنه الخاص في الغناء والموسيقى يقع بردا ورحمة على قلوب الشباب المتمرد وابناء الشوارع في انجلترا . ومما يذكر ان تذاكر برامجه الغنائية تباع قبل وقت طويل من الابتداء به .

« ويحتف به شباب « البيت نيك » (الجيل المتمرد)

(١) مجلة « اطلاعات حوانان » الايرانية : العدد ١٢٥ .

بشكل غريب . ورأيت احد هؤلاء الشباب في انجلترا وعلى رأسه قبعة حصيرية مخروطية ، وعلى عينيه نظارة سوداء قاتمة .... يقول في بعض حفلات « آكربيلك » : نحن جميعا نحتج على مظاهر الحياة الحديثة ، وسوف ننسف مظاهر الحياة الحاضرة كما تنسف القنبلة المدن .

« ولا بأس ان يعلم القارىء ان مستمعي « بيلك » يجب ان يفترشوا الارض حال الاستماع . اما الشباب من عصابة « البيت نيك » فلهم مطلق الحرية في مثل هذه الندوات التي يحضرها رئيسهم ... يستلقون على الارض ، فتيات وفتيان ... ويحتضن بعضهم بعضا .

« واذا اخذ « بيلك » في الغناء .. وجدتهم يترنحون ويصخبون بالغناء من غير نظام ، كما يصنع السكارى من ضجيج وصخب .

« والموسيقى التي يتعاطونها تمتاز بالاثارة الحادة والتهييج العنيف . يقول « بيلك » :

« الموسيقى .. هي وحدها التي تمسكنا على وجه الارض ... نحن نجمع الشباب المتمرد بالموسيقى وحده ، ونهز مشاعرهم ، ونزيد في التفسخ الخلقي والانهيار والابتذال .

« وهناك الكثير من الفتيات من يعشقن وجه « بيلك » الترميم ، ويغازلنه من بعيد وقريب » [1] .

---

(١) المصدر السابق : العدد ١٠٢ .

مظاهر الجنون في حياة الشباب

نشرت مجلة « سپيد وسياه » صورة لفتاة جميلة ، تقبض بيديها على حفنة من الحشيش ، تطبعها بقبلاتها الحارة ، وتذرف عليها دموع الشوق ٠

وقد كتبت المجلة تحت هذه الصورة :

« هـــذه الصورة دليل غير قابل للمناقشة على جنون الشباب في حضارة القرن العشرين ٠٠٠ لم تفقد هذه البنت عزيزا ٠٠٠ لقد مر أحد «الخنافس الاربعة» ، وهو «رينكو» على هذه الحفنة من الحشيش ٠ فأجتثتها برفق ، وقربتها من فمها لتقبلها بحرارة ، وتذرف عليها دموع الشوق ٠٠ وهي تقول بصوت تطعه البكاء : آه ! لقد مر عليك رينكو ! ٠٠ رينكو الجميل ! لقد داسك رينكو بقدميه ! ! » ٠

مهزلة القرن العشرين

وعلى ذكر الخنافس ، ارغب ان يحاربني القاريء في استعراض وجوه هذه المهزلة الحضارية الجديدة ، او المأساة الانسانية ، ليلمس بنفسه ابعاد هذه الظاهرة المرضية الخطيرة في حياة الشباب ... وماعشت اراك الدهر عجبا .

كنا نحتمل ان يحصل في القرن العشرين كل شيء ، الا ان تحتل فرقة راقصة ، مكونه من اربعة شباب ، قمة الشهرة ، وان يهمين على قلوب مئات من الفتيان والفتيات في أوروبا واميركا ، وان تثيرهم الى حدود الجنون .

وما يقال عن أقبال الشباب على هذه الفرقة يشبه الخيال ويقرب من الشعر ، لولا ان الصحف تمدنا كل يوم بأرقام جديدة ومهازل اخرى عن حضارة « الاختلاط » .

* * *

نشرت مجلة « اطلاعات » شرحا عن « الخنافس الاربعة » بمناسبة قرب قدومهم الى « موبيخ » . وفي الصفحة نشرت صورة لفتاة تلبس موديلا جديدا من الفساتين عليها صورة الخنافس الاربعة . وبالصفحة المقابلة صورة فتيات من انصار الخنافس الاربعة يأكلن قطعا من الحلوى بشكل رؤوس الخنافس !

وفيما يلي نترجم نص المقال :

« الخنافس الاربعة .. هؤلاء الشياطين الاربعة . . سيقدمون قريبا الى مونيخ . وقد شوش هذا النبأ جهاز البوليس في مونيخ . فالبوليس يعرف ان حلول الخنافس الاربعة في مونيخ يعني حلول البلاء والطوفان والصاعقة ، ويعني اضطراب النظام والفوضى ..ويعني شيئا أعظم من ذلك كلـه .

« ويتأهب البوليس من الآن للمحافظـة على النظام في الشوارع والممرات العامة التي ستخترقها الخنافس الاربعة .. فلابد ان يؤدي ذلك الى ان يختنق في زحمة « المعجبين» عدد كبير من الفتيان والفتيات .

« والبوليس يعلم ان كثيرا من الفتيات سوف يشهقن ويغشى عليهن وسط الزحام ، ويعلم ان هؤلاء الفتيان لو قدر لهم ان يقتربوا من الخنافس الاربعة ، لمزقوا عليهم ثيابهم .

« هؤلاء الشباب لايزالون يعيشون قمـة من مجدهم الكاذب ، ولم تخف بعد الضجة التي تثار حولهم اينمـا يحلون » (١)

---

(١) مجلة « اطلاعات الاسبوعية » : العدد ١١٩٤ .

وفي الوقت الحاضر ، توجد في اوربا واميركا جمعيات خاصة لمقاومة الخنافس الاربعة من قبل الآباء والامهات .

لقد جنن هؤلاء الشياطين الاربعة عددا كبيرا من الفتيان والفتيات في القارتين ، وسلبوهم العقل والاتزان .

ويتلقى الخنافس الاربعة في كل اسبوع آلافا من الرسائل . يقول بعض الصحفيين : ان ما يتلقاه الخنافس الاربعة من الرسائل في كل اسبوع لايقبل العد . وقد يتلقى كل واحد منهم أسبوعيا عشرة آلاف رسالة ، مشحونة بالاثارة الجنسية الحادة ، والرغبة المسعورة .

* * *

وجاء فى جريدة « الجمهورية » :

« الخنافس في امريكا لهم حرس خاص يؤدي اليمين ..

ان فتيات الولايات المتحدة الامريكية في كل مكان مشوقات للغاية في الوقت الحاضر للاطلاع على أخبار الزيارة الثانية التي تقوم بها فرقة الخنافس البريطانية لامريكا . وكانت هذه الزيارة قد بدأت في الثالث عشر من آب الحالي . وفي مدنية « بالتيمور » الامريكية ، حيث توجد مقرات حرس الخنافس ، كانت الاستعدادات قد قامت على قدم وساق منذ وصول اخبار هذه الزيارة ، وذلك لحماية الفرقة مما قد تتعرض له من تصرفات المعجبين .

« وحرس الخنافس الامريكية هم زمرة من اعضاء نا من

قبيل نوادي التسلية ، كانت قد نذرت نفسها لحب الخنافس وتكريمهم . ويترأس « نادي الخنافس » في الوقت الحاضر فتاة امريكية في السابعة عشر من عمرها ، وهي مراهقة . وكانت هذه الفتاة قد اسست النادي المذكور في شهر آب من العام الماضي فيه عدد غير قليل من الاعضاء ، غير ان هذا العدد قد ارتفع بصورة هائلة خلال سنة واحدة من تأسيسه ، بحيث اصبح منظمة واسعة لها مالا يقل عن عشرة آلاف عضو في كل ولاية من الولايات المتحدة الامريكية .

« وحرس الخنافس منتظمون بشكل مشابه للتنظيمات البوليسية . فهناك أفراد عاديون ، كما ان هناك ضباطا يخضع لهم أفراد الحرس . وكان ضباط حرس الخنافس الكبار بقيادة « جوكانداليس » قد اصدروا تعليماتهم واوامرهم الى فروع المنظمة في الولايات المتحدة كلها على ان يكونوا على اهبة الاستعداد ، وان يجندوا كل طاقاتهم وقابلياتهم لحماية فرقة الخنافس الانكليزية .

« الظريف في موضوع حرس الخنافس انه جميعه من الفتيات المراهقات ، وان من شروط التطوع في صفوف هذا الحرس الفريد النوع ان لايقل عمر الفتاة التي تنتمي اليه عن ١٣ عاما ولا يزيد على ٢٥ سنة ، وان على المراهقة طالبة الانتماء ان تقدم تعهدا خطيا ، وان تؤدي قسما ، مخلصة كل الاخلاص للخنافس .

« ومن النماذج التي قدمتها المراهقات ، هو ما تعهدت به احدى فتيات منظمة فلوريدا : ابذل روحي ، رخيصة في سبيل انقاذ حياة الخنافس جميعا » (١) .

* * *

« وكان وارد « الخنافس » في شهر واحد في اميركا يتلغ ٣٠٠،٠٠٠ دينار .

« وحين قدوم الخنافس الى أميركا ، اتخذ البوليس خطوات احتياطية كثيرة لمنع وقوع أي فوضى في البلاد .

« ولما كان البوليس غير واثق بأمكان المحافظة على النظام حينما نزل طائرة الخنافس على جماهير المستقبلين من الفتيان والفتيات ، نزلت طائرة الخنافس في محل يبعد عن مطار نيويورك بثلاث كيلومترات ، ومن هناك اخذتهم طائرة من نوع « هيلوكبتر » الى المطار ، كما كان دخولهم الى صالة « پا راموت » من البـاب الخفي لكثرة الازدحام على الابواب العامة .

« وحينما قدم الخنافس الى « سانفرانسيسكو» استقبلهم ٢٨٠٠٠٠ شاب وهم يصرخون ويصيحون بملىء أفواههم . وبلغ الازدحام حدا قطع العبور اربع ساعات متواليات . وقد دلت احصائيات البوليس ان (٢٦٤٠) شخصا اصيبوا بجراحات خطيرة وخفيفة في هذا الازدحام . وقد تقاضى

(١) جريدة « الجمهورية » البغدادية : العدد ٥٨٦ .

الخنافس بتواضع ، لمدة يومين ، لقاء عمليات الرقص والغناء الخنفسائية مبلغا يسيرا جدا : ١٣٠٠٠٠ دينار » ! (٢) .

* * *

واذاع أخيرا راديو لندن ان الملكة اليزابت منحت افراد هذه الفرقة لقب (اللورد) اعجابا بهم ! ! .

وبعد اذاعة هذا النبأ احتج كثير من اشراف بريطانيا ممن يحملون هذا اللقب وتنازلوا عن القابهم احتجاجا على ذلك .

* * *

وفي غالب الظن ، ان اسلافنا لو عادوا الى الدنيا ، دنيا الخنافس في القرن العشرين ... وقطعوا المدى الطويل الذي يفصل عصر الذرة عن العصر الحجري وحشروا انفسهم في شوارع باريس ولندن .. لفغرت أفواههم عجبا مما يرون ... .

ليس عجبا من كتلة الحديد التي تحلق في السماء وتدوي في الفضاء ، وليس عجبا من ناطحات السحاب ، وليس عجبا من السفن الفضائية التي تشق الفضاء وتتحدى الجاذبية بتمرد ، وليس عجبا من الغول الهائل ، الذي اطلقه انسان القرن العشرين عن قمقم الذرة ... ليس شيئا مما تقدم يثير عجب انسان العصر الحجري بقدر ما يثير عجبه ان يرى فرقة راقصة ، لاتحسن شيئا غير الرقص والاثارة الجنسية ، تحتل من المجتمع مكانة لايحتلها قادة هذه الحضارة وعلماؤها أنفسهم ، الذين خدموا هذه الحضارة وكونوها .

فمتى كان اقطاب المعسكر الرأسمالي والاشتراكي يتلقون كل اسبوع

(٢) جريدة « اطلاعات » العدد ١١٤٩٦ .

عشرة آلاف رسالة ، كما يتلقاها كل واحد من الخنافس الاربعة ؟ !

ومتى كان ملايين الشباب يحتشدون على طريق عالم من علماء المادة ـ ولا نقول من المؤمنين ـ كما يحتشدون على طريق الخنافس ؟ !

ومتى كان يزدحم الشباب على « فرويد » و « دارون » « ماركس » و « جان پول سارتر » و «برتراندرسل » .. الذين كونوا هذه الجاهلية ، واطلقوا غول الغريزة بشكلها البشع المدمر من قمقم النفس ، ومهدوا الطريق للخنافس وغير الخنافس .... كما يزدحم ملايين الشباب على طريق الخنافس، حين يمرون على طريق ، او حين ينزلون في مطار ؟ !

ومتى كان يتبرع عشرات الآلاف من الفتيات لحراسة اقطاب « البيت الابيض » و « الكرملين » في منظمات خاصة ، جنودا ، وضباطا وقادة ، كما تتبرع عشرات الآلاف من المراهقات لحراسة الخنافس الاربعة ، ويؤدون على ذلك الايمان المغلظة ؟ !

ومتى كانت ترد العلماء الذين صنعوا هذه الحضارة ودافعوا عنها ، والقادة الذين يديرون هذه الحضارة ... هذه الملايين التي ترد فرقة الخنافس الراقصة عن طريق الرقص والغناء ؟ !

انها ارقام هائلة وتقارير مجنة عن حضارة الانسان في القرن العشرين ... تذهل الانسان الذي لم ينسلخ بعد عن فطرته ، ولم ينصهر في بوتقة هذه الحضارة ولم يخرج عن طوره .. لو حاولنا ان ندرسها عن كثب من غير ان نذوب فيها ، ونلمس ابعادها من غير ان ننحدر معها .... عرفنا ماذا ينتظر الانسان في الغد القريب من الهلاك والدمار .

ولو خير انسان العصر الحجري ، وهو يتجول في شوارع پاريس ، ولم ينفض بعد عن نفسه غبار التاريخ .. ان يعيش هذا الجو المتميع بجميع

أبعاده وحدوده، ويتمتع بما تمده الحضارة من حياة يسيرة رخيصة، ومايسخره له العلم من بخار وكهرباء وذرة ... لفضل في غالب الظن ان يرجع عبر التاريخ الى حياته الهادئة في الارياف والصحاري والغابات ويحتفظ بكيانه الانساني من ان يذوب ، وشخصيته البشرية من ان تتحلل هذا اللون من الانصهار والتحلل الذي أصاب الانسان في القرن العشرين ... ولفضل ان يعود الى حياة الاكواخ والدواب على ان يعيش حضارة « الخنافس » و « الروك اندرول » و « البالية » .

ولا يزيد ما تقدم من نماذج من سلوك الشباب وهبوط المستوى الفكري والاخلاقي والانساني لدى اليافعين ... على ان يكون غيضا من فيض ، وطرفا من اطراف هذه المشكلة .

ولا نريد نحن ان نستعرض كلما يتصل بهذا اللون من السلوك من تقارير واحصائيات ، ولا يهمنا الحديث من ذلك في شيء ... وانما كنا نرغب ان ننفذ مع القاريء الى جذور المشكلة ، لنعالجها من الجذور ، من بداية الخط، من النظرة العابرة ، من الكلمة البريئة ، من اللقاء الساذج ... ولنجدكم كان الاسلام مصيبا في معالجة المشكلة هذه حينما عالجها من البداية ، ومنع من الاختلاط من اول وهلة ، ومن النقطة الاولى ، وحف العلاقات الاجتماعية بحصانات اخلاقية وقانونية ، تمنع من الانزلاق من الخطوة الاولى الى حضارة « الخنافس » و « الروك اندرول » .

---

(٢) مجلة « اطلاعات جوانان » الايرانية : العدد ١٢٢ .

صور عن حضارة الاختلاط

٦

طاهرة التمرد والحقد

في سلوك الشباب

وهذه ظاهرة أخرى في سلوك الشباب . فقد وجدنا فيما سبق ملامح الجنون على سلوك الشباب ... وننتقل الآن الى دراسة ظاهرة أخرى في سلوك الشباب هي ظاهرة التمرد والحقد .

والذي يدعونا ان نميز بين هاتين الظاهرتين ، ان ظاهرة الجنون والصرع في سلوك الشباب يكشف عن وجود اختلال في تكوين اليافعين وذهنياتهم ، وانعدام الهدف ، وسرعة الانفعال ازاء المؤثرات المثيرة .

أما ظاهرة التمرد والحقد ، فتكشف عن اتجاه نفسي لدى اليافعين الى التدمير والتخريب ، والتعرض للآخرين والاستهانة بالقيم ، وتخريب كل شيء ، والقضاء على الاشخاص والاشياء والقيم . ونجد مثل هذا الميل بصورة واضحة في نفوس المجرمين الذين ينشأون نشأة غير مستقيمة شاذة .

ويعود السبب في نشوء اليافعين على التمرد والحقد ـ في حدود مايتصل بمهمتنا من هذا البحث ـ الى انعدام الضوابط الاجتماعية ، وشيوع التحلل والانهيار الخلقي في المجتمع .

والضوابط الاجتماعية تكفكف دائما من دفع الغريزة في نفس الانسان او تخفف من حدتها وغلوائها .

وفي النفس ميل قوي الى الجنس ، والى التجاوز ، والتخريب ، يشبه ميل الحيوان الى الجنس والى الافتراس والتخريب .

والشيء الذي يكفكف هذا الاندفاع في تكوين الحيوان ـ غالبا ـ هو الاكتفاء الذاتي والضوابط الغريزية ، اما في نفس الانسان ، فالضوابط الاجتماعية من الخارج والعقل من داخل الذات يضبطان الغريزة الجامحة ضمن حدود وأطر خاصة معقولة .

وتتمثل الضوابط الاجتماعية في الشرائع والرسالات والنظم والاخلاق والتقاليد .

وعندما تنهار الضوابط الاجتماعية والقيم ، يفقد الانسان في دخيلة نفسه عاملا كبيرا من عوامل الضبط النفسي ، ويغلب على امره ، ويفقد توازنه ... والعقل بطبيعة الحال يستلهم قوته وسلطته على السلوك من قوة الضوابط الاجتماعية والاعتراف العام بالقيم الاخلاقية ... وعندما تنحل الضوابط الاجتماعية يفقد العقل سيطرته على شخصية صاحبه ، وتتحلل الشخصية من كل ضابط نفسي واجتماعي .

والمحافظة ، مهما يقول عنها انصار الاختلاط والتقدميون من ابنائنا هي الاطار الاجتماعي الذي يحفظ الانسان من الانزلاق الى مستوى الحيوان في السلوك .

فعندما تنعدم المحافظة في المجتمع ، ويشيع التحلل ، تضعف النوازع العقلية في نفس الانسان ، ويصبح من الصعب على الانسان ، والشباب بصورة خاصة ، ان يحافظوا على اتزانهم النفسي ، ويشيع في المجتمع لون من اللامبالاة بالقيم ، والتمرد على الحدود الاخلاقية ، وكلما هو انساني في سلوك الانسان ... وينعدم في المجتمع الاعتراف الاجتماعي بالقيم والاعراف الانسانية .

واذا تمادى المجتمع في هذا اللون من السلوك الشاذ الذي ينبعث عن الاختلاط ، اول ما ينبعث ... فسوف يؤدي ، من دون ريب ، قريبا او بعيدا ، الى انقلاب الشباب الى طاقات متمردة غير موجهة ، والى انسلاخهم من اهاب « الانسان » ... وتؤدي هذه النتيجة ، بالطبع ، الى التمرد على

أية قيمة اجتماعية ، واي حد اخلاقي ، مهما كان لونها .

وقد اصبحنا نلمس هذه المشكلة في حياتنا الاجتماعية في الشرق الاسلامي بجميع ابعادها بشكل واضح ، ونقرأ عنها ما يشبه حديث الخيال والشعر فيما يكتب عن الحياة في أميركا واوروبا في الصحف والمجلات .

واذا اضفنا الى ما تقدم من حديث : ان الشباب يعانون نتيجة لانهيار الوضع الاخلاقي في المجتمع وفوضى العلاقة الجنسية بين الفتيان والفتيات انشطارا نفسيا كبيرا ، وقلقا دائما ، ونضوبا عاطفيا .. عرفنا سر هذا الحقد الدفين الذي يبعث الشباب على التمرد ، وعلى التخريب ، وعلى الاضرار بالآخرين .

فحينما يحشر الفتى في مثل هذه البيئة ، وتحشر الفتاة نفسها في مثلها ... ويجري كل واحد منهما مع التيار من حضن الى حضن ، ومن بين ذراعي رجل الى ذراعي رجل آخر .. كما تنتقل السلعة من بائع الى آخر ، وكما ينتقل الانسان من سيارة « تاكسي » الى سيارة أخرى .... اقول حينما يحشر الفتى والفتاة نفسه في مثل هذه البيئة ، يشعر الرجل وهو يتلقى حظا من متعة الجنس ، او يطارد فتاة بريئة انه لايتجاوز ان يكون حيوانا يقضي نهمه من الجنس الآخر كيفما اتفق ، ويطارده كيفما اتيح له ، في الشارع وفي السوق ، ومن دون حدود ... وتشعر المرأة ، وهي تعرض نفسها على الرجال ، انها لاتتجاوز ان تكون سلعة يتلقفها الراغبون ، ويتبارون في شرائها .

وكلاهما يشعر ان المجتمع قد اهدر قيمته كانسان .. كل منهما يشعر ان المحيط الاجتماعي قد سلخه من اهاب الانسان ، وجعله شيئا آخر يشبه السلعة التي تعرض للبيع ، والحيوان الذي يتابع هواه ، اكثر من انسان يحاول

ان يحقق ذاته ، ويقوم بمسؤوليته في الحياة ، ويأخذ بنصيبه من اللذة والراحة والاطمئنان ... وكل منهما يشعر ان شيوع التحلل الخلقي ، والاستهتار في المجتمع ، وانعدام الضوابط الاجتماعية ، وافساح المجال للفتيان والفتيات للاختلاط ... هو السبب الاول لكل ذلك ، ولكل هذا العذاب النفسي والقلق الدائم الذي يعاني منه .

فالمجتمع هو الذي أهدر قيمته الانسانية ، وهو الذي سلخه من أهاب الانسان ، وبالتالي هو المسؤول عما انتهى اليه من شقاء وقلق وعذاب وانشطار نفسي كبير .

ويندفع الشاب مع التيار قويا عنيفا ، لايملك ان يحفظ نفسه .. . ويضطرب مع الموجة العاتية بين المواخير ، والحانات ، ودور السينما ، والكاباريهات ، والملاهي .... ويتقلب بين احضان الغواني والبغيات ...

وفي ثورة هذه الفوضى ، وفورة هذه الحمى ، ولهب الغريزة ... يحن حنينا صادقا من أعماق تكوينه النفسي الى حياة الاستقرار والسكون .. الى البيت والى الزواج .. الى عاطفة الابوة والامومة والبنوّة ... والى مايحف هذه الحياة من صفاء وعذوبة واطمئنان وهدوء .. ويشعر انه كان مغلوبا على امره حينما سيق الى هذا اللون من الحياة ، وان المجتمع دفعه في غفلة من شبابه او في حالة من حالات الطيش والنزق ، الى هذه الحياة القلقة المضطربة ، التي لايجد منفذا منها الى الحياة الآمنة المطمئنة ، التي كانت تتاح له لو انه لم ينحدر الى هذا المستوى من اول الامر .. من النظرة ، والكلمة والخاطرة (البريئة ! !) .

فيشعر شعورا قويا بالانشطار النفسي ، وبالقلق الدائم ، وبالعذاب

النفسي المرير ، وبالانهيار ... يشعر انه مظلوم ، وان المجتمع قد ظلمه حين دفعه الى هذه الهوة وانه لابدان ينتقم لنفسه من المجتمع ، ولابد ان يقضي على المجتمع .. وعلى كل شيء يلاقيه ، وحتى نفسه .. حينما يستبطن ذاته ، فيأخذه الغثيان عن نفسه ، وعن سلوكه واتجاهه في الحياة .

فيحقد على كل شيء .. على المجتمع ، وعلى اصدقائه ، وعلى نفسه ، وعلى ما يحيط به من اشياء ... فيدمر كل شيء ، ويهشم كلما يجده امامه ، بحرص وحقد ونقمة .

وتزدوج في نفسه هاتان الظاهرتان المرضيتان ، ظاهرة التمرد والاستهانة بالقيم والحدود الاخلاقية ، وظاهرة الحقد والتخريب .... فتكون نتيجة ذلك مزاجا مرضيا خطيرا ، يتمثل في روح التمرد والعصيان والحقد الذي يملأ اهاب الشباب ضد كل شيء يعترضهم في الحياة ، من شخص او شيء او قيمة اخلاقية .

ولكي يطمئن القاريء الى أني لم اذهب بعيدا مع الخيال في تشويه صورة الحضارة الحديثة ، حضارة الاختلاط والميوعه ، ولم اذهب بعيدا في تقدير خطورة المرض الذي اخذ يكتسح الشباب ، وخطورة المستقبل الذي ينتظر الانسانية في الغد القريب ... ارغب ان اطلع القاريء على نماذج من سلوك الشباب في أوربا وامريكا ، وهنا عندنا في الشرق الاسلامي .

عصابات التمرد :

يكتسح اليوم اوروبا عصابات من الشباب المتمرد والحائر .
يطلق عليه في فرنسا اسم « أصحاب الجاكتات السود » وفي

موسكو يعرفون بـ « هو ليكان » وفي استكهلم يطلق عليهم اسم « راكار » .

« وقد قامت عصابات الشباب المتمرد في انجلترا أخيرا بأعمال تخريبية كثيرة اربكت البوليس .

« وفي فرنسا لايتردد « اصحاب الجاكتات السود » من كل عمل في سبيل تنفيذ مآربهم ، حتى القتل . وقبل أيام هاجم عدد من هؤلاء الشباب فتاة في شوارع « ليون » ، وحينما اراد أخوها ان يدافع عنها هجموا عليه ، وقضوا عليه بقساوة ووحشية .

« والشباب المتمرد في « موسكو » يطلق على نفسه اسم الـ «هوليكان» والهوليكان في روسيا يكثرون من تناول الـ « ودكا » حتى يخرجو عن طورهم ولا يعرفون يمينا عن شمال .

« اما في « ورشو » ، فالشباب يزيدون على غيرهم طيشا وتمردا وتحللا ... ويتفق كثيرا ان يعرقلو سير القاطرات على السكك الحديدية ، ويسلبون الركاب أموالهم .

« وفي برلين الغربية تقل نسبة الشباب المتمرد الطائش عن غيرها من البلدان الغربية . . . ويبلغ عدد الشباب الذين يحترفون التمرد والعصيان ٥٠٠ فرد فقط . هؤلاء يلبسون جاكتات من الجلد ويتحزمون بأحزمة حمراء ، ويسوقون الدراجات البخارية بسرعة مجنونة .

« واغتصاب الفتيات وملاحقتهن تعتبر احدى هوايات هؤلاء الشباب المفضلة . ويتفق كثيرا ان كل سبعة او ثمانية منهم يجتمعون على اغتصاب فتاة ..

« والشباب « الراكار » في السويد ينفردون من ركوب الموتورسيكلات ومن الجاكتات السود .. ويفضلون ركوب السيارات ، وهذه السيارات يستولون عليها غالبا من أطراف الشوارع ، ومن زوايا الكاراجات . والشباب « الراكار » يحسن تهريب البنات واغتصابهن بمهارة فائقة » [1] .

***

وجاء فى مجلة « نيوزويك » :

« يحكم محلات نيويورك عصابات من الشباب المسلح الذين يبلغ عددهم ١٥٠ عصابة وبعض هذه العصابات تملك (٢٥٠٠) ـ (٣٠٠٠) عضوا . واسلحتهم هي البنادق والزناجير والمسدسات والاعمدة الحديدية والاحزمة الثقلية وأنواع من السكاكين . ولا تختص هذه العصابات بالفتيان فهناك كثير من الفتيات في أمثال هذه العصابات . وفي حملة قريبة من قبل احدى هذه العصابات ، اشترك سبع بنات كان منهن « گيل ريدو » بنت رئيس الناحية في حادث نهب

(١) مجلة «مكتب اسلام » العدد ٥٧ ، نقلا عن الجرائد اليومية .

وتدمير » [٢] .

« وحدثت قبل حين مصادمة مسلحة بين عصابة « عباد الافعى » وعصابة « الشباب الايطالي والايرلندي » . وكان يترأس عصابة « عبادالافعى » شاب اسباني يلبس قبعة سوداء وقميصا أسود ، له من العمر ١٧ سنة ، يسمى «اوسالوادور» الا أنه عرف صباح تلك الليلة بـ «دراكولا القرن العشرين». فقد حل فيه تلك الليلة روح « دراكولا » حيث ، نفذ خنجره في جسم ثلاثة من أفراد العصابة الاخرى ، وامتص دماءهم بعد ذلك بقساوة وصلافة ، وقد أثارت هذه العملية موجة من الغضب والنقمة في اميركا .

« والكرسي الكهربائي الآن بانتظار « دراكولا القرن العشرين » .. الا أن «سالوادور » لايهمه ذلك » [٣] .

« وفي امريكا يقوم نفر من الشباب في كل سنة على أحياء ذكرى وفاة « جيمس دين » ... هؤلاء الشباب يركبون سيارات آبائهم ... ويسيرون بسرعة جنونية ، ويسقطون سياراتهم من فوق الصخور المرتفعة في الطريق .

« في ايام وفاة « جيمس دين » يراقب البوليس سواحل البحار والانهار مراقبة شديدة ... وتأخذ الناس موجة من الرعب والخوف ، ويمتد هذا الرعب شهرا من الزمان ، ليعود

---

(٣) المصدر السابق : العدد ١٠٦ .

(٢) مجلة « اطلاعات الشباب » الايرانية : العدد ٤٢ .

في السنة التالية من جديد » [١] .

* * *

« وتعتبر قيادة السيارات من الهوايات المحببة لدى الشباب المتمرد في انجلترا . وهؤلاء يسوقون السيارات بسرعة جنونية مدهشة ، تعبر عما يخالج نفوسهم من حيرة وارتباك .

« يقول « ويلفرد » ـ احد هؤلاء الشباب ـ : اريد ان اقتل نفسي بالسرعة ، كما فعل « جيمس دين » . نحن الشباب المتمرد لا نملك شيئا غير نفوسنا ، وغير هذه الحيرة والاضطراب والحرية المطلقة التي تشيع على حياتنا .. . كل شيء هنا لا يرتبط بالواقع » [٢] .

وعن يونايتد برس :

« احدثت امس جماعات من الشباب والشابات الانجليز يزيدون على الآلاف ...ضجة كبيرة في «كلاكتون »على ساحل البحر ...حيث هاجموا المحلات التجارية في الشوارع وحطموا ما وجدوا امامهم من النوافذ والابواب والمعارض، وانهالوا ضربا على العابرين والبوليس ... والقوا في البحر الكراسي والطبلات التابعة لبعض الكازينوهات الواقعة

(١) « المصدر السابق » : العدد ٤٨

(٢) المصدر السابق : العدد ١٢٢ .

على البحر .

« وكان قد جاء اكثر هؤلاء الشباب من لندن ، على ظهر دراجات بخارية ، بسرعة مدهشة جنونية وكانوا يدوسون ويسحقون كل ما يعرض امامهم ، بدون مبالاة » (٣) .

وجاء فى جريدة العرب (٤)

« معركة المراهقين :

استدعى أفراد الحرس الوطني الامريكي الى شوارع بلدة للاجازات في « بيوهامبشير » . فقد كانت معركة محتدمة على وشك ان تبدء بين ٤٠٠ جندي ورجل پوليس، يرتدون الخوذ الفولاذية و ١٠٠٠٠ من المراهقين المشاغبين ، ممن كانت لديهم دراجات موتورية .

بدأت المتاعب في ليلة دافئة ، وكان المراهقون في البلدة يجرون سباقات الدراجات الموتورية ، ويحتسون البيرة ، وقد اصبحوا قلقين متوترين . وراحوا يحدثون ضوضاء على دراجاتهم ويقومون بالاعيب لاخافة الناس في الشوارع وللتباهي امام الفتيات اللواتي كن يجلسن على المقاعد الخلفية. واختار المراهقون اول أهدافهم : طوقوا سيارة في الشارع

---

(٣) الجرائد اليومية .

(٤) العدد ٤٢٣ ، ١٥ / ١١ / ٩٦٥ .

العام وخلال لحظات تركها ركابها ، واشعلت النار في السيارة ٠واشتعلت نار العنف في المدينة ٠فقد طرحوا عابري السبيل ومنهم النساء ارضا ، ورميت قناني البيرة في الهواء ، وحطم المزيد من السيارات ٠

واشتبك المراهقون مع البوليس في كل مكان ، ثم هاجمهم الجنود ، وقد بدأت معركة كبيرة ، واستعملت قنابل الغاز المسيل للدموع وخراطيم المياه وكعب البنادق ، وراحت باصات المدارس تنقل الجرحى الى المستشفى والسجن ٠

واستمرت المعركة أربع ساعات ٠ وكان حصيلتها ١٥٠ معتقلا و ٧٠ جريحا منهم تسعة اصيبوا باصابات بالغة » ٠

***

وما تقدم من حديث ليس كل شيء ٠٠٠ انه لايتجاوز ان يكون نماذج عن سلوك الشباب ، وانذارا بخطورة المستقبل ، فيما اذا أصر الانسان على ان يركب رأسه بلجاج ، ويتمادى في غيّه وضلاله ، وأصر على ان يمعن في الخروج على فطرته ، والشذوذ عن تكوينه النفسي ٠

صور من حضارة الاختلاط

٧

ولم تقف المشكلة عند حدود الرجال والنساء والراشدين من الفتيان والفتيات فقد انحشر الاطفال في مثل هذه البيئة المتحللة ، وتأثروا بكل مظاهر هذه الاثارة الجنسية الحادة ... ونضجت في نفوسهم حاسة الجنس قبل أن يبلغوا دور النضج الطبيعي في حياتهم ، وقبل ان يؤتوا حظا من الرشد في تكوينهم الفكري والفسلجي .

فأنجرف الاطفال في هذا التيار ، قبل الأوان ، بحدة وقسوة وظهر الشذوذ الجنسي بين الاطفال بكثرة في المدرسة وفي خارج المدرسة .

وظهور الشذوذ الجنسي بين الاطفال أمر طبيعي عندما تكتمل في نفوسهم الغريزة ولم يجدوا استجابة من الجنس الآخر .

* * *

حديث آخر مع الفتيات

ولا أحب ان اختم حديثي عن الاختلاط من غير ان اتحدث ساعة او بعض ساعة الى الفتيات عن مسألة الاختلاط .. فالفتيات يهمهن الحديث عن هذه المسألة قبل اي فئة أخرى .

وان أخوف ما أخاف على فتياتنا ان يغترون بمظاهر الاختلاط في الغرب ؛ من اسهام المرأة في الحياة الاجتماعية ، واخذها بنصيب وافر من الثقافة الجامعية وظهورها في الندوات والاجتماعات واشتراكها في البرلمان وخوضها في مسائل السياسة وفي سماء هوليود ، فاتنة ، ساحرة ، تشدّ اليها الآلاف من العيون المنهومة ؛ والنفوس الشرهة . وأنا لا انكر ما لهذه المظاهر من تأثير ساحر على نفس الفتاة .

ولكن استميح فتياتنا ان اسألهن عن هذه الاسماء اللامعة في سماء هوليود وعن هذه الاجسام الغضة التي تلتوى على خشبة المسرح .

هل يتجاوزن عدد الاصابع ... ؟ ؟

أن كثيرا من فتيات الشرق يتحرقن شوقا الى ان يعشن حياة النجوم في هوليود ، وان يظهرن على شاشة السينما والتلفزيون وخشبة المسرح وان يعج الناس حولهن بالتصفيق الحاد ..

ولكن ، ياترى كم تتسع قمة الفن في هوليود (١) ؟ !

---

(١) فى امريكا فقط سجلت ٣٠٠ر٠٠٠ فتاة لدى المخرجين السينمائين للتمثيل فى سنة واحدة « مجلة الاطلاعات » ١٢٢٩ .

وهل استطاعت المرأة في هوليود ان تحافظ على انوثتها وان تمارس مهمة الامومة ، وهي تتقلب وتضطرب أمام اضواء الاستوديوهات ، قائمة وجالسة، ومضطربة وهادئة ؟

ولا يغرك بعد ان المرأة في الغرب فرضت شخصيتها على الرجال وأعترف الرجال بها وبمكانتها في المجتمع ، راضين او ساخطين ، وتفتحت امامها آفاق الحياة رحبة واسعة ، واحتضنتها معاهد العلم وكراسي الحكم والدوائر والمعامل والحفلات العامة ، والمؤتمرات .

فقد خسرت الحياة الزوجية وخسرت الامومة وخسرت انوثتها وحشرت نفسها في بيئة لا يألفها تكوينها الانثوي الخاص ، وشقت بذلك كله ، ولم تعد تجد طريقا الى الرجوع . او عادت تخجل ان تعلن الرجوع الى البيت مرة أخرى .

وشعرت انها اصبحت دمية في ايدي الرجال .. يلعبون بها ، ويقلبونها كيفما يشاؤون . ولم تكن الحياة الجامعية والحياة السياسية والظهور في المؤتمرات والحفلات غير خداع العناوين وغير سراب زائل اقشع بعد حين من الزمن .

فأنا لا انكر حق المرأة في الحياة الحرة ، وحقها في الانطلاق والرياضة والتسلية [1] . ولكني ارغب ان أفهم ــ ولا افهم ــ لماذا يصر الرجال ممن

(١) ذكرت مجلة اطلاعات الشباب : ١٠٧ :

ان الاعمال الرياضية الشاقة كالمصارعة والملاكمة ورفع الاثقال وما يتصل بذلك من فنون الرياضة الثقيلة تضر النساء وحتى الرياضات الخفيفة يجب ان تجري على يد المربين الرياضين . ان جسم البنت فى الاحوال العادية يفقد

تملأوهم نهمة الجنس ، ولماذا تلح النساء ان تجري هذه الرياضة في جو مختلط ؟

وان يتقلب الرجال مع النساء ، جنبا الى جنب ، على مياه الساحل (البلاج)؟ وهلا يمكن عزل بلاج النساء عن الرجال ؟

ام أن في ذلك خطرا على الحرية ؟ او تضييقا على المرأة ؟ او أهانة لمكانتها؟ أم ليس هذا وذاك وانما هو شيء آخر يماري « الرجل » ان يصارح به بخبث ؟

وانا افهم ان يكون للمرأة حق في الثقافة والدراسة وان تدخل معاهد العلم والثقافة ، وتساهم مع الرجال في هذا وذاك ، ولكنني لا استطيع ان أفهم صلة العلم بالاختلاط ، وصلة الثقافة بخلوة الطلاب بالطالبات ، ساعات الاستذكار والتحضير وصلة الدرس بساعات الرقص ؟

كثيرا من العضلات والهرمونات ذات الاهمية فى سلامة البنت ونقصدبالهرمونات مجموع الترشحات الغدية فى الدم . وقيام البنات بالاعمال الرياضية الشاقة يشل عمل هذه الغدد وتفقد البنت اهم خواص الانوثة فى جسمها . وفى الحرب العالمية الثانية كان الالمان اذا أحتلوا قطرا يقومون بقطع الترشحات الغدية لدى البنات بعمليات جراحية خاصة . لسوقهن الى الميدان ليقتلن أخوانهن وأبائهن .

ولذلك فنحن نعتقد ان قيام البنات ولا سيما فى الدور الثانوي من حياتهن الدراسية بالاعمال الرياضية الشاقة من أخطر الاشياء على انوثة البنت .

وكثيرا ما نرى ان النبات يفقدن حال القيام بالاعمال الرياضية حساسية الانوثة الخاصة فى جسمها ونحن بحاجة الى أمهات مربيات وزوجات صالحات يملكن خصائص الانوثة والامومة اكثر مما نحن بحاجة الى رياضيات من جنس حواء فى ميدان المصارعة واللاكمة والقفز والسباحة .

وهلا يمكن الدراسة بغير هذه الازياء التي تثير في نفوس الشباب كوامن الحيوان ؟ ... ام لاتتأتى الدراسة من غير هذا الضحك المثير والغمز المشحون بالاغراء ؟ ! ...

واذا أقتنعنا بضرورة الدراسة المختلطة في المعاهد العالية فلا افهم معنى للرحلات المدرسية المختلطة الى اطراف الغابات ، ومرتفعات الجبال والجزر المنتشرة في اطراف البحار ؟ ! ! (١)

ولا افهم ضرورة للرقص المختلط بين الطالبات والطلاب في المدرسة ؟(٢)

(١) نشرت مجلة المصور المصرية مجموعة من صور طلبة وطالبات الجامعة فى شكل فاضح مخزي ... ومن ذلك صورة فتاة جامعية وهي تشارك الشباب الرقص الخليع فى شكل مبتذل .. حيث يحيط بها الشبان أحاطة السباع بالغزال ... وهي ترقص بينهم ضاحكة .. ثم نشرت هذه المجلة بجانب هذه الصورة الجامعية هذا العنوان « مائة شابة وشاب ، ولا رقيب » واردفت قائلة:

« تجربة جزئية خاضها أكثر من مائة شاب وشابة من طلبة وطلاب الجامعة وما فى مستواهما الجامعي خرجوا فى يوم الجمعة الماضي فى الصباح الباكر ، وعادوا فى مساء اليوم نفسه ، بعد ان استمتعوا برحلة رائعة . فأشتروا اللحوم والبصل والثوم وطبخوا لانفسهم ، ولم يصحبهم مشرف أو مشرفة ، بل كانوا هم انفسهم رقباء على انفسهم اثناء بقائهم ! ! استأجروا لنشا بالقرب من نادي التجديف ، وانقسموا الى اربع مجموعات كبيرة تمثل الشباب من الجنسين وضمت عددا كبيرا من شباب الاقليم الشمالي والغربي ، وقد اختلط الجميع فى المجموعات . وفى منطقة خالية بالقناطر الخيرية ، وقف اللنش ، فتناولوا الغذاء ، وغنوا ورقصوا ، وقضوا يوما من اسعد أيامهم ونجحت التجربة اختلاط بلا رقيب ! ! » .

« المصور » عدد ١٨٦٩ .

(٢) تقول ناظرة مدرسة (....) المختلطة « ولكننا بشيء من المثابرة

ولا افهم لماذا تخرج الفتاة بهذا الثوب الذي يسترها الى حد الركبتين او فوق الركبتين عارية الصدر والابطين متجملة ، ممعنة في الزينة ، تفوح عنها رائحة عطر زكية ، تثير نزوة الحيوان في نفوس الرجال بنظراتها وغمزاتها وضحكاتها ولحظاتها . ؟

تتأنق في أختيار ثيابها واحذيتها ولون فستانها ايما تأنق . . وتجلس ساعات طويلة في صالونات الحلاقة والتجميل أمام المرآة ، بين يدي شاب عريب عنها ليلعب بتقاليع وجهها ، ويغير ملامحها ويصنع منها دمية جميلة ان كانت تصلح للعرض في معارض الجمال فلا تصلح للحياة .

والفتاة حينما تتأنق في تزيين نفسها واختيار ثيابها للخروج عن البيت تحسب حساب كل شيء ، وحينما تعرض مفاتن جسمها عارية مكشوفة للعيون المنهومة والشرهة ، تعرف كل شيء ، تعرف جيدا انها تثير في نفوس الشباب كوامن الحيوان وتقرأ على ملامحهم نهمة الجوع ، وتلمح بوضوح على قسمات وجوههم شره الحيوان ... تعرف كل هذه الاشياء وتعرف اكثر منها مما لانعرفه نحن الرجال .. وتمعن مع ذلك في الزينة وفي التأنق في أختيار الثياب وفي عرض مفاتن جسدها على الرجال .

اتحسبين مع ذلك انها لاتخرج من البيت بهذا الزي الا لأنها تريد ان تروح عن نفسها ، وتأخذ لنفسها نصيبا من الراحة ؟ وتشعر بحريتها وحقها

استطعنا ان نتغلب على هذه العقبات فقد كنا ننتهز فرصة دروس الرقص التوقيعي لاقناعهم بأن اصول هذا الفن تفرض ان يكون الراقصان ولدا وبنتا وكذلك فى دروس الالعاب كنا نتخير لها الانواع التي يشترك فيها الجنسان .

وهكذا سادت بينهما روح الزمالة ! !

في الحياة الطليقة من قيود (الحجاب) ؟

كلا ... والف كلا .

ولو قدر لي ان افهم ضرورة خروج المرأة من البيت الى العمل ، مع الرجل جنبا الى جنب ، فلا افهم لماذا تنقلب المرأة بيد الرجل ، الى دمية يلعب بها ، ويستغلها للتجارة ، سكرتارة ، او بائعة تذاكر ، لتوزع الابتسامات على المراجعين ولتجلب اليها قلوبهم ، وليفرغوا لديها جيوبهم .. لتأخذ منه بخط ضئيل وليأخذ الرجل منه حصة الاسد ، على حساب كرامتها وانوثتها وانسانيتها .

واذا كنا نحتقر تجار الحروب الذين يجدون مكاسبهم بين دخان القنابل وأكوام الجماجم والعظام البشرية فلا يقل عنهم اجراما اولئك الذين يتاجرون بكرامة الانثى وأهدار القيمة البشرية للمرأة وأثارة الغريزة في نفس الرجل .

وليست الكفاءة واللياقة والثقافة هي التي تحدد موقعية المرأة في السوق بقدر ما يحددها جمالها واناقتها وقدرتها على اثارة الغريزة في نفوس المراجعين .. بالغمز واللحظ .. وربما باللمس والجس !

أرأيت ايتها الفتاة المسلمة ما وراء هذا الاختلاط من اسفاف ومن ابتذال ومن تحلل ؟

وأرأيت ماذا يريد بك الرجال من وراء هذه الدعوة ؟

وأرأيت ماذا يعنى الرجال المنهومون من الاختلاط ؟

وأرأيت ماذا تعني الثقافة والحرية في عرف هؤلاء ؟

وأرأيت كيف يحاولون ان يستدرجوا بك الى الحضيض .. حيث لاتستطعين بعد الرجوع ؟

وأرأيت خداع العناوين وسراب الاسماء اللامعة ؟

والآن ألست تشعرين معي ان من الخير بنا ان نعود مرة أخرى الى الحياة في ظلال القرآن الكريم ؟

وان نعيد الى المرأة كرامتها وانوثتها وحقها في الحياة ، ومكانتها من البيت والمجتمع ؟

***

نظرية القرآن الكريم

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات : يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن، الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن أو آباء بعولتهن او ابنائهن او أبناء بعولتهن او أخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن،اوماملكت ايمانهن،اوالتابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

سورة النور : ٣٠ ـ ٣١

تلك هي نظرية القرآن الكريم في الاختلاط ... يعرضها بوضوح من جانبيها : الرجال والنساء .. فالرجال يغضوا من أبصارهم .. والنساء يغضضن من أبصارهن .

ومسألة الجنس ذات قطبين : عرض وطلب .

واذا كان الرجل يقوم بدور الطلب غالبا ، فان المرأة تقوم بالدورين معا .

وصيانة الرجل من الفساد اذا كان بالاحتياط في الطلب فحسب ، فان صيانة المرأة لاتتم الا بالاحتياط في الطلب والعرض معا .

ففيما يخص الرجال ، يكفي أن «يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم» .

وفيما يخص النساء .. فالمسألة ذات قطبين « يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن » من جانب .. و « لا يبدين زينتهن » من جانب آخر .

وهنا ، وفي هذه النقطة بالذات ، يختلف القرآن الكريم عن حضارة القرن العشرين ، وعن النظريات البشرية في العفاف والاختلاط .

فالمسألة لاتتعلق بسلامة رجل او امرأة ، او اسرة او جماعة .. وانما تتعلق بسلامة الكيان الانساني والمجتمع البشري عامة .

والمسألة في هذا الاطار تفتقر الى احتياط أكثر ، واتخاذ ضمانات كافية لصيانة هذا الكيان من الانهيار والتحلل .

ولا يكفي الاحتياط في الطلب وفرض ضمانات على هذا القطب من قطبي المسألة لسلامة الكيان الانساني ... عن طريق تهذيب النفس وتربية الشباب ، وأخذهم على النظافة والتقوى والبراءة في النظرة واللحظة ...

وفي اللمس والجس .. وفي الغمز والضغط ... فطالما رأينا ان هذا القدر من الاحتياط لايكفي للابقاء على سلامة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين .

والانسان كائن من لحم ودم ، وخليط من النوازع والغرائز الحيوانية .. ولا داعي للمراء والجدل .. وتلك الغريزة ــ غريزة الجنس ــ من القدرة ماينذر ان تملكه نزعة أخرى في النفس .

ومهما حاول الرجل ان يكون نظيفا بريئا ، وان تكون نظراته ولحظاته وكلماته خالية عن الريب ، وان يشحنها بفيض من عطف الاخوة والصداقة البريئة ... ومهما حاول ان يكون قويا ، صلبا ، متوازنا ، سويا في السلوك والاخلاق .. فلا يملك ان يضبط نفسه امام منظر مثير .. وصدور ناهدة ... وافخاذ عارية ،ونظرات مشحونة بالاغراء ،وكلمات ناعمة مشبعة بالاثارة، وحركات رخية ملتوية ، ودعوة ملحة باللحظ والغمز .

فلا ينفع الاحتياط مالم تكن الصيانة من الجانبين ... من جانب الطلب والعرض ..

من جانب الرجل والمرأة ان يحافظا على فروجهما ويغمضا ....

ومن جانب المرأة ان تحافظ على زينتها ومفاتنها ...

من حيث الطلب ، ومن حيث العرض معا .. ومن القطب الموجب والقطب السالب جميعا .

وبهذه الصورة المزدوجة من الاحتياط ، يمكن ضمانة سلامة الكيان الانساني من السقوط والتحلل .

فلا تبتذل المرأة في عرض نفسها .. ولا يبتذل الرجل في النظرة واللحظة ولا تسرف المرأة في العرض .. ولا يسرف الرجل في اللحظ .

هذا من جانب ...

وملاحظة أخرى اجمل من هذا كله في الآية الكريمة ، وامعن في الحكمة في معالجة علاقات الجنسين :

فأن الآية الكريمة تعالج الفساد في علاقات الجنسين من بدايات الخط الى نهاياته .. من حيث يتسرب الفساد اول الامر ... الى حيث ينتهي الفساد آخر الخط ...

من حيث يبتدىء الفساد « مطبوعا بطابع البراءة » كما يقال ... من اللحظ ، والغمز ، والنظرة البريئة ، والكلمة النظيفة ... الى حيث ينتهي ساعة السقوط ، ولحظة الاندماج الجنسي .

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم » .. « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن » .

فلا يكفي ان يصون الانسان نفسه عن لحظات السقوط مالم تسبق ذلك صيانة العين واليد والحواس ـ مداخل النفس ومسارب الشهوة اليها .

ونحن لانريد ان نخادع انفسنا ، ولا ان نحلّق في سماء الخيال ونبتعد عن الواقع فطالما استدرجت الكلمة البريئة ، واللقاء البريء ، والخلوة البريئة غير المريبة .. الفتى والفتاة معا الى الحضيض ... حيث لايجدون سبيلا للرجوع .

كلمة عابرة ، ونظرة فوقية « لاريب فيها » ، ولقاء عابر ... ثم اللقاءات الطويلة والاحاديث البريئة .. ثم المواعيد الخلوية والخلوات غير المريبة ثم الغمز البرىء ، واللحظ النظيف ، واللمس الذي لايشوبه ريب ... ثم القبلات الحارة ، والضم ، ونشوات الحب .. ثم الفضيحة ، والسقوط في

غيبوبة من الرشد والعقل ، في نشوة من نشوات الحب وسكرة من سكرات الهوى !

ولا يشعر الفتى ، ولا تشعر الفتاة ، الا وقد ترديا وسقطا .. ببساطة وسهولة .

ويملك الفتى ان يعود ويتطهر ويتظاهر بـ « البراءة » من جديد ليلقى القناصة من جديد .. ولكن الفتاة لاتملك ان تعود ، ولا يغفر لها المجتمع سقطتها هذه ، وحتى الفتى الذي دفعها الى هذا الحضيض لايغفر لها سقطتها، ولا يرتضيها زوجة لنفسه ، وأما لابنائه ، فيتركها كما يترك الانسان سقط المتاع .

والعلاج الحكيم الذي يعرضه القرآن الكريم علينا ، هو ان نمارس العلاج في دخيلة النفس وفي ظواهر الحواس .

من بدايات الخط الى نهايته ...

من اللحظ البريء ... الى لحظة السقوط ...

« يغضوا من ابصارهم ، ويحفظوا فروجهم » .

« ذلك ازكى لهم » وازكى للعلاقات القائمة بين الجنسين ، وانقى للاخلاق، واطهر للسلوك .

وهذا هو الضمان الذي يقدمه القرآن ...

واهتماما بالموضوع ، وتأكيدا له .. يأخذ القرآن باعطاء التفصيلات « وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن » .. والخمار هو القناع الذي تغطي به المرأة نفسها ، والجيب : فتحة الثوب التي تلي صدرها ... فتغطي بالخمار رأسها ونحرها وصدرها ونهديها حتى لايظهر

شيء من مفاتن جسدها للناظر .

ولا ينتهي عند هذا الحد ...

« ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن» .. وهذا غايةفي الحيطة .. فحتى الهمسة والحركة الملتوية المنبهة ، والايماءة العابرة .. قد تنفذ الى النفس ، وتفعل مفعولها ، وتثير في النفس كوامن الحيوان ، وتكون منفذا للفساد والتحلل .

وليس عبثا كل هذا الحرص على سلامة العلاقات بين الجنسين وكل هذه الدقة والحيطة في تحديد علاقات الجنسين .

فهناك في النفس الانساني سر يصارح به الله ويماري الانسان فيه ... ولا يفيد المراء .

* * *

الطلاق

الطلاق ضرورة اجتماعية في الحياة الزوجية .

ومهما يقال عن الطلاق من معارضة او تأييد فلا يمكن ان يجد الانسان في الحياة الزوجية محيدا عن الطلاق بشكل عام .

واذا كانت المسيحية لاتعترف بالطلاق فقد لايبدو هذا الحكم غريبا عن الاطار التشريعي الذي يقع في ضمنه هذا الحكم .

فان المسيحية لاتبعث على الزواج ، كما يبعث الاسلام على ذلك .

ولذلك فأن تحريم الطلاق وهو القطب السلبي من هذه المسألة يبدو ملائما للتثبيط في أمر الزواج وهو القطب الايجابي من المسألة .

وليس كذلك موقف الاسلام من قضية الحياة الزوجية .

فالاسلام حينما يبعث الرجل والمرأة الى الحياة الزوجية ، لايغفل مايمكن ان يلابس الحياة الزوجية في كثير من الاحيان من سوء التفاهم بين الزوجين والاختلافات التي لاتقبل الالتئام .

وليس في مثل هذه الاحوال علاج افضل من الطلاق والانفصال .

يقول (ولتر) : ان الزواج والطلاق ولدا معا . الا أن الزواج ولد قبل الطلاق بأسابيع .

واذا لم تكن هذه الكلمة هي الحقيقة بعينها ، فلا شك انها ترمز الى حقيقة اجتماعية ، لايمكن الاغضاء عنها بوجه من الوجوه .

الاطار الاخلاقي لتشريع الطلاق :

ومما يجب الاشارة اليه بهذا الصدد ان الاسلام لم يطلق للزوج حرية الطلاق بالشكل الذي يبدو لبعض الباحثين المسيحيين .

وليس من الصحيح من ناحية بحثية ان ننتزع ظاهرة الطلاق من الاطار الاخلاقي الذي وضعه الاسلام فيه لنتناولها بالنقد والتجريح .

فقد حاول الاسلام ، قبل كل شيء ان يبعث في نفوس الازواج شعورا بالحب والعطف الزوجي ، يغمر الحياة الزوجية .

وفي مثل هذا الجو التربوي المشبع بروح التعاطف والتآلف لايمكن ان تقع حوادث الطلاق والانشقاق في الحياة الزوجية ، الا في حالات نادرة ولاسباب قاهرة .

وحاول بعد ذلك ان يرفع اسباب الكراهة والانشقاق بين الزوجين بالحسنى وبالتربية الصحيحة ، قبل ان تستفحل « وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن ، فعسى ان تكرهوا شيئا ، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (١) .

« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا ، فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير » (٢) .

وحين يتعذر الابقاء على العلاقة الزوجية بين الزوجين ، رغم كلما تقدم من أعداد تربوي لكل من الزوجين فلا يقف الاسلام حائلا دون تحقيق الطلاق والانفصال بين الزوجين ولا ييسر لهما هذا الانفصال كل التيسير .

(١) النساء ١٩ .

(٢) النساء : ١٢٨ .

عقبات في طريق الطلاق :

فأيقاع الطلاق يقترن بأمور لا يتسير للرجل في كل وقت ، وبسهولة ، مما يجعل حكم الطلاق عسير المتناول .

فتستحب قبل الطلاق محاولة أصلاح ذات البين واسداء النصح الى الطرف الآخر .

ولابد من ايقاع الطلاق بحضور شاهدين عدلين بصيغة خاصة . ويجب ان يكون المطلق عاقلا بالغاً قاصدا مختاراً .

ويجب ان تكون المطلقة خالية من الحيض والنفاس وفي طهر بعد طهر المواقعة .

ويجب في الشاهدين ان يكونا رجلين عدلين واقعا .

وصيغة الطلاق يجب ان تكون صريحة وغير معلقة بشرط ولا يجري في المجلس الواحد غير طلاق واحد (٣) .

وفي أيام العدة تبقى المرأة في البيت الشرعي للرجل . فاذا كان سبب الطلاق تأثر وقتي فيمكن ان يزول ويرجع الرجل عن عزمه ، ويتحقق الرجوع عن الطلاق بأقل بادرة تحكى عن رغبة الرجل الى زوجته .

وبعض هذا يكفي ان يمنع من وقوع الطلاق ، فيما اذا كان من الممكن الحيلولة دون وقوع الطلاق .

أما اذا أصر الرجل على الطلاق وأجتاز كل هذه المراحل فلا يمكن ان يجتمع هذان الزوجان ببعض ، وحتى اذا حرم الطلاق فلا يمكن ان يهنأ

---

٣) يراجع تفاصيل الاحكام السابقة في ج٢ ص ١٣٠ من الروضة البهية .

الزوجان في هذه الصورة بحياتهما .

وتنقلب الحياة الزوجية بالنسبة اليهما الى جحيم لايطاق من الاختلافات وسوء التفاهم المستمر والعذاب الروحي الدائم .

ولهذه الصورة بالذات ، حين يستحيل المحافظة على العلاقة الزوجية بين الزوجين شرع الاسلام الطلاق وحسب .

حق الرجل فى الطلاق : ـ

والذي يهمنا في هذا الحديث ان نستعرضه أكثر من أي جانب آخر هو مسألة اعطاء حق الطلاق بيد الرجل ، واطلاق يده في الطلاق ، في الوقت الذي تمنع فيه المرأة من ممارسة هذا الحق .

والصور التي يمكن ان يسيء الرجل فيها التصرف في هذا الحق بالطلاق او الامتناع من الطلاق صورتان .

فقد يسيء الرجل ممارسة هذا الحق باستعمال هذا الحق ، وقد تكون الاساءة بالامتناع من استعمال هذا الحق في الوقت الذي ترغب فيه المرأة في الطلاق .

وسوف نتكلم في كلتا الصورتين لنجد موضع الظلم في هذا التشريع .

اما الصورة الاولى فقد يجوز ان يسيء الرجل استعمال هذا الحق فيطلق زوجته ليتزوج أخرى مكانها ، وليستبدل بها غيرها ، بعدما أفنت زهرة شبابها في بيته ، فتحمل الرجل رغبة هوجاء ان يطلقها ويطلق سراحها من دون تقدير لما تؤول اليه حياتها بعد ذلك ولا ينكر ان هذا فرض جائز الوقوع .

ولكن ذلك وحده لايكفي في المؤاخذة . فقد حاول الاسلام في الوقت

الذي أطلق يد الرجل في الطلاق ومنع المرأة منه ، ان يمنع من وقوع مثل هذه التصرفات الهوجاء بالوسائل التربوية واشاعة جوٍّ من الالفة والحب والتعاطف على الحياة العائلية .

ولا يجوز لنا من نقطة نظر بحثية ، ان نحكم لهذا الحكم او عليه مالم نضعه في الاطار التربوي الذي وضعه الاسلام فيه وهذا الفرض لايتجاوز ان يكون فرضا جائزا الوقوع .

فلم يتفق ان يقع في الحياة الاجتماعية في البلدان الاسلامية الا في القليل النادر ، والنادر بحكم المعدوم .

على ان الافضل للمرأة ان تهجر مثل هذا البيت الذي يؤوي اليه رجل لايشعر تجاهها بشيء من العاطفة الزوجية التي تمنعه من أخراجها عن البيت ، بعدما أفنت زهرة حياتها في بيته .

وحتى ان كان الطلاق بيد الزوجين معا ، ولم يتم الا برضاهما معا ، فلا اظن ان هناك أمرأة تقبل ان تعيش مع رجل كهذا تحت سقف واحد .

وما يهمنا ان نبحث عنه هو الصورة التالية .

وهي ما اذا كان الرجل يمتنع عن الطلاق في الوقت الذي ترغب المرأة فيها بالطلاق وتتعذب بالحياة معه .

وهذه الصورة ، بعكس الصورة الاولى كثيرة الوقوع . ولكن الاسلام لم يترك مثل هذه الحالات من دون اتخاذ التدابير اللازمة لعلاجه .

ففي امكان المرأة ان تأخذ حق التوكيل في الطلاق عن الرجل في حالات خاصة من اساءة الرجل اليها او تحميلها مالا تتحمل من أمور ، كما ان بأمكانها ان ترفع الامر الى الحاكم الشرعي لينظر في شكواها فأن كانت على حق من

دعواها اجبره الحاكم على طلاقها .

* * *

وبعد ، فطبيعة موقف الرجل من الحياة الزوجية تخوله هذا الحق .

فالرجل هو الذي يقدم على طلب المرأة ، وينفق عليها ، ويقدم لها المهر ... ومثل هذا الموقف يخول الرجل حق التفريق والطلاق .

فان تكاليف الزواج المادية من مهر ونفقة ، تقع على عاتق الرجل .. ولم تخسر المرأة شيئا في هذا السبيل .

والحياة الزوجية شركة ما بين المرأة والرجل ، لاشك في ذلك الا ان الرجل هو الذي أنشأ هذه الشركة ... وهو بطبيعة الحال يملك ان يحل هذه الشركة .

هذه من ناحية حقوقية .

* * *

والمرأة لم تخسر شيئا في الحياة الزوجية ...ولا يهمها بالطبع ان تغير كل يوم بيتا جديدا ، وتتخذ زوجا جديدا ، وتحصل على مهر جديد ، وتتذوق « طعما » جديدا للحياة الزوجية ، وتعقد لها حفلة زواج جديدة ، ويقدم لها اصدقاؤها هدايا جديدة ، وتلتقط لها مع العريس الجديد صورا جديدة لتنشر في المجلات .

والرجل وحده هو الذي يخسر النفقه ، والبيت ، والمهر ، والجهد الذي بذله لتحصيل ذلك كله ... ولا يمكن ان يجازف بخسارة ذلك كله مالم يضطر اليه اضطرارا تهون عنده مثل هذه الخسائر .

هذا ، بالاضافة الى ما تمتاز به المرأة من عاطفة ، تعرّض الحياة الزوجية كلها

لخطر الانحلال والانهيار . واذا علقنا الطلاق على ارادة كل من الرجل والمرأة باستقلال .. كانت النتيجة هي النتيجة الاولى بالاضافة الى اننا اشركنا الرجل معها في ذلك ... واتحنا لهما فرصة اكثر للتفريق والطلاق .

واما اذا علقنا الطلاق على ارادتهما معا ، فقد احلنا الحياة العائلية الى جحيم مستعر ... فقلما يتفق الرجل والمرأة على الطلاق .. وما ايسر ان تستعصي المرأة على الطلاق لتؤذي الرجل .

وقد شرع الطلاق ــ وهو ابغض الحلال الى الله ــ لانقاذ الزوج من قيود الزوجية في الحالات غير الاعتيادية ، عندما تنقلب الحياة الزوجية الى جحيم من الخلافات .

فاذا آمنا بضرورة الطلاق في مثل هذه الاحوال ، فلا يمكن ان تربط الطلاق بأرادة الزوجين معا .. فقلما يحصل ان يتفق الزوجان على الطلاق في قضية طلاق ... ولا اقل من ان تعاكس المرأة ارادة الرجل للابقاء على شقائه وحرمانه عن حياة عائلية سعيدة وزوجة أخرى يلتئم معها .. وقلما يتفق لأحد ان يتمكن من الزواج ثانية مع الاحتفاظ بالاولى .. فيضطر ان يقضي معها حياته شقيا بها .

والمسألة تتعلق بحياة انسان .. فلايجوز التفريط فيها وسد فرص التفريق والطلاق امامه فيظل طيلة حياته شقيا بزوج لايرتضيها ولا يلتئم معها .

ولا يختلف الامر .. ففي جانب المرأة كذلك ، يجب أتاحة فرص كافية لها للطلاق ولكن بشيء كثير من الحيطة والحذر ، حتى لايتاح للمرأة ان تستخدمه في غير حالات الضرورة وقد وفر لها الاسلام هذه الفرصة ــ فيما اذا اضطرت اليه ــ عن طريق الدولة (الحاكم الشرعي) .

ويبقى اذن فرض رابع وهو : ان يستقل الرجل بالطلاق حينما يلتجأ الى ذلك ولم يجد بدا من الطلاق .

والطلاق بعد . ضرورة حياتيه ، لايمارس الرجل حقه فيها الا بعد ان يوصد في وجهه أبواب العلاج ، ولايجد منفذا لحسم الخلافات في البيت .

فهو ابغض الحلال الى الله [1] .

ولم يترك الاسلام أمر الطلاق بيد الرجل الا بعد ان الزمه بالسماح في السلوك والعشرة معها « وعاشروهن بالمعروف » «ولا تنسوا الفضل بينكم» .

لو كانت المرأة تتحكم فى الطلاق :

ومرة ثانية نعود الى صلت الفكرة فنقول :

ان الشيء الذي يعارض القرآن فيه ، ويقف دونه ، ان يكون أمر الطلاق بيد المرأة ، او ان يكون للمرأة دخل في ذلك .

فالمرأة بطبيعتها وتكوينها الخاص .. كائن عاطفي ، تحكمها العاطفة وتسيرها الخاطرة العابرة .. ولا يكون لها تأثير في الطلاق حتى تكثر حوادث الطلاق لاشياء تافهة جدا .... لانها احبت رجلا آخر .. ولأن رجلا آخر غرّها ووعدها ، او لحدوث اختلافات يسيره بين الزوجين .

ومن يراجع سجلات حوادث الطلاق في الغرب ، ويستعرض اسباب هذه الحوادث يجد في الغالب انها ترجع الى أسباب تافهة ، وان كانت وجيهة في دنيا المرأة .

فقد تعرض المرأة الطلاق على المحكمة لانها تكره غطيط زوجها في النوم

---

(١) كما فى الحديث .

او لان رائحة فمه كريهة ، او لانه لايحبذ رقصة الروك اندرول ، او لانه لايحب كلبها ، او لانه لايحسن استقبال صواحبها في البيت ، او لانه يحب الفستان الازرق وهي تفضل الفستان « الفزدقي » مثلا .. وما شاكل ذلك من أسباب تافهة .. تبعث المرأة على الاقدام على الطلاق .

وربما نعذرها في ذلك .

فهي لم تخسر شيئا حينما تقدم على الطلاق .. لم تخسر نفقة ، ولم تخسر بيتا ، ولم تخسر مهرا . وقد يسعدها الحظ ، فتلتقي بزوج آخر يفتح لها صدره ويفتح لها أبواب بيته ، ويمكنها من أمواله ، فتعيش معه شهرا او بعض شهر ، لتهجره الى زوج جديد .

ولست احاول ان أبالغ في شيء من هذا الحديث .. فمن يستعرض حياة الممثلات ونجوم السينما يطمئن الى هذه النتيجة .

وليس من المبالغ فيه اذا قلت : أن كثيرا من الممثلات يتزوجن اكثر من عشرات المرات في حياتهن .

وقرأت في بعض المجلات : ان ممثلة ـ بعد ان طلقت زوجها تزوجت بمهندس شاب لاول مرة وقد اعجبتها حياة المهندسين الشباب وسلوكهم ... فذكرت لبعض الصحفيين انها تنوي فيما بعد ان تتزوج فقط من المهندسين الشباب ، ولا تتجاوزهم الى غيرهم !

فكان وفاؤها لزوجها الجديد موضع اعجاب الصحفي واستغرابه .

وحين يتاح للمرأة حق الطلاق :

وقد تم للمرأة في الغرب ان يكون لها حق في الطلاق ، وان تشارك الرجل في هذا الحق .

واستسلمت اوروبا واميركا لهذا الفتح الجديد الذي دعا اليه المصلحون المعنيون بشأن المرأة هناك .

ولكن النتيجة التي انتهى اليها الغرب كانت نتيجة مخيفة ، منذرة بخطر انهيار الحياة العائلية هناك .

ففي اميركا (في الولايات المتحدة غير الكاثوليكية) تبلغ نسبة الطلاق الى ٤٠ ٪ من مجموع الزيجات .. وهي آخذة في الازدياد .

واصبح الطلاق شيئا متعارفا جدا .. كالذهاب الى السينما ، وتناول وجبة الغذاء في هذا المطعم او ذاك .

فقد سمعنا ان وزيرا فرنسيا طلقته زوجته بعد خمس ساعات من زواجه معها فقط ! ! !

وبلغ من كثرة الطلاق : ان محكمة الحقوق بمدينة سين فسخت ٢٩٤ نكاحا في يوم واحد .

ووقع في سنة ١٨٤١ ــ التي قرر فيها قانون الطلاق الجديد ــ اربعة الآف طلاق ... وبلغ هذا العدد سبعة الآف سنة ١٩٠٠ وستة عشرة الفا سنة ١٩١٣ وعشرين الفا سنة ١٩٣١ .

ويكتب القاضي « لندسي » :

« في بلدة (دنور) في سنة ١٩٢٢ ، اعقب كل زواجين تفريق بين الزوجين، وبازاء كل زواجين عرضت على المحكمة قضية طلاق .. وهذه الحالة لاتقتصر على بلدة دنور ، بل الحق ان جميع البلدان الاميركية ــ على وجه التقريب تماثلها قليلا او كثيرا » .

ويقول « ان حوادث الطلاق والتفريق بين الزوجين لاتزال تكثر وتزداد

وان اطرد الحال على هذا ــ كما هو المرجو ــ فلابد ان تكون قضايا الطلاق المرفوعة الى المحاكم في معظم نواحي القطر على قدر ما يمنح فيها من الامتيازات للزواج » .

وقد يكون لشيوع الطلاق في الحياة العائلية في الغرب اسباب أخرى ... الا أن جزءاً كبيرا من حوادث الطلاق هذه ترجع الى تصرفات النساء السريعة ، المشبعة بالعاطفة والتسرع والارتجال .

والعلاج الصحيح للمشكلة هو الحل الذي يعرضه الاسلام .. باستقلال الرجل في هذا الحق ومداخلة الحاكم الشرعي في الامر كلما اقتضى الامر .

* * *

٥

كنت احب الا اتحدث عن هذا الجزء من مشاكل الحياة النسوية المعاصرة لا لأن الامر من الوضوح ، بحيث لايخفى على أحد ، ولم يعد بحاجة الى الكتابة بل لانني اخشى ان يرميني المتحمسون والمتحمسات لقضية المرأة بتهمة الرجعية .

وليس شيء أبغض الي من ان توضع هذه الكلمة في غير موضعها س حياتنا الاجتماعية .

وفضلت أخيرا ان أصارح المتحمسين لهذه القضية ، عندنا من اصار المرأة على ان احفظ نفسي عن هذه التهمة .

ولا احب ، وأنا اناقش هذه القضية ، ان استشعر من خلال اراء المتحمسات من النساء وجود جفوة بين الرجال والنساء من المعارضين والمؤيدات .

فالخلاف بين المعارضين والمؤيدات ليس لصالح (الرجل) على حساب المرأة ، ولا لازاحة المرأة عن حقها المشروع في الحكم والسياسة لافساح المجال للرجل .

وانما المسألة ترتبط في طرفي الخلاف بمصلحة المرأة ذاتها ومصلحة (الانسانية) عامة .

***

ولتسمح لي المتحمسات لهذه القضية ان أسألهن عما يثير في نفوسهن الحماس بالنسبة لهذه المسألة ، وعما يدفعهن الى هذه المطالبة الحثيثة بحق

المرأة في البرلمان والادارة الى جنب الرجل ؟

فهل تنهم المرأة الرجل بالتهاون في المطالبة بحقوقها والدفاع عنهـا ، مما يضطرها الى ان تنازل الرجل في ميدان السياسة والتشريع لتنزع حقوقها، وترغم الرجل على الاعتراف بها ؟

قد يتصور بعض الكتاب ان الخلاف يدور بين الرجل والمرأة في هذه المسألة حول هذه النقطة بالذات .

اما أنا فلااستطيع انااتصور ان المرأة تسيء الظن بالرجل الى هذا الحد.

فليس الرجل باقل حرصا من المرأة ذاتها على حقوقها ومصالحها وحتى في نطاق التأييد لم يكن الرجل اقل تحمسا من المرأة في اشتراك المرأة في الحياة السياسية والبرلمانية .

ولست أعلم لماذا تحاول المرأة والمتحمسون من الرجال لقضايا المرأة ان يفصلوا حياة المرأة عن الرجل ، ويثيروا على الموقف غبارا من سوء التفاهم والمصلحية في الوقت الذي نجد ان الرجال يتحمسون لقضايا المرأة اكثر من النساء انفسهن واكثر مما يهتمون للقضايا الخاصة بدنياهم الخاص ، في بعض الاحيان .

وهل تريد المرأة ، بالاسهام في الحياة البرلمانية والادارية ان تسد فراغا تقصر عنه كفاءة الرجل ، او تحدث تطويرا في نظام الحكم والادارة يعجز عنه الرجال ؟

قد يكون ذلك هو الباعث للانشقاق في المسألة .. ولا احب ان اناقش المرأة في هذه المسألة من ناحية تكوينية واجتماعية فقد سبق ان ذكرنا ان تكوين المرأةالفسلجي والنفسي لايؤهلها للحياةالسياسية والفكرية ، بمستوى

الرجل ... وانما أريد ان اسأل المرأة عن المكاسب السياسية والادارية التي حققتها المرأة في الغرب ، وعندنا في الشرق في تجربتها الاخيرة في دنيا السياسة والادارة ، مما لم يحققه الرجال ، وعن الانجازات التي تمت للمرأة دون الرجل .

فلا زال الرجل ، رغم كل ما حدث من تطور في موقف المرأة في الحياة السياسية سيد الموقف وصاحب الكلمة الحاسمة .

وليس ذلك لان الرجل يظلم المرأة .

فقد كان بأمكان المرأة ، ان تحقق ذاتها ، كما حقق الرجل ذاته من قبل .

وكان بأمكانها ان تستثمر الفرص المؤاتية لها ، كما استثمرها الرجل في حياته .

فالمسألة لاترتبط بشيء ، كما ترتبط بمؤهلات المرأة وقابليتها الفسلجية والنفسية وتكوينها الخاص .

وليسمح لي أنصار المرأة ان اقول ان تجربة مشاركة المرأة في الحياة السياسية رغم ضخامتها وأستمرارها ، لم تستطع بعد ان تخلق من المرأة (ذهنية سياسية) تمارس الحياة السياسية ، وتملك ما يملك الرجل من قابليات وكفاءات .

وليس ادل على ذلك من ان التجربة لم تحقق شيئا في عالم جواء .

فلا يوجد في الوقت الحاضر ، في مختلف اقطار العالم رئيس واحد لقطر جمهوري .. من عالم حواء . ولا تشغل امرأة ، في الوقت الحاضر رئاسة الوزارة في قطر من أقطار العالم ، غير قطر واحد او قطرين من الارض ، لظروف سياسية خاصة ، ولا تشغل امرأة رئاسة احدى المؤسسات الدولية الكبرى في الوقت الحاضر ، رغم ما حدث من تطور في موقف المرأة من الحياة

السياسية .

وفي سويسرا ــ وهي من أرقى دول العالم في الوقت الحاضر ــ تمتنع النساء عن ممارسة حقوقهن في الحقل السياسي .

وجرى قبل مدة استفتاء شعبي عام حول دخول النساء في البرلمان في سويسرا .. وكان نتيجة ذلك ان عامة الشعب السويسري تعارض دخول النساء في البرلمان ، وتفضل ان تبقى المرأة في البيت آمنة مطمئنة الى حياة الامومة على ان تخوض معترك الحياة السياسية . أما النساء انفسهن ، فقد امتنعن بنسبة ٩٥ ٪ من ممارسة الحياة السياسية والنيابية .

وفي أميركا ، بعد حوار طويل ، ونقاش استمر وقتا طويلا .. انتخبت لاول مرة ، وللمرة الاخيرة « مدام مرتين » رئيسة للجمهورية .. الا أن الآثار السيئة التي تركه هذا الاختيار الجديد في البلاد ، ادى الى الغاء هذا القانون في البلاد بشكل عام . ولم تحاول الولايات المتحدة الاميركية ان تعيد التجربة هذه مرة أخرى في حياتها السياسية .

وحتى في الاتحاد السوفيتي ــ وهي من أكثر البلدان دعوة الى مساهمة المرأة في الحياة السياسية ــ توجد مرأة واحدةفقط بين اعضاء الحزب الشيوعي المركزي ، ووزيرة واحدة فقط من بين تسعة واربعين وزيرا .

وفي البلدان التي تشترك المرأة مع الرجال في البرلمان .. قلما تحضر المرأة مجالس البرلمان .

يقول الدكتور مصطفى السباعي :

« زرت اوربا اربع مرات ، اقمت في بعض بلادها بضعة شهور .. لم أحس أبدا بأثر للمرأة الغربية في السياسية

عندهم بوجه عام وفي المجالس النيابية بوجه خاص . ولقد زرت مجلس العموم البريطاني وحضرت جلسة طويلة من جلساته ، فلم اشاهد نائبة واحدة من نائباته . بل كن كلهن غائبات » .

وفي سوريا عمدت الحكومة قبل حين الى أتاحة الفرصة للمرأة في الاشتراك في الحكم الا ان التجربة فشلت ولم تلق أقبالا من الشعب ... رغم جهود الحكومة في دعم هذه القضية واسنادها .

وفي العراق قامت الحكومة بمحاولة شبيهة بتلك في العهد القاسمي فأنتخبت وزيرة للبلديات .. الا أن الآثار السيئة التي تركته في البلاد ، دعت الحكومة الى تعديل موقفها بسرعة ، ولم تحاول ان تعيد التجربة مرة أخرى .. فكانت التجربة فاشلة .

ولأمر ما تفشل هذه المحاولات في الغرب ، وعندنا في الشرق .. رغم جميع الجهود التي تبذل من قبل النساء المتحمسات الى الحياة السياسية وانصارهن من الرجال .

فلم يكن من الصدفة ان يفشل جميع هذه المحاولات .

فالمرأة بطبيعة تركيبها الانثوي لاتصلح ان تخوض غمار الحياة السياسية بما يتطلبها من عقل سياسي واع ، وحيطة بالملابسات والظروف السياسية وقدرة عقلية وعصبية وجسمية تؤهل الشخص للدخول في المناقشات السياسية العنفية واقحام الجهة المقابلة ، وكسب القضايا السياسية [1] .

(١) تقول «مدام دي ريموزا» : ينقصنا حن معاشر النساء ترابط الفكر وتماسك أطرافه عندما نخوض المسائل العامة ، وان نكن سريعات الادراك بما

والنساء المغفلات ، عندنا ، لاينظرن الى الحياة السياسية الا من وجهها الناعم الوادع ..الذي يتمثل في الابراج العاجية، والقصور الفخمة والسيارات المريحة ، والحياة المترفة .. ولا ينظرن اليها من خلال الحوار والجدال الحاد ، والمناورات السياسية ، والمصادمات العنيفة التي تحصل في معترك الحياة السياسية .

والترشيح للنيابة ، بشكل خاص ، يتطلب من الجهود مالا يتطلبه أي عمل سياسي آخر ... من الدعاية القوية بمختلف الوسائل ، والسعي وراء الناخبين ومعارضة المرشحين الآخرين ، والاتصال بالجهات السياسية .. وكيف تستطيع المرأة ياترى ان تقوم بهذا الجهد كله ولا يتوفر لديها بعدما يتوفر للرجل من مؤهلات عقلية وعضلية وعصبية .

وقد تخوض المرأة هذه الغمار كلها .. ولكن على حساب انوثتها وامومتها وقد ادى اشتراك المرأة فعلا في الانتخابات النيابية الى حوادث مزرية مما غير رأي كثير من المتحمسين والمتحمسات لهذه القضية ..

ففي دمشق ــ كما يذكر الدكتور السباعي ــ اصطدمت النساء بعضهن ببعض في الانتخابات التكميلية لسنة ١٩٥٧ في مراكز الاقتراع .. وادى الى هجوم بعضهن على بعض ، والضرب بالاحذية ، والاستنجاد بالشرطة .

وفي انتخابات الرئاسة الاميركية عهد كنيدي ، قتلت زوجة زوجها لانها كانت تتحمس لمرشح آخر غير مرشح الحزب الذي كان ينتمي اليه زوجها .

منحناه من حدة الذكاء حتى لقد تميّز ما يميزه الرجال بل قد تفوقهم كثيرا . . ولكننا شديدات التأثر والانفعال وهذا يبعدنا عن الانصاف وصدق النظر ومتانة الحكم ، ومن الصعب علينا ان نتأمل طويلا فى موضوع من المواضيع .

وعندما تدخل المرأة في عالم السياسة ، تجر معها مؤثرات جديدة من دنيا حواء الى دنيا السياسة ... فتخضع السياسة للابتسامة المليحة والكلمات الرقيقة ، والقامة الرشيقة ، والقبلات الحارة . وقد قيل في انتخابات الرئاسة الاميركية لعهد كنيدي : ان الابتسامة المليحة والجمال الأخاذ كان له تأثير كبير في مصير الرئاسة الاميركية .

ولا اخاف على دنيا السياسة من شيء اكثر من ان تخضع للعوامل المؤثرة في دنيا حواء .. من أغراء واثارة وتهييج .

* * *

كلمة الاسلام

النيابة والمهام السياسية الاخرى لون من الوان الولاية وقد لمسنا مما تقدم من حديث : ان الاسلام يربط المرأة بحياة الزوجية والامومة ، ويعزلها عن الحياة السياسية ، ويفضل لها ان تتفرغ لشؤون البيت على ان تنفق جهودها خارج البيت .

وقد جاء عن النبي (ص) « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » والنيابة في الاوضاع الديمقراطية هي أظهر اشكال الولاية . فلا تنحصر الولاية في الحديث المتقدم برئاسة الدولة ـ ولا سيما اننا نجد ان الفقهاء يمنعون ـ استنادا بهذه الرواية ـ ولاية المرأة للقضاء ولا ريب ان مهمة النيابة ليست دون مهمة القضاء .

وفي حديث آخر عن ابي جعفر ـ عليهما السلام ـ « .. ولا تولى المرأة القضاء ، ولا تولى المرأة ، لامارة ، ولا تستشار » .

وربما تكون كلمة (الامارة) هنا اصرح في اداء المقصود من غيرها ، وهي تشمل مختلف وجوه الامارة والرئاسة ، ويدخل في ضمنها كثير من المهام السياسية الكبيرة في البلاد ... من رئاسة الدولة ورئاسة هيئة الوزراء ، والوزارة والنيابة .. وما يتصل بذلك من شؤون الرئاسة العامة .

٦

الشهادة

وجانب آخر مما يجب ان تتعرض له في هذا المجال « شهادة المرأة » ، فقد جعل الاسلام شهادة المرأة نصف شهادة الرجل في أثبات الحقوق قال تعالى :

« واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى » (١) .

وليس في هذا التشريع استهانة بالمرأة او باماناتها في اداء الشهادة ... وأنما روعيت فيه موقعية المرأة في الحياة الاجتماعية وتكوينها النفسي .

فالمرأة بطبيعة موقعيتها الاجتماعية ، لاتجاري الدعاوي ، ولا تلتقي بها الا نادرا وبصورة عرضية ، فلذلك ، فقد تهمل حفظها فتضل في الاداء او لاتكتمل الصورة لديها فلا تحسن اداء الشهادة .

ولا يهمها بعد من أمر القضاء والشهادة وما فيها من خلاف واخذ ورد ما يهمها من أمر ثيابها وتصفيف شعرها وعالمها الخاص (٢) .

---

(١) البقرة : ٢٨٢ .

(٢) ارادت احدى ولايات المتحدة الاميركية ان تنتخب المحكمين الاثني عشر شخصا الذين يحكمون فى الدعاوي المهمة عن النساء ، وكان ذلك فى دعوى قتل ذات شأن كبير . فدعت عددا كبيرا من العاملات المتعلمات وانتقت منهن اثني عشرة عقيلة ، وأجرت المحاكمة امامهن . ولما انتهى الاتهام من تثبيت التهمة على المدعي عليه وفرغ المدعي عليه من نفيها والقول ببطلانها خطب القاضي فى المحاكمة وأوضح لهن ما غمض من أوجه القضية وبين لهن النقط القانونية التي يجب عليهن ان يبنين حكمهن فى الدعوى عليها . ولم يترك مبهما الا واوضحه ، ولا مجملا الا

وهي من جانب آخر لطبيعة تكوينها النفسي ، تغلب عليها العاطفة .. وقد تبعثها العاطفة بصورة لاشعورية ان تمحي عن حافظتها اجزاءاً من المشهد ، او تشوه صورة المشهد او تتلاعب به عن قصد وشعور ... فلا يكون اداؤها في اغلب الاوقات بمعزل عن مثل هذه المؤثرات اللاشعورية والشعورية .

فجعل القرآن الكريم اداء الاخرى ضمانا لها عن الانزلاق والاشتباه ... « ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى » .

وفصله وشرحه ثم ارسلهن الى غرفة المذاكرة ، وأمر بأقفال الباب عليهن الى ان يفرغن من الحكم وقعد القاضي ينتظر ، وطال انتظارة الى ان ضجر ، وملّ المحامون عن الجانبين .

ولما ضاق ذرع القاضي أمر بفتح باب غرفة المذاكرة ، فرآهن يتحاورن فى شأن لبسهن والقبعات والحلى وما شاكل ذلك ، وقد نسين الدعوى التي طلب منهن الحكم فيها . فغضب القاضي لضياع الوقت ثم ضحك من تلك العقول ، ولام نفسه فى انتخابهن للحكم .

الجانب الوظيفي من العلاقة الجنسية

٧

الدِيَّة

دية المرأة في جريمة القتل نصف دية الرجل .. ولا كلام في ذلك بين الفقهاء ولا علاقة لهذا التشريع بقيمة المرأة من الناحية الانسانية بالنسبة الى الرجل ، وليس في ذلك أي اشعار بتنقيص في قيمة المرأة .

ففي قتل العمد يملك ولي الدم ان يطالب بالقصاص ، سواء كان المقتول رجلا او أمرأة والقاتل رجلا او امرأة . فقد يقتل رجل بأمرأة فيما اذا رغب ولي الدم في ذلك ، مع ارجاع نصف ديته عليه ، وذلك لان الاسلام يعتبر جريمة القتل العمدي أهانة بالانسان فيجيز القصاص في مثل هذا المورد ، ويعطي لولي الدم حق المطالبة بدم المقتول مهما كان المقتول ومهما كان القاتل، اذا كانوا أحرارا .

ذلك من حيث نظرة الاسلام الى هذه الجريمة ، وتحديد نوعية العقوبة المناسبة لها .

اما اذا تصالح الطرفان على الانتقال الى التعويض المادي والعفو عن القاتل ... فقد عفى ولى الدم القاتل عن القتل وبقى ان يقوم بتعويض اسرة المقتول عن الخسارة المادية التي لحقت الاسرة بقتل (رجلها) .. وفي مثل هذه الحالة لايلحظ جانب الجريمة في المسألة ، كما يلحظ جانب الخسارة المادية التي تلحق أهل المقتول .

وطبيعي ان الخسارة المادية التي تلحق اسرة المقتول يختلف اذا كان رجلا كثيرا عما اذا كان المقتول امرأة .

فالرجل يعتبر موردا ماليا لأهله ،وليست المرأة كذلك . والتعويض لماكان ماديا خالصا ينبغي ان يقاس بمقدار الخسارة المادية التي تلحق أهل المقتول .

ولذلك كله فقد اعتبر الاسلام دية المرأة في مثل هذه الحالة نصف دية الرجل .

هذا اذا كان القـتل عمدا ٠

اما لو كان القتل خطأ ، كما اذا أراد رمي حيوان فوقع على أنسان وقتله ، فتؤخذ الدية من عاقلة (الخاطيء) بالتقدير السابق بين الجنسين ٠ فيساهم أهل القاتل (خطأ) مع اسرة المقتول (بالاشتباه) في تحمل الخسارة المادية التي نزلت بهم ٠ وليس في الامر جريمة وعقوبة ٠

واذا كان القتل شبه خطأ ، كما اذا أراد المعلم تأديب طفل فاخطأ الضرب فقتله، فيتحمل القاتل (شبه العامد) ما يلحق أسرة المقتول من خسارة مادية بتقدير يقرره الشرع ، مع المحافظة على النسبة السابقة بين دية المرأة ودية الرجل ٠

وليس في هذين الموردين جريمة وعقوبة ٠

وكلما في الامر خسارة مادية تلحق أسرة المقتول يعوضه القاتل نفسه او أهله بتقدير ثابت في الشرع ٠

ونعود مرة أخرى لنؤكد ان التعويض المادي في هذه الصورة يتبع فقط من حيث الكم الخسارة التي تتحملها الاسرة حينما تفقد عضوا من أعضائها ٠

فتختلف الخسارة المادية من الناحية الكمية حينما تفقد الاسرة رجلا من أعضائها عما اذا كانت تفقد امرأة من الاعضاء ٠

فحينما تفقد الاسرة قيّمها (الرجل) ، فان ذلك يعني ان الاسرة تخسر فيه موردا ماديا لحياتها ٠ وليس كذلك حينما تخسر الاسرة امرأة ٠٠٠ وان كانت الخسارة من الناحية البشرية ، واحدة على الاسرة ٠ الا ان الاصابة هنا لم تكن مقصودة ٠٠٠

وليس هذا التقييم الا تقييما للخسارة المادية التي تلحق الاسرة بنتيجة خسارتها لعضو من اعضائها من الرجال والنساء .

ولا أجد في مثل هذا الحكم ، بعد ، ما يدعو الى التهريج والنقاش .

وليس ، بعد ، اعدل من هذا الحكم في معالجة المسألة من الناحية الانسانية والمادية معا .

***

٨

الأرث

جذور المسالة فى القوانين الشرقية والغربية :

قبل ان نستعرض ارث المرأة في التشريع الاسلامي ، ونقارنه الى ارث الرجل أحب ان ابحث عن الجذور التشريعية لارث الرجل والمرأة في القوانين الشرقية والغربية ، لنجد موضع التشريع الاسلامي في مسألة الارث من سائر القوانين والشرائع .

كانت القوانين والعادات الجرمنية القديمة تبنى مسألة الارث على مبنى وحدة الدم ، وتسعى للمحافظة على ثروة الاسرة من التمزق والتشتت خارج حدود الاسرة .

ولذلك كانت القوانين الجرمنية لاتحترم رغبة الميت في الوصية الى من يرغب الوصية له بماله ، واسهام من يرغب من اقربائه فيما تركه من مال ، فلا تنفذ له وصية مالية الى أحد ، كما لاترث المتوفى زوجته التي كانت أقرب الاشخاص اليه بحجة انها تنقل ثروة الاسرة الى خارج محيط الاسرة ، وتعود به الى اسرة أخرى .

كما ان نصيب البنت من الارث كان قليـلا جدا بالنسبة الى نصيب الابناء . فالبنت عادة تنتقل من أسرة ابيها الى أسرة غريبة وتنقل معها ثروة الاسرة ، فيما اذا كانت تحرز نصيبا من الارث .

وفي الطرف المقابل كانت القوانين الرومانية تفسح المجال واسعا لرغبة المتوفى فى الوصية بماله لمن يرغب بعد وفاته ، وفي اسهام من يحب فيما يتركه من مال ..

فكل أحد اولى من غيره بماله في حياته ، كذلك بعد ان يموت يعد اولى من أي شخص آخر في الوصية بماله لمصلحة من يرغب الوصية اليه ، ولاسهام من يحب اسهامه فيما تركه من مال .

ولذلك سمحت القوانين الرومانية بالوصية المالية ، كما سمحت للرجل والمرأة ان يرث بعضهما البعض فيما اذا كان لايوجد للميت قريب يتصل اليه بالنسب .

وربما كان الخلاف في المسألة بين القانون الجرماني والروماني يعود الى الخلاف في طبيعة الملكية في كل من التشريعين .

فالملكية في القوانين الجرمنية ذات طابع عائلي عام اكثر من الطابع الفردي ، ولذلك فلا يحق لرئيس الاسرة ان يفرط في تبديد ثروة الاسرة التي تقع في حيازته بالوصية واسهام المرأة فيها . بينما كانت القوانين الرومانية تعتبر الملكية فردية اكثر من كونها اجتماعية فيحق للأنسان ان يوصي الى من يشاء بماله كما يكون من حقه ان ينقل جزءاً من ماله بالارث الى نسائه وبناته وأخواته ممن كان يؤنس اليهن في حياته ويؤثرهن على كثير من اقربائه .

موقف الاسلام من مسالة الارث :

ويقف التشريع الاسلامي في مسألة الارث موقفا وسطا من هذين التشريعين . ولكل من الاتجاهين السابقين اصل في الاسلام ، بعد حذف جانب الافراط في كل من الجانبين .

فبالنسبة الى الاتجاه الاول يذهب الاسلام الى ان «الاقرب يمنع الابعد» في الارث « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » [1] .

وينظم طبقات الوراثة حسب ترتيب القرب والبعد في النسب . وبالنسبة الى الاتجاه الثاني يفسح المجال لرغبة المتوفى في الايصاء الى من يحب بجزء

(١) الانفال : ٧٥ .

من ماله على ان لايتجاوز ثلث ماله • ويتوقف في تنفيذ الوصية في الزائد من الثلث على اذن الوراث •

كما جعل البنت والام في الطبقة الاولى من الوراث ، واعتبر الزوجة مشاركة مع الوراث بالنسب في مختلف طبقات الورثة •

وهذا كلما يمكن تيسيره في مسألة ارث المرأة •

صور ارث المرأة مقارنا بالرجل فى التشريع الاسلامي :

وفيما يلي نستعرض صور ارث المرأة ممن يتصل بالميت بالنسب او السبب ، مقارنا بأرث الرجل •

أ : الاب ـ الام :

١ ـ تأخذ الام نصيبا اكثر من الاب فيما اذا اجتمع مع الابوين الزوج • فيأخذ الزوج النصف ١/٢ وتأخذ الام الثلث ١/٣ ويأخذ الاب الباقي وهو السدس ١/٦ وذلك في حالة عدم وجود الحاجب للام •

٢ ـ يتساوى نصيب الام ونصيب الاب فيما اذا انفرد كل منهما فيأخذ كل واحد منهما المال بتمامه ، وفيما اذا اجتمعا معا مع الاولاد فيأخذ كل منهما السدس واذا أجتمع احد الابوين مع الابناء الذكور كان له السدس وكذلك له السدس لو كان مع الابناء البنات ، او اذا اجتمع كل واحد منهما منفردا مع البنت فيكون له الربع ، ومع البنتين فما زاد فالخمس •

٣ ـ ويزيد نصيب (الاب) على الام فيما اذا أجتمعا معا دون ان يكون معهما أحد من طبقتهما فيكون نصيب (الام) الثلث اذا لم تحجب بالاخوة ، ونصيب الاب الثلثان •

ب : الابناء ـ البنات :

١ ـ قد يتساوى الابن والبنت في الارث ، وذلك فيما اذا انفرد كل منهما في ارث الميت ، فيأخذ المال اجمع .

٢ ـ وقد يكون نصيب الذكور من الاولاد ضعف الاناث وذلك اذا اجتمع الذكور والاناث من الاولاد . فيأخذ الذكر مثل حظ الانثيين فيكون نصيبهما الثلث والثلثان .

ج : الاخوة ـ الاخوات :

١ ـ قد يتساوى نصيب الاخ والاخت من الابوين من الارث وذلك فيما اذا انفرد كل منهما في الارث . فيأخذ المال اجمع .

٢ ـ ويتساوى نصيب الاخوة والاخوات فيما اذا كانوا أخوة للميت من الام ، فيتقاسمون المال بينهم فرضا وردا بالسوية .

٣ ـ ويزيد نصيب الاخ على الاخت فيما اذا أجتمعا فيكون نصيبه ضعف نصيبها « للذكر مثل حظ الانثيين » فيما اذا لم يكونا أخوة من الام والا فيتساويان .

د : الاعمام والاخوال ـ العمات والخالات :

١ ـ للمنفرد من العم والخال في الارث المال كله . كذلك للمنفردة من العمات والخالات في الارث المال كله .

٢ ـ ويقتسمان المال سوية ، اعماما وعمات ، ان كانوا اعماما وعمات لام ، أي اخوة ابي الميت لامه .

٣ ـ ولكلالة الام من الاخوال ، الثلث ، وان كان واحدا ، يقتسمونه بالسوية وان أختلفوا بالذكورية والانوثة والباقي لكلالة الاب بالتفاضل .

٤ ــ وان اجتمع الاعمام والعمات للابوين ، او للاب خاصة فبالتفاوت للذكر مثل حظ الانثيين .

هـ ــ الازواج ــ الزوجات : ــ

١ ــ للزوج مع عدم الولد النصف ومعه ، وان نزل الربع وللزوجة مع عدم الولد الربع ومع وجوده الثمن .

٢ ــ ولو فقد غيرهما رد على الزوج الباقي وفي الزوجة قولان .

***

وباستثناء الصور التي كانت المرأة تساوي فيها الرجل في الارث اوتزيد عليه ، وهي كثيرة ... نجد ان الاسلام يميل الى ان يجعل سهم الرجل من الارث ضعف سهم المرأة في مختلف مراتب الوراث من طبقة واحدة .

وليس يعني ذلك الحط من مكانة المرأة في الاسرة والمجتمع ، او تضعيف امكانياتها المالية ، او التنقيص من شأنها .

وانما يعود ذلك الى طبيعة نظرة الاسلام الى الرجل والمرأة المستمدة من الاصل التكويني في الموضوع .

فالتشريع الاسلامي وحدة مترابطة متناسقة الاطراف لاتعرضها التجزيئية، ولا يمكن تفكيك جزء منها عن الجزء الآخر دون ان يفقد الجزءان معا طابعهما التشريعي الخاص وآثارهما الخاصة .

وليس من الصحيح ــ بناءاً على ذلك ــ ان نأخذ ظاهرة الارث وحدها لنناقشها ، مفصولة عن الاجزاء الاخرى التي ترتبط بها من هيكل الشريعة العـام .

فقد كلف الاسلام الرجال ، في نظام النفقات ، بتكاليف البيت المالية .. من سكنى ، ولباس ، وغذاء ، وتأثيث البيت ، وما يتصل بذلـك كله من

ضرورات الحياة ، وجعل نفقات الزواج (المهر) على الرجل كذلك .. واعفى المرأة عن جميع ذلك لتتفرغ لشؤون البيت والامومة داخل البيت .

ومن الطبيعي عند تكليف الرجل بكل هذه المصارف المالية دون المرأة ، ان يوفر له من الموارد المادية نصيبا اكثر من المرأة .

والارث مورد من موارد المال .

وليس ظلما ان يكون نصيب الرجل من هذا المورد ضعف نصيب المرأة ... بعد ان كلف وحده بالقيام بمصاريف الاسرة المالية دون المرأة .

ولنتأمل وجه العدالة في هذا التشريع بدقة اكثر مما تقدم :

لنفترض ان زوجين (رجلا وامرأة) مات والد كل منهما (وكانت مالية كل من الوالدين بمستوى واحد ، كما تقتضيه العادة في اسرة كل من الزوجين) ... فتأخذ الزوجة ثلث الثروة عندما يكون له اخ من ابيها ويأخذ الزوج ، بالمقابلة ، ثلثي الثروة ، حينما تكون له أخت من ابيه ، فمن حيث المورد ، يرد الرجل ثلثا الثروة ، بينما يرد المرأة ثلث واحد من الثروة .

اما الرجل ، فيأخذ حظه من الارث ليصرفه على البيت .. وذلك يعني انه يقاسم المال بينه وبين زوجته في المصرف ، فيصرف على نفسه ــ وهو عضو من الاسرة ــ نصف هذا المال ، اي ثلث الثروة التي خلفها له ابوه ... بينما يصرف الثلث الآخر على زوجته في البيت .

والزوجة ، بطبيعة موقفها من البيت ، لاتكون مسؤولة عن مصاريف البيت ، فيبقى نصيبها من المال (ثلث الثروة) لتصرفه على نفسها ، وتستهلكها لحاجاتها الخاصة .. وتضم الى ذلك ثلثا من « الثلثين » الذي كان يملكه الرجل .

... فتكون النتيجة : أن الزوجة تصرف على نفسها ثلثي الثروة ، بينما لايصرف الرجل على نفسه غير ثلث واحد من الثروة .

وهنا ندرك وجه العدالة في هذا التشريع .

فمن حيث المورد ، يأخذ الرجل ثلثي الثروة والمرأة ثلثا واحدا من الثروة ومن حيث المصرف يستهلك الرجل بالمقابلة على نفسه ثلثا واحدا فقط من الثروة بينما تستهلك المرأة ثلثي الثروة لحاجاتها الخاصة .

فذاك يزيد على تلك في المورد .. وتلك تزيد على ذاك في المصرف .. وليس في هذا التشريع مسحة من الظلم او التطرف .

ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف (١) :

وقد سمعنا ان بعض البلدان الاوربية تقترب من هذا النظام ففي البلاد الاسكندنافية يفضل نصيب الرجل من الارث على نصيب المرأة بمقدار . وفي البلدان الاخرى شيء يقرب من هذا التشريع .

---

(١) البقرة : ٢٢٨ .

تلخيص

تلك جولة سريعة .. حاولنا ان نقوم بها في الجانب الوظيفي من حياة الرجل والمرأة .

وقد رأينا بوضوح : ان التفكيك بين الرجل والمرأة في المجالات المتقدمة لايعني تفضيل الرجل على المرأة وتمييزه عنها بشيء ... وانما يعني فقط الاستجابة التشريعية لمقتضيات تكوين كل من الجنسين ، بعيدا عن التحيز ، وبنظرة موضوعية ، بالغة في الموضوعية .

ولو تأملنا الاحكام المتقدمة ، وما لوحظ فيها من تفكيك بين الرجل والمرأة لما وجدنا فيها شيئا من المحاباة للرجل على حساب المرأة ، وللمرأة على حساب الرجل .. وانما نجدها امتدادا تشريعيا لتكوين كل من الرجل والمرأة النفسي والفسلجي ، واستجابة لمقتضيات كينونة كل من الجنسين .

فأن تكوين كـل من الرجل والمرأة يعد صاحبه ويؤهله لوظيفة خاصة في الحياة .

والجانب الوظيفي من حياة الرجل والمرأة ، في التشريع الاسلامي ، يتبع الجانب التكويني من وجودهما ، ولا يشذ عنه قيد شعرة .

فلم يطلق الرجل خارج البيت ليعمل ، وليعدو ، وليذهب عاملا عالما .. ولم يربط المرأة بالبيت والامومـة ، ولم يقيدها بالعفاف والحجاب محاباة للرجل وتضيقا على المرأة .. وانما كان ذلك كله مجاراة لطبيعة كل من الرجل والمرأة وكيونتهما الخاصة ، وامتدادا لتكوينهما .

فقد اوتي الرجل في تكوينه النفسي والعضلي الخاص مؤهلات العمل والتفكير والادارة ، والسعي خارج البيت .

واوتيت المرأة في تكوينها الخاص فيضا من العاطفة ، وفيضا من الجمال والرقة والعذوبة والحياء .. يؤهلها للحياة الزوجية ولاثارة الرجل وربطها بمحيط الاسرة ، والامومة ، ورعاية الاطفال واحتضانهم .

وعلى ضوء من هذه المعرفة بطبيعة تكوين كل من الرجل والمرأة نجد انه ليس من محاباة الرجل وظلم المرأة ان يخص الرجل بالسعي خارج البيت ، والجهد العضلي والفكري في معترك الحياة وزحمة السياسة والعمل .. وان تربط المرأة بمهام البيت والامومة .

وانما ذلك من صميم العدالة .

واي شيء اقرب الى العدالة من ملائمة التكوين الانساني في القرارات التشريعية .

وهـذه الملاحظة هي كل ما كان يهمنا ان ندرسه في هـذا الجزء من الحديث والآن ، وقد انتهينا من الجانب الوظيفي من حياة كل من الرجل والمرأة (الجنسين) نحاول ان ننتقل بالقاريء الى الحديث عن الجزء الثالث من هذا البحث .

الجانب القيمي

مصطفى زيدان

من العلاقة الجنسية

ما تقدم من حديث فى أختلاف الرجل عن المرأة فى التكوين، ومن ثم فى الوظيفة ، تبعا لذلك ، لايعني بوجه وجود فارق بين الرجل والمرأة فى القيمة فى النظرية القرآنية .

وكل من الرجل والمرأة له من الناحية الانسانية قيمة مساوية للآخر ، وكل منهما انسان ، لايقل انسانية عن الجنس الآخر ، ولا يزيد .

وذلك بعكس الاتجاهات الجاهلية القديمة والحديثة فى فهم العلاقة الجنسية بين الجنسين ، حيث تتأثر فى تقديرها لقيمة الجنسين بالجانب التكويني من العلاقة الجنسية .

وبذلك تتم عناصر (الواقعية) و (العدالة) فى أطراف العلاقة الجنسية فى النظرية الاسلامية .

يختلف الاسلام عن الجاهليات السابقة عليه والجاهليات التي جاءت بعد ذلك ، في تقديره لقيمة المرأة من الناحية البشرية والجانب الحقوقي .

فالنظم الجاهلية عامة تقيم المرأة على أساس من الدور الذي تشغله المرأة في الحياة والذي اسميناه بـ (الجانب الوظيفي) من حياة المرأة .

ومهمة الامومة والزوجية كانت لاتملأ عين الانسان الجاهلي الذي اعتاد ان يفتحه على « البطولات » و « البلهوانيات » في ميادين الحرب وعلى صعيد السياسة ، ولذلك فقط حط من قيمة المرأة واعتبرها شيئا بين الانسان والحيوان ... مهمتها ان تخدم الرجل ، وتمهد له البيت ، وتقضي له وطره من الغريزة .

وحاولت المرأة ان تحقق نفسها .. فخرجت من البيت ، واقتحمت على الرجل آفاق البطولات ، ودخلت البرلمان ، واستولت على مشاعر الرجل .. وظهرت على صعيد « الفن » .. وخلال ذلك كله ، كانت المرأة تعتقد انه قد تم لها ما تريد ، وان الرجل قد اعترف بها .. وفاتها انها قد انقلبت في عقلية الانسان المعاصر الى سلعة تعرض في اسواق الجنس لغرض الاثارة الجنسية والمكاسب المادية والسياسية .

ويختلف الاسلام عن النظم الجاهلية في تقديره لمكانة المرأة من الناحية النظرية والاجتماعية ولا يربط في تقديره لمكانة المرأة في هاتين الناحيتين ، بينها وبين الجانب الوظيفي من حياتها .

فهي من الناحية الوظيفية تقوم بالدور الانفعالي من الحياة .. بينما يقوم الرجل بدور التأثير والعمل في الحياة .

الا أن هذا الاختلاف في الوظيفة لايؤثر في تقييم مكانة المرأة .. فلابد في كل « عملية زوجية » من جانب يقوم بدور الفعل والتأثير ومن جانب آخر يقوم بدور الانفعال .. ولابد من الجانبين معا حتى تسير الحياة وتتم (عملية التزاوج) في الكون .

وليس ينقص الجانب المنفعل ان يقوم بدور الانفعال ، وليس يرجح الفاعل ان يقوم بدور الفعل والتأثير ... فكمال كل من الجانبين يكمن في احسان القيام بدوره الخاص من عملية التزاوج والجنس .

فكمال الابرة يكمن في قوتها ، وكمال القماش يكمن في لطافته . . والقماش الذي لايخضع للابرة كالابرة التي لاتؤثر في القماش ، لاقيمة له .

وكذلك الرجل والمرأة ، يحتل كل منهما في نظر الاسلام جانبا من الحياة .. يقوم هذا بالجانب الفعلي من الحياة وتلك تقوم بالجانب الانفعالي منها .. ولا علاقة لذلك بتقدير مكانة المرأة .

والمرأة النموذجية هي التي تحسن القيام بدور الانوثة في الحياة الزوجية .. والرجل المثالي هو الذي يحسن القيام بدور الرجولة في الحياة .

فاذا اضطربت المقاييس ، وحاولت المرأة ان تزاحم الرجال على العمل ، وحاول الرجل ان يزاحم المرأة في اللين والنعومة والغنج والتدليل . . . فقد الرجل والمرأة معا مكانتهما .

وعلى هذا الاساس البشري يبنى الاسلام تقديره لمكانة المرأة .

المرأة في الحضارات الجاهلية السابقة

ولا يستطيع القارىء ان يلمس مدى ما رفع الاسلام من مكانة المرأة في المجتمع وقيمتها ، مالم يقرأ طرفا من حديث المرأة في الحضارات الجاهلية السابقة على الاسلام .

وحينما يطلع القاريء على النظرية البشرية العامة قبل ظهور الاسلام عن المرأة ، يستطيع ان يلمس ابعاد هذه الثورة الاجتملعية التي حققها الاسلام في الحياة ، وفي القيم .

ففي اليونان ، اتخذت مرأة خيالية (باندروا) ، اعتبرت ينبوع جميع الآم الانسانية ومصائبها . كما جعلت اليهودية (حواء) العين التي ينشق منها جداول الآلآم والشدائد .

وكانت المسيحية تذهب الى ان المرأة ينبوع المعاصي ، واصل السيئة والفجور .. وهي للرجل باب من أبواب جهنم ، حيث هي مصدر تحريكه وحمله على الآثام ، ومنها انبجست عيون المصائب الانسانية جمعاء .

وجاء في شريعة الهندوس :ليس الصبر المقدر ،والريح والموت ، والجحيم، والسم ، والافاعي والنار .. باسوأ من المرأة .

وفي مثل هذه الظروف الحضارية ، قرر الاسلام مبدأ مساواة المرأة للرجل في القيمة البشرية والمكانة الاجتماعية ، مع الاعتراف بأختلافهما من حيث الوظيفة والتكوين [1] .

---

(١) ذكرت جريدة ابي الهول عدد ٩٨ ٢ / ١ / ١٣٤١ هـ عن فتاة انكليزية هي الانسة ورنيج قالت « ... ولا أغالي بأعتباري مسيحية صميمية اذا قلت : ان تعاليم الاسلام للمرأة المسلمة كفيلة براحة العالم طرا ، سواء في ذلك المسلم

على الصعيد النظري

فقرر على الصعيد النظري قبل كل شيء مبدأ مساواة المرأة للرجل في الانسانية ، بعد ان كان ذلك موضع شك وترديد ، بل وموضع انكار ... فقال تعالى :ـ

« يا أيها الناس ، أتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » (٢) .

« هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن اليها » (٣) .

« وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع » . (٤) .

في العبادة والعمل :

وقرر انها والرجل سواء في هذه الحياة والدار الآخرة .. ان اعدت لهما عدتهما ، من التقوى والفضيلة والسعي .. ولا تقل المرأة عن الرجل في شيء من ذلك فقال تعالى :

« ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٥) .

والمسيحي . ورايي الخالص ان للتعاليم الدينية أثرا كبيرا في نفس المرأة ، وقد نصت تعالم المسلمين على اشياء كثيرة تكفل حقوق المرأة في المجتمع .

ويقول لينتز في رسالته التي نقلها كتاب « ديانات العالم » الانكليزية « ... ولقد رفع محمد تعاليم المرأة ورقاها رقيا عظيما .. فانها بعد ما كانت تعد كمتاع مملوك صارت مالكه ، وحكمها مؤيد وحقوقها محفوظة .

(٢) النساء : ١

(٣) الاعراف ١٨٩ .

(٤) الانعام : ٩٨ .

(٥) النحل : ٩٧ .

وقال عز وجل : « ومن يعمل من الصالحات ، من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » (٦) .

وقال تعالى « فأستجاب لهم ربهم : أني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكرا وانثى ، بعضكم من بعض » .

وما أجمل موقع هذا التعقيب في الآية الكريمة « بعضكم من بعض » .. وانه ليغنى عن اطالة في الحديث ، وامعان في الفلسفة واسهاب في الكلام والتعليق .

وقال عز من قائل :

« ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ... اعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » (٧) .

وهذا أمعان في التأكيد على مساواة المرأة للرجل لايشبهه تأكيد . ولأمر مايعدد القرآن الكريم مظاهر الفضيلة في النساء والرجال بهذا الشكل

فالمرأة أذن في نظر القرآن الكريم كائن بشري ، لايختلف عن الرجال في شيء من القيم الانسانية ، وان كانت تختلف عنه في التكوين والوظيفة ... تملك مؤهلات الفضائل الانسانية كلها ، على قدم المساواة مع الرجال ، وتبلغ من هذه الحياة والدار الآخرة ما يبلغها الرجال ، سواء بسواء ، من مكانة

(٦) النساء : ١٢٤ .

(٧) الاحزاب : ٣٥ .

وقيمة .

وتلك ثورة في القيم ، ومعجزة في تقييم الحياة الزوجية اذا قارننا ذلك الى نظرية الانسان قديما الى المرأة ، حينما كان يشك في أن المرأة هل يحل فيها روح الانسان ام لا ... والى نظرية الانسان حديثا حينما عرض المرأة كسلعة رخيصة في أسواق الجنس .

في الجانب الاجتماعي

ورفع الاسلام من مكانة المرأة في الجانب الاجتماعي فقرر مبدأ تعليم المرأة حينما كانت المرأة تعيش في ظلمات الجهل .. وقد كان النساء عهد النبي (ص) يحضرن مجلس النبي ويستمعن اليه . وربما كان النبي (ص) يخصص لهن موعدا خاصا لتعليمهن وتثقيفهن .

وورد عنه (ص) « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقد اشتهر عنه هذا الحديث بأضافة « ومسلمة » الى آخر الحديث .. ولا واقع له في متون الاحاديث ... ولسنا بحاجة الى هذه الاضافة فـ « المسلم » بحد ذاته يشمل الجنسين معا ، ولم يقصد به الرجال فقط . ومثال ذلك في القرآن والسنة كثير فخطابات « يا أيها الذين آمنوا » في القرآن لا تخص الرجال وحدهم .. كما ان كلمة (المسلم) مثلا في قوله (ص) : « المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه » لاتخص الرجال وحدهم .. فالحديث ، اذن ، يفرض التعليم على الرجال والنساء بشكل سواء .

والمرأة بطبيعة مكانتها من الاسرة بحاجة الى مزيد من المعرفة التربوية ومزيد من الثقافة البيتية ، واتقان هذا الجزء من الثقافة قد يفيدها أكثر من

أتقان غيرها من الوان الثقافة ، وان كان لايخلو مع ذلك من فائدة في حياتها .

وجعل القرآن الكريم ، بعد ذلك ، لها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » (٨) .

العناية بها داخل الاسرة :

وأكرمها الاسلام بعد ، ورفع مكانتها ، واوصى بها الرجل أماً وزوجاً وبنتا واختا ..

ومما يلاحظ : ان الاسلام قدم اكرام الام والعناية بها على أكرام الاب ، رغم اهتمامه البالغ بالابوة .. واولى الامومة عناية بالغة يندر وجودها في غير هذا الدين .

عن ابي عبد الله (ع) :

« جاء رجل الى النبي (ص) فقال : يارسول الله من أبر ؟ قال : أمك : قال : ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : أباك » .

وعن رسول الله (ص) :

« من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها الى عياله كان كحامل صدقة الى قوم محاويج . وليبدأ بالاناث قبل الذكور فأنه من فرح ابنته ، فكأنما اعتق رقبة من ولد اسماعيل » .

وعن ابي عبد الله (ع) قال :

« جاء رجل وسأل النبي (ص) عن بر الوالدين فقال : ابرر أمك ، ابرر امك ، ابرر امك .. أبرر أباك ، ابرر اباك ، ابرر أباك .. وبدأ بالام قبل الاب » .

---

(٨) البقرة : ٢٢٨ .

وعن جابر ، قال :

« اتى رسول الله (ص) رجل ، فقال : اني رجل شاب نشيط واحب الجهاد ، ولي والدة تكره ذلك ، فقال له (ص): ارجع فكن مع والدتك فوالذي بعثني بالحق لانسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة » .

وفرض بعد ذلك العناية بالبنات والاخوات .

وكان العرب قبل ذلك في الحياة الجاهلية يستخفون بالبنات مخافة الفضيحة ، ويجدون في البنت عارا على الاسرة ، وربما كان يبلغ الامر بهم الى مواراة البنات بعد ولادتهن . فانكر تعالى عليهم هذه العادة ، فقال مستنكرا « واذا بشر أحدهم بالانثى ، ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون أم يدسه فى التراب ؟ ! الاساء ما يحكمون » (١) .

وحرم قتلها ووأدها .. فقال تعالى :

« واذا المؤودة سألت : بأي ذنب قتلت » (٢) .

واسبغ الاسلام على البنات مكانة محترمة داخل الاسرة ...

عن ابي عبد الله عليه السلام أيضا قال :

« قال رسول الله (ص) من عال ثلاث بنات او ثلاث أخوات وجبت له الجنة . فقيل : يا رسول الله ، واثنين ؟ فقال واثنين فقيل : يارسول الله : وواحدة ؟ فقال : وواحدة» .

---

(١) النحل : ٥٨ .

(٢) التكوير : ٨

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال :

« قال رسول الله (ص) نعم الولد البنات : ملطفات ، مجهزات ، مؤنسات ، مباركات ، مغليات » .

« واتى رجل عند النبي (ص) فأخبر بمولود اصابه ، فتغير وجهه . فقال له النبي (ص) : مالك ؟ فقال خير فقال قل : قال خرجت والمرأة تمخض فأخبرت انها ولدت جارية . فقال النبي (ص) الارض تقلها والسماء تظلها والله يرزقها وهي ريحانة تشمها » .

والتعبير هنا عن مكانة المرأة داخل الاسرة ، وقيمتها البشرية وموقعها من الانسانية ... ينبثق عن تكوين المرأة الانثوي ، وعما فيها من روح خفيفة ، ولين وعاطفة « ملطفات ، مجهزات ، مؤنسات ، مباركات » .

وما يكون اجمل التعبير عن المرأة حينما نضع الصورة التعبيرية السابقة بما تحمل من خفة ورقة وجمال .. في اطارها الكوني الرحب . بما فيه من سعة وبساطة وجمال .. « الارض تقلها ، والسماء تظلها ، والله يرزقها وهي ريحانة تشمها » .

في الجانب الحقوقي

وجعل الاسلام ولايتها لوليها قبل ان تبلغ .

وليس يعني « الولاية » هنا : التعسف في معاشرة البنت ، والاجحاف في التصرف في أموالها وانما يعني الولاية هنا : الرعاية والعناية بها .

فاذا بلغت رشدها ، استقلت في شؤونها ، وكانت لها أهلية ايقاع العقود والالتزامات المالية وغيرها ... ولا يصح تزويجها من احد من غير احراز

رضائها وقبولها للزوج .

وبشكل عام : رفع الاسلام المرأة الى مستوى الرجال في الجانب الحقوقي في مختلف التصرفات المالية والشخصية .

وفيما يخص الطلاق : افسح لها المجال واسعا ـ كما ذكرنا ـ عن طريق الحاكم الشرعي ، ليتولى طلاقها فيما اذا أستعصى الرجل او غاب ولم يظهر ، او لم ينفق عليها .

الجانب الاقتصادي

وسمح لها ، بعد ذلك ، بموارد اقتصادية هامة ، لم يسمح لها بها شريعة من قبل :

فسمح لها بأن ترث بنتا وزوجا واختا واماً صغيرة وكبيرة بتفصيل يذكره الفقهاء وهو مورد اقتصادي مهم .. ولم يحرمها من هذا المورد الاقتصادي كما كانت تفعل بعض الحضارات السابقة على الاسلام . قال تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، مما قل منه او كثر ، نصيبا مفروضا » .

وسمح لها ـ بعد ذلك ـ ان تكتسب ، وجعل لها نصيبا في كسبها كما ان للرجال نصيب من كسبهم .

ولا ينافي ذلك ان الطابع العام لحياة المرأة في الاسلام هو الزوجية والامومة .. فقد تعسر عليها الزوجية والامومة ، وقد لاتجد زوجا ، وقد تستطيع ان تجمع بين الكسب والزوجية .. فلم يحرمها الاسلام هذا الحق

ولم يحرمها من نتاج عملها .

وفي ذلك يقول ـ تعالى ـ

« للرجال نصيب مما أكتسبوا ، وللنساء نصيب مما أكتسبن » .

* * *

وبنحو من ذلك نجد أن الاسلام قام بتحقيق مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في القيم وفي المكانة الاجتماعية ، وقضى نهائيا على فكرة تفضيل الرجل على المرأة .

واعترف بوجود المرأة كائنا بشريا ، يتمتع بحقوق اجتماعية وسياسية ومالية ، ويتمتع بمكانة اجتماعية وقيمة بشرية .

وأتاح لها ـ بعد ذلك ـ من فرص الكمال ما أتاح للرجل ، بشكل سواء . ولم يستغل ضعف المرأة في تكوينها العضلي والعقلي ـ للحط من مكانتها الاجتماعية وقيمتها البشرية ـ كما فعلت الحضارات الجاهلية الاخرى .

وكان ذلك حقا ، ثورة على القيم والاعراف والتقاليد الجاهلية ، وهزة قوية للكيان الجاهلي بما لهذه الكلمة من سعة وعمق .. أتاحت للمرأة حينا طويلا من الزمن ان تسترجع مكانتها التي تستحقها من المجتمع البشري ومن الاسرة . وأتاحت لها ان تفرض على المجتمع كيانها الانثوي وتبعثه على الاعتراف بها وتقديرها .. بعد ان كانت تعرض في أسواق الرقيق البيض ، واسواق الجنس .. كما تعرض السلعة رخيصة ، مبتذلة .

وتلك هي المعجزة التي صنعها القرآن على وجه الارض ، ومدها بضمانات تشريعية تكفي لمحافظتها .

نهاية المطاف

وقبل انأختم البحث ، اودّ انا عيد على القارىء منهجة البحث مرةاخرى ليستعيد بذكراته ماتقدم من حديث ، وليخرج عنهذا البحث بنتيجة ، ارجو ان تكون نافعة .

فقد حاولنا ان نبرز في هذا الحديث الوجه التكويني لمسألة الرجل والمرآة من خلال القرآن الكريم ، ونعرض معالجة القرآن الكريم لقضايا المرأة من هذه القاعدة التكوينية .

وقد علمنا ان القرآن الكريم يستمد أصول العلاقة الجنسية في حياة الانسان من أصول الزوجية الكونية في رحابة الكون .

ومن دراسة « الزوجية العامة » في الكون نخرج بأصول ثلاثة ، عميقة الصلة بالعلاقة الجنسية في حياة الانسان .

وهذه الجهات هي :

١ ـ الجانب التكويني :

فالزوجية ضرورة كونية لاغنى عنها في سير النظام الكوني وتكامل أطراف هذا الكون وتناسق جوانبه .. تبعث على الاستقرار والركون في أطراف هذا الكون .

٢ ـ الجانب الوظيفي :

ووظيفة الزوجية ـ تقتضي وجود طرفين : يقوم احدهما بدور الفعل ويقوم الآخر بدور الانفعال ولكي يمثل كل منهما دوره في العلاقة الزوجية ، يجب ان تتوفر لديه المؤهلات الخاصة بذلك .

ومؤهلات الطرف الفاعل تختلف عن مؤهلات الجانب المنفعل .

فالجانب الفاعل بحاجة الى كثير من القوة والصلابة والشدة والاستقامة ... بينما الجانب المنفعل في النقطة المقابلة ، يحتاج الى كثير من الاغراء

والجذب والتمانع واللطافة والانفعال .

٣ ـ الجانب القيمي :

والاختلاف في التكوين والوظيفة لايعني الحط من قيمة جانب منهما على حساب الجانب الآخر .

واختلاف الطرفين في الزوجية الكونية والوظيفة والمؤهلات التي تؤهلهما لنوع الوظيفة التي يقومان بها لايدل على اختلاف قيمي بينهما ولا يبرر التفريق بينهما في التقدير .

فكما ان كمال الجانب الفاعل فيما يمتاز به من قوة وصلابة ، كذلك كمال الجانب المنفعل فيما يمتاز به من رخوة ولين واغراء وانفعال .

وأمتدادا من هذه القاعدة التكوينية ، ومن هذه الاصول الثلاثة . . يحاول القرآن الكريم ان يعالج قضايا المرأة خطوة خطوة .

١ ـ فالحياة الزوجية في نظر القرآن الكريم : ضرورة حياتيه واستقرار وركون .

« خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » . . (١)

« هن لباس لكم ، وانتم لباس لهن » (٢) .

٢ ـ والرجل والمرأة في العلاقة الزوجية ، بعد ، يختلفان من حيث التكوين « بما فضل الله بعضهم على بعض » (٣) .. والفضل للجانبين ، وليس لجانب

(١) الروم : ٢١ .

(٢) البقرة : ١٨٧ .

(٣) النساء : ٣٢ .

الرجل فقط ... فقد فضل الرجال على النساء من جانب ، وفضل النساء على الرجال من جانب ... ويختلفان من حيث الوظيفة تبعا لاختلافهما في التكوين، فتقوم المرأة في البيت بمهام الزوجية والامومة ، ويقوم الرجل خارج البيت باعباء العمل .

وقد رزقت المرأة فيضا من العاطفة والاغراء ، ورزق الرجل فيضا من العقل والصلابة .. ليقوم كل واحد منهما بجانب من الحياة .

فتكون ، اذن ، قوامة الاسرة للرجل « الرجال قوامون على النساء » (٤)، وادارة الاسرة للمرأة ... وتقوم المرأة بمهام البيت ، ويشق الرجل طريقه الى الحياة خارج البيت .. وتعتزل المرأة ، في حدود خاصة ، الاختلاط بالرجل .. ويكون لها سهم من الارث دون سهم الرجل ... وتعتبر شهادتها نصف شهادة الرجل ، وديتها نصف دية الرجل ... كل ذلك لا لانها تقل عن الرجل، ولا لأن الرجل يفضلها بشيء في القيمة البشرية ، بل لان طبيعة تكوينها الانثوي تؤهلها لذلك .

٣ ــ والمرأة والرجل ، بعد ، من حيث القيمة البشرية على مستوى واحد ... فتتمتع المرأة بكل ما يتمتع به الرجل من قيمة انسانية ومؤهلات فاضلة «خلقكم من نفس واحدة » (٥) .

ومن حيث المكانة الاجتماعية والحقوق المدنية والشخصية تضاهي الرجال ــ فيما عدا الموارد المتقدمة ــ « للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » .

---

(٤) النساء : ٣٤ .

(٥) النساء : ٢ .

تلك هي الاصول الثلاثة التي يستمدها الاسلام من القاعدة التكوينية لمسألة الزوجية ، ويعالج على ضوئها أهم قضايا المرأة .

وقد حاولنا هنا ان نستعرض النظرية القرآنية في مسألة العلاقة الزوجية والحياة النسوية عرضا يسيرا . قريبا الى الذهن ، بعيدا عن التعقيد ، مستمدا من أصلها التكويني .

وفيما استعرضنا من هذا الحديث ، وجدنا ان النظرية القرآنية في معالجة هذه المشكلة كانت متناسقة ، موحدة ، مرتبطة ، متناسبة الابعاد ... يشد بعضها بعضا ، ويأخذ كل جانب منها بعاتق الجانب الآخر ، ويكمل كل طرف منه الطرف الذي يليه ... تستمد أصولها من الكون الرحب ، ومن تكوين كل من الرجل والمرأة ، .. ببساطة متناهية ، ومن دون التواء .

وكذلك الاسلام .. وحدة تشريعية متناسقة متماسكة في مختلف اطرافه وجوانبه .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

النجف الاشرف **محمد مهدي الآصفي**

الفهرست

كلمـــــة الناشر ٥
تمهيـــــد ٩
الزوجية العامة فى الكون ١٧
١ ـ الجانب التكويني ٢١
٢ ـ الجانب الوظيفي ٢٣
التجاذب الروحي ٢٤
التفاعل الزوجي ٢٥
٣ ـ الجانب القمي ٢٧
الجانب التكويني من العلاقة الجنسية ٢٩
الاستقرار والركون ٣٣
صورة عن الحياة الزوجية ٣٤
جاهليتـــان : ٣٨
الجاهلية القديمة ٣٩
الجاهلية الحديثة ٤٠
شعور المرأة بالابتذال ٤٢
نصيحة من مارلين ٤٣
لماذا انتحرت مارلين ؟ ٤٤
تجارة الجنس ٤٦
الادب فى خدمة الغريزة ٤٧
نظرية مالتوس ٤٨
الخطر يهدد الجيل القادم ٥٠
والمرأة اصبحت سلعة خطرة ٥٢

والرجل اصبح شقيا	٥٣
الجانب الوظيفي من العلاقة الجنسية	٥٥
١ ـ قوامة الاسرة	٦٩
٢ ـ اشتغال المرأة	٧٥
متى اثيرت هذه المسألة	٧٦
صورة عن حياة المرأة فى الغرب	٨٠
جنس ثالث فى الطريق	٨٥
تحلل الاسرة	٨٨
النشيء الجديد فى خطر	٩٣
الجانب الاقتصادي	٩٥
وأخيرا شعرت المرأة بالخطر	٩٦
واسترجعت الحكومات خطواتها	٩٧
وهكذا نعود الى الاسلام	٩٨
٣ ـ الاختـــلاط	١٠١
نقاش مع الطلاب	١٠٦
المدارس المختلطة	١١٠
نقاش آخر مع انصار الاختلاط	١١٣
صور عن حضارة الاختلاط :	١١٦
أ ـ مباريات الجمال	١١٧
ب ـ التمثيل والسينما	١٢٣
ج ـ الرقص	١٣١
د ـ البغاء	١٣٩
المغزى النفسي للبغاء	١٤١
تجارة الرقيق الابيض	١٤٧
الرزم البشرية	١٤٩

محمد مهدي الآصفي ٢٧٩
فتيات التليفون ١٥٠
الارقام تتحدث ١٥١
هل انا رجعية ؟ ١٥٣
خطورة الموقف ١٥٦
ويقول الطب ١٥٧
نصيحة من بغيه ١٥٨
هـ ـ التحلل والابتذال فى سلوك الشباب ١٦١
نماذج عن سلوك اليافعين ١٦٨
عصابات الجيل المتمرد ١٦٩
مظاهر الجنون فى حياة الشباب ١٧١
مهزلة القرن العشرين ١٧٣
و ـ ظاهرة التمرد والحقد فى سلوك الشباب ١٨١
ز ـ النضج الجنسي عند الاطفال ١٩٣
حديث آخر مع الفتيات ١٩٥
نظرية القرآن الكريم ٢٠٣
٤ ـ الطـــلاق ٢٠٩
الاطار الاخلاقي لتشريع الطلاق ٢١٢
عقبات فى طريق الطلاق ٢١٣
حق الرجل فى الطلاق ٢١٤
لو كانت المرأة تتحكم فى الطلاق ٢١٨
وحين يتاح للمرأة حق الطلاق ٢١٩
٥ ـ دنيا السياسة والبرلمـــان ٢٢٣
كلمـــة الاسلام ٢٣٢
٦ ـ الشهادة ٢٣٣
٧ ـ الدية ٢٣٧

٨ ـ الارث ٢٤٣
جذور المسألة فى القوانين الشرقية والغربية ٢٤٥
موقف الاسلام من المسألة ٢٤٦
صور ارث المرأة مقارنا بالرجل فى الاسلام ٢٤٧
أ ـ الاب ـ الام ٢٤٧
ب ـ الابناء ـ البنات ٢٤٨
ج ـ الاخوة ـ الاخوات ٢٤٨
د ـ الاعمام ـ العمات ٢٤٨
الاخوال ـ الخالات ٢٤٨
هـ ـ الازواج الزوجات ٢٤٩
تلخيص ٢٥٣
الجانب القيمي من العلاقة الجنسية ٢٥٧
المرأة فى الحضارات الجاهلية ٢٦٢
على الصعيد النظري ٢٦٣
فى العبادة والعمل ٢٦٣
فى الجانب الاجتماعي ٢٦٥
العناية بها داخل الاسرة ٢٦٦
فى الجانب الحقوقي ٢٦٨
فى الجانب الاقتصادي ٢٦٩
نهاية المطاف ٢٧١

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٩٩٧

DATE DUE

NYU - BOBST
31142 02841 4640
HQ32 .A8 1968
al-´¿Alaqa